# مدخل إلى

# دراسة الإعجاز العلمي

## في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

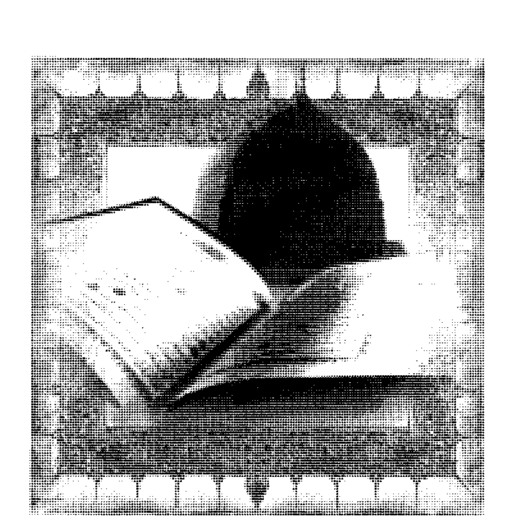
الأستاذ الدكتور

**زغلول راغب محمد النجار**

أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية
رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

دار المعرفة
بيروت - لبنان

# مدخل إلى
# دراسة الإعجاز العلمي
## في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة



الأستاذ الدكتور
**زغلول راغب محمد النجار**
أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية
رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم
بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر

دار المعرفة
بيروت - لبنان

**الطبعة الأولى**
**1430 هـ ـ 2009 م**

ISBN 9953 - 85 - 197 - 2




جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ـ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

مدخل إلى

# دراسة الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

# المحتويات

## الباب الثاني: الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

# مقدمـــة

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما مصدرا التشريع الإسلامي، **فالقرآن** هو كلام الله، الموحى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بلسان عربي مبين، والمنقول عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي نجده في المصاحف التي خُطت أو طبعت على مر العصور، كما نجده مسجلاً في صدور الحفاظ جيلاً بعد جيل، ومن ثم نجده محفوظاً على مختلف صور الأشرطة والإسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

وقد نزلت آيات القرآن الكريم منجمة على مدى ثلاث وعشرين سنة، وكتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكلٍّ منها مباشرة، ثم رُتِّبت تلك الآيات في مئة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسُمِّيت السور ورتبت بتوقيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة؛ فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وحفظه كلمةً كلمةً، وحرفاً حرفاً على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم حجة الله ـ تعالى ـ على الخلق أجمعين إلى أن يشاء الله رب العالمين، وذلك لأن أصول الكتب السماوية السابقة كلها كانت قد تعرضت للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن عدد قليل جداً منها (من مثل التوراة، الزبور، والإنجيل) نقلت شفاهاً لعدة قرون قبل تدوينها بأيدي مجهولين، وفي لغات غير اللغات التي أوحيت بها، مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير، ولا تزال هذه الذكريات تتعرض لذلك التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات بشرية من التراث الإنساني، وعلى ذلك فهي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير والحذف والإضافة، وهذا ما حدث بها عبر التاريخ، ولا يزال

يحدث إلى زماننا الراهن. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل كلّاً من صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد» فكلاهما صناعة بشرية كاملة، وإن تحدثت عن عدد من أنبياء الله ورسله وعن غيرهم من الناس الذين هم ليسوا برسل ولا بأنبياء.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي المطلق الذي جاء به؛ ولذلك فهو الكتاب الوحيد الذي يُتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأذكار أو الأدعية.

وقد تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن مجتمعين متظاهرين فقال عز من قائل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على ادعاء من ادعى من الكفار والمشركين أن الرسول ﷺ قد افتراه ـ وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب البيان والفصاحة والبلاغة ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثله. ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضي أكثر من أربعة عشر قرناً. وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد عَجَزَت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تُداني كتاب الله في روعة بيانه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق أنبائه، وروعة معانيه، وعدالة تشريعه، ومكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها، وسمو العقائد التي رَسَّخها، والعبادات التي شرعها، والحقائق التاريخية والعلمية التي أوردها. وكذلك عجزت القدرات البشرية ولا تزال عاجزة عن محاكاة القرآن الكريم في نهجه وصياغته، وفي تمام إحاطته بطبائع النفس البشرية، وقدرته على التعامل معها وعلى هدايتها، وفي دقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم ﷺ إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ، ومن هنا كان وصف القرآن الكريم بأنه معجز في كل أمر من أموره، بمعنى عجز البشر جميعاً عن الإتيان بشيء من مثله.

أما **السنة النبوية المطهرة** فتشمل كل ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

و(**الخبر**) أعم من الحديث، و(**الأثر**) ما كان موقوفاً على أحد الصحابة الكرام. و(**الحديث**) في اللغة هو الجديد، ويستعمل في التعبير عن (الخبر)، وفي اصطلاحات المحدثين هو (السنة)، وإن اعتبر البعض تعبير «السنة» أشمل من تعبير «الحديث».

وللحديث أقسام كثيرة، ولكن أشهرها هو: (**الصحيح**)، و(**الحسن**)، و(**الضعيف**). و(**الحديث الصحيح**) هو ما اتصل سنده بنقل العَدْل الضَّابِط عن مثله، والذي سلم من الشذوذ والعلل. ومن الصحيح: **الآحاد، والمتواتر، والعزيز، والغريب، و المسلسل، والعالي والنازل** (وعلو الإسناد هو قربه من الرسول ﷺ، ونزوله هو الأخذ عمن تقدم موته واشتهر فضله). و(**الحديث الضعيف**) هو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن.

وهناك **الأحاديث الموضوعة** (أي: المختلقة أو المكذوبة) والمدسوسة على رسول الله ﷺ، وقد انتشرت في زمن الفتن من جراء التعصبات المذهبية من

الخارجين على نهج رسول الله ﷺ. وعلى الرغم من ذلك فإن جهود علماء الحديث قد مايزت الحق من الباطل، وعَلَّمت البشرية كلها معنى توثيق المعلومة بمنهجية علمية دقيقة نتج عنها آلاف الأحاديث الصحيحة والحسنة. وذلك لأن صحابة رسول الله ﷺ كانوا عدولاً كلهم بنص القرآن الكريم الذي يقول فيه الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

ويقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقد كان لكل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ رجال رووا عنه، وكان لكل راوٍ شيوخ أخذوا عنه وهكذا حتى تم تدوين كل من أحاديث رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وسيرته الشريفة بصورة لا يماثلها تدوين سيرة نبي آخر من أنبياء الله ـ تعالى ـ ولا عظيم من عظماء الأرض.

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تضم قدراً من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يلم بها أو بشيء منها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي وذلك لعدم توافر أدوات الكشف ومنهجياته. وهذه الإشارات العلمية في أحاديث رسول الله ﷺ مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة، ـ في زمن العلم الذي نعيشه ـ ومن هنا كان القول بـ (الإعجاز العلمي في السنة النبوية الكريمة). ومن هنا أيضاً كان اهتمامنا بقضيتي الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فهماً لهما، وإثباتاً لفضلهما، ودعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بهما لكونهما طوق النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك باللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا وهي لغة العلم.

ومن هنا كان في تبني شبكة جامعة عجمان للعلوم والتقنية إنشاء «كرسي للإعجاز العلمي في القرآن والسنة» خطوة رائدة في التأكيد على أهمية هذه القضية، وكانت بذلك أول جامعة في العالمين العربي والإسلامي تتبنى قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فجزى الله ـ تعالى ـ كل من دعا إلى ذلك وأسس وساهم في تحقيقه خير الجزاء، وعلى رأسهم جميعاً معالي الأخ الكريم الأستاذ الدكتور سعيد سلمان الرئيس الأعلى لشبكة الجامعة، سدد الله خطاه، وكتب ﷻ لهذه التجربة الرائدة النجاح حتى تصبح شبكة جامعة عجمان قدوة لغيرها من الجامعات العربية والإسلامية وأنموذجاً يحتذى على مستوى العالم حتى نعيد إليه شيئاً من إنسانيته المفقودة في هذه الأيام المليئة بالفتن وأسباب ووسائل الانحطاط الإنساني، والانحسار الديني والأخلاقي والسلوكي المصاحب بالتقدم العلمي والتقني المذهل الذي أصبح يتهدد مصير الإنسانية بشر العواقب، والله ـ تعالى ـ نسأل أن يعيننا على تحقيق ما نصبو إليه من إنقاذ البشرية التائهة والمفتونة بالعلم والتقنية وبمعطياتهما في أطرهما المادية البحتة، والتي أعمت غالبية أهل الأرض عن نور الإيمان بالله الخالق البارئ المصور وعن حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة الدنيا: عبداً لله ـ تعالى ـ يعبده بما أمر، ومستخلفاً في الأرض مطالباً بالقيام على عمارتها وعلى إقامة شرع الله وعدله فيها، وهما وجهان لعملة واحدة إذا فقد الإنسان أحدهما عجز عن حسن القيام بدوره كمستخلف ناجح في الأرض، والله ـ تعالى ـ هو الموفق والمستعان، والهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين.

**الفقير إلى عفو ربه**
**زغلول راغب محمد النجار**
**القاهرة ١٥/ ٩/ ١٤٢٩هـ**
**١٥/ ٩/ ٢٠٠٨م**




## الباب الأول

# الإعجاز العلمي في القرآن الكريم




# الفصل الأول

## حفظ القرآن الكريم
## بعد ضياع أصول الوحي القديم

### أولاً: ضياع كل صور الوحي القديمة:

نعرف من صور الوحي القديمة كلاً من صحف إبراهيم، التوراة، الزبور، الإنجيل، والقرآن، ولم يبق من هذه الكتب السماوية محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلا القرآن الكريم، فلا يدعي أحد اليوم أنه يملك صحف إبراهيم فقد فقدت بالكامل. ومن الثابت تاريخياً أن أصول التوراة قد فقدت كذلك في زمن السبي البابلي، ثم أعيد كتابة الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم من الذاكرة في زمن عزرا (حوالي سنة ٣٩٨ قبل الميلاد) أي بعد حوالي ثمانية قرون من موت نبي الله موسى عليه السلام (الذي وقع في حدود سنة ١١٨٤ قبل الميلاد).

ثم بواسطة مجهولين أضيفت إلى هذه الأسفار الخمسة كل من أسفار (يشوع، والقضاة، والملوك) ثم أسفار (إشعيا، وإرميا، وحزقيال، واثني عشر سفراً آخر)، ثم أضيفت مجموعة تسمى باسم «المزامير» بعد ذلك، وهي بالقطع ليست «مزامير داود عليه السلام» التي ثبت فقدانها بالكامل.

في سنة ٣٣٣ق.م. غزت جيوش الإسكندر المقدوني أرض فلسطين وقضت الوثنيات اليونانية القديمة على معتقدات أهلها جميعاً.

وفي عصر بطليموس الثاني (في حدود سنة ٢٨٥ ق. م). تمت الترجمة السبعينية للعهد القديم إلى اللغة اليونانية القديمة، وهي لغة لم يتحدثها موسى عليه السلام ولا أي من أتباعه. وفي غمار هذه الترجمة حدث العديد من الأخطاء

والتحريفات، والزيادات المقصودة وغير المقصودة لأن كلًّا من المترجمين والنُّسَّاخ كانوا يعتقدون أنهم يدونون تراثاً شعبياً أكثر من تدوين وحي سماوي، وقد انتقد الآباء اليسوعيون هذه الأخطاء والزيادات والتحريفات في تقدمتهم للترجمة اليسوعية للعهدين القديم والجديد كما جاء في دلائل التحريف للدكتور شريف سالم (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

وفي الفترة من (١٦٥ق.م إلى ١٣٥م) تم تدمير مدينة القدس عدة مرات، وتم حرق جميع كتب اليهود، وقام المحتلون الرومان من أمثال كل من الإمبراطور اليوناني أنتيوخوس أبيفانس والقائد الروماني پومپيوس، وهيرودس الكبير، وتيتوس بإجبار اليهود على التحول إلى عدد من الديانات الوثنية، وفي هذه الفترة كثرت الصراعات بين الطوائف اليهودية، كما كثر الدس على كلام الله، وكثر التحريف والتضليل. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن اليهود مخاطباً عباده الموحدين:

﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

ويقول الله ـ وهو أحكم القائلين ـ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

ويقول ـ عز من قائل ـ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

ويقول ـ وهو أحكم الحاكمين ـ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ﴾ [المائدة: ٤١].

وعلى ذلك فإن «العهد القديم» ليس وحياً سماوياً، ولكنه صناعة بشرية كاملة، تعرضت ـ عبر التاريخ ـ ولا تزال تتعرض للإضافة والحذف، وللتحرير بعد التحرير، وللتبديل والتغيير، وكلام الله تعالى لا تبديل له ولا تحريف.

فسفر «دانيال» مثلاً هو مؤلف متأخر لا تعترف به طائفة «الصدقيين» اليهودية، وإن استخدمته طائفة «الفريسيين»، بينما استعملت جماعة «لفائف قمران» أسفاراً من مثل أسفار «طوبيا» و«ابن مسيراغ» و«باروخ»، و«أخنوخ» و«اليوبيلات» وغيرها، وكلها لا علاقة لها بوحي السماء.

وانطلاقاً من ذلك حدثت اختلافات بين كل من الترجمات السبعينية اليونانية والعبرانية والسامرية في أكثر من ستة آلاف موضع، كما اختلف تبويب العهد القديم من طائفة إلى أخرى (انظر قائمة كل من يوسيفوس وأوريجانوس واختلافهما في تبويب العهد القديم في طبعاته المتأخرة)، وكان الإجماع في مؤتمر «جامنيا» على التحريف بالحذف والإضافة، وانطلاقاً من ذلك كله ابتدع اليهود كتاب «التلمود» وأهملوا العهد القديم.

**ثانياً: شهادات غير المسلمين بتحريف كتب العهدين القديم والجديد:**

من المزاعم التي يطلقها النصارى ويروجون لها قولهم: إن المسلمين وحدهم هم الذين ينظرون إلى كتب العهدين القديم والجديد نظر الشك والريبة، ويصفونها بالتحريف والتزوير، وهذا الزعم صادر عن مغالطة صريحة، وعن إغفال لحقائق التاريخ الثابتة، إذ من الثابت تاريخياً أن مجمع نيقية (٣٢٥م) هو أول من قام باختيار الأناجيل الأربعة المعتمدة اليوم عند المسيحيين من بين ما يزيد على سبعين إنجيلاً، ولم يقم ذلك الاختيار وفق منهج علمي محدد، تم على أساسه قبول ما قُبِلَ، ورد ما رُدَّ، وإنما كان الضابط الوحيد في ذلك هو ما ظنه رعاة المجمع من عدم معارضة تلك الأناجيل لما تبنوه هم من عقائد.

وبالطبع لم يحظ هذا الاختيار بموافقة كل المؤتمرين، فقد عارضه جمع كبير منهم، إلا أن قوة سيف الرومان حسمت الخلاف لصالح من ذهب إلى الادعاء بألوهية عيسى عليه السلام نظراً لسيادة الفكر الوثني في الحضارتين اليونانية والرومانية، ولذلك اعتبر المؤتمر جميع المخالفين لقراراته مبتدعة ومهرطقين، علماً بأنهم كانوا هم الأكثرية، وكان فيهم عدد من الموحدين الذين نادوا بوحدانية الله (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد) وآمنوا

بأن عيسى ﷺ هو عبد الله ورسوله، وكان منهم القسيس الإسكندري الشهير آريوس: وأتباعه «الأريسيون» الذين كانت غالبية نصارى مصر في ذلك الوقت منهم.

وهكذا قضت سلطة الرومان الغاشمة على جميع المخالفين لهم ـ وخاصة الموحدين منهم ـ وذلك بالملاحقة والتشريد، فلم ينتشر مذهبهم، بل اضمحل مع مرور الوقت حتى بقي اليوم ـ فيما يظهر ـ من غير أتباع تقريباً. وفيما يلي استعراض لمواقف عدد من قدماء النصارى الذي حكموا على هذه الكتب بالتحريف والتزوير.

أ ـ **الفرقة الأبيونية**: ظهرت هذه الفرقة في القرن الميلادي الأول وكانت معاصرة لبولس أو «شاؤول الطرسوسي» اليهودي الذي لم يقابل المسيح أبداً، ولكنه اندس بين تلامذته من بعد رفعه، وواضح أن اندساسه كان من أجل إفساد عقائد أتباع المسيح ﷺ. فأنكر عليه الأبيونيون كل دعاواه إنكاراً شديداً وعدُّوه مرتداً، وكانت الفرقة الأبيونية تسلم بالأسفار الخمسة الأولى فقط من كتب العهد القديم، وتسلم من كتب العهد الجديد بإنجيل متى فقط، وتختلف النسخة المعتمدة عندهم عن النسخة المعتمدة عند أتباع «بولس»، فليس فيها مثلاً البابان الأولان من إنجيل متى الموجودان حالياً، لأنها تعتقد أن هذين البابين ومواضع أخرى كثيرة هي كتابات محرفة، وكانت هذه الفرقة تنكر الادعاء بألوهية المسيح وتعتقد أنه نبي من أنبياء الله.

ب ـ **الفرقة المارسيونية**: وهي من فرق النصارى القديمة أيضاً، وكانت تنكر جميع كتب العهد القديم وتقول: إنها كتابات بشرية محضة وليست كتباً موحى بها. وكانت هذه الفرقة تنكر كذلك جميع كتب العهد الجديد إلا إنجيل لوقا، وعشرة رسائل فقط من رسائل بولس، وهذه الرسائل العشرة المسلمة عندها مخالفة للرسائل الموجودة الآن، وحتى «إنجيل لوقا» الذي قبلته هذه الفرقة فإنها كانت تنكر البابين الأولين منه، وتنكر منه مواضيع أخرى كثيرة.

ج - **فرقة ماني كيز**: وكان من علماء هذه الفرقة كل من القس «فاستس» والقس «إكستاين» وكلاهما عاش في القرن الرابع الميلادي، وقد نقل «لاردنر» في تفسيره للعهدين القديم والجديد عن «إكستاين» قول «فاستس»: «أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر، وغيبوا صورته الحسنة وأفضليته؛ لأن هذا الأمر محقق. إن هذا العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون، بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسبه إلى الحواريين ورفقاء الحواريين خوفاً من أن لا يعتبر الناس تحريره، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها، وآذى ذلك الكاتب المجهول جميع المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التي يوجد فيها الأغلاط والتناقضات».

ويتلخص هذا الكلام في النقاط التالية:

(١) أن المسيحيين أدخلوا في العهد الجديد أشياء خارجة عنه.

(٢) أن هذا العهد الجديد المعروف الآن ليس من كتابة المسيح ولا الحواريين ولا تابعيهم، وإنما هو كتابة رجل مجهول الاسم.

(٣) أن هذا العهد الجديد وقعت فيه الافتراءات والأغلاط والتناقضات عمداً وعن غير قصد.

والطعن في مصداقية هذه الأناجيل لم يكن محصوراً على فرق عدتها الكنائس شاذة ومبتدعة، واتهمتها بالهرطقة والشذوذ، بل إنه تجاوز ذلك ليشكل قناعات لدى عدد كبير من المفسرين والمؤرخين المقبولين لدى النصارى، منهم الأسماء التالية:

أ - «**آدم كلارك**، الذي قال في تفسيره للعهدين القديم والجديد: «إن أكثر البيانات التي كتبها المؤرخون للرب (يقصد لنبي الله وعبده عيسى عليه السلام) غير صحيحة؛ لأنهم كتبوا الأشياء التي لم تقع بأنها وقعت يقيناً، وغلطوا في الحالات الأُخَر عمداً أو سهواً، وهذا الأمر محقق بأن الأناجيل الكثيرة

الكاذبة كانت رائجة في القرون المسيحية الأولى، وبلغت هذه الأناجيل أكثر من سبعين إنجيلاً، وكان فاريسيوس قد جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها في ثلاثة مجلدات». وأضاف: (كانت ترجمات كثيرة باللغة اللاتينية من المترجمين المختلفين موجودة قبل «جيروم»، وكان بعضها في غاية التحريف، وبعض مواضيعها مناقضة للمواضيع الأخرى، كما صرح به «جيروم»).

ب ـ **وقال «لاردنر»** الذي ذكر في تفسيره للعهدين القديم والجديد ما ترجمته: «حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيثوس (الذي حكم ما بين سنتي ٤٩١ ـ ٥١٨م) فصححت مرة أخرى، فلو كان للأناجيل إسناد ثابت في عهد ذلك السلطان ما أمر بتصحيحها، ولكن لأن مصنفيها كانوا مجهولين أُمِرَ بتصحيحها، والمصححون إنما صححوا الأغلاط والتناقضات على قدر الإمكان، فثبت التحريف فيها يقيناً من جميع الوجوه، وثبت أنها فاقدة الإسناد».

جـ ـ **«واتسن»**: الذي قال: (إن «أوريجن» كان يشكو من الاختلافات، وينسبها إلى أسباب متعددة، مثل غفلة الكاتبين وعدم مبالاتهم، ولما أراد «جيروم» ترجمة العهد الجديد قابل النُّسخ التي كانت عنده فوجد بينها اختلافاً عظيماً) وقد اعترف جيروم بذلك في مقدمته لتلك الترجمة، وفي خطابه للبابا كما سيتضح بعد هذه السطور.

هذه بعض الأقوال التي نقلها صاحب كتاب «إظهار الحق» الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله رحمة واسعة)، وهي جميعها صادرة عن فرق نصرانية أو عن باحثين نصارى، وكلها تشهد بتحريف الأناجيل. ومن هنا نعلم أن المسلمين ليسوا وحدهم من قال بتحريف الأناجيل، كما يزعم بعض المسيحيين، بل: إن كل من ينظر في هذه الأناجيل سواء من ناحية السند أو من ناحية المتن والمحتوى يعلم علماً يقينياً بأنها محرفة، وأن يد العبث قد تدخلت فيها فزادت وبدلت وغيرت بدون وجه حق، وابتدعت من عندها ما لم يكن له أصل في تعاليم المسيح عليه السلام.

وعلى ذلك فإننا نؤمن بأن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل ـ فيما أنزل من كتب لهداية عباده ـ كلًّا من صحف إبراهيم، والتوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن الكريم، هذا الإلٰه الخالق ﷻ لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم» أو «العهد الجديد»، وكلاهما صناعة بشرية خالصة لا علاقة لها بوحي السماء، وإن تحدثت عنه بألسنة أعداد كبيرة من البشر العاديين الذين ليسوا برسل ولا بأنبياء، ومن ثم فليس لهم أية عصمة، وليست لكتاباتهم أية حجية على العباد.

ويبقى القرآن الكريم هو الوحي السماوي الوحيد الموجود بأيدي الناس اليوم، والمحفوظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، والمحفوظ حفظاً كاملاً على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، لأن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً لكي يبقى شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وسيبقى القرآن الكريم هو حجة الله البالغة على جميع خلقه، ومصدر التلقي الصحيح لأخبار أنبياء الله السابقين، وأممهم، وكتبهم إلى أن يشاء الله تعالى.

## ثالثاً: اعتراف الراهب جيروم بتحريف الأناجيل الأربعة المتداولة بين مسيحيي اليوم:

مسألة تحريف الأناجيل مسألة قديمة جديدة، وقد خاض فيها قبل المسلمين مفكرون أجانب كثيرون منذ «فولتير» (١٦٩٤م ـ ١٧٧٨م) والبارون «هولباخ» وقدامى القساوسة من مثل «جان ميلييه» واللاهوتي «ثيرو» (١٧٦٥م) والقس «إرنيست رينان» (١٨٢٣م ـ ١٨٩٢م)، إلى (ندوة يسوع) «The Jesus Seminar» التي تعقد بطريقة دورية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الحضور المتكرر فيها عالم اللاهوت (بارت إرمان) رئيس قسم الدراسات الدينية بجامعة كارولينا الأمريكية.

وقد قامت د. زينب عبد العزيز أستاذة الحضارة والتاريخ بكلية البنات بجامعة الأزهر الشريف، باكتشاف المخطوطة التي تثبت التحريف المتعمد للأناجيل الأربعة المتداولة بأيدي نصارى اليوم على يد الراهب جيروم

(Jerome). وذلك في رسالة رفعها في مقدمة مراجعته لهذه الأناجيل الأربعة إلى البابا داماز داماسوس الأول (Pope Damasus I) رأس النصرانية في ذلك العهد. وقد وُجدت هذه الوثيقة في المكتبة العامة الفرنسية المسماة باسم/ «مكتبة فرانسوا ميتران» تحت رقم [C-244 (1) T1 11.1-A] وفيما يلي نص هذه الوثيقة الخطيرة:

**رابعاً: نص وثيقة الراهب جيروم:**

## المجلد الأول من أعمال الراهب جيروم
## بداية المقدمة
## حول مراجعة نصوص الأناجيل الأربعة
## إلى البابا داماز من جيروم

(تحثني على أن أقوم بتحويل عمل قديم لأخرج منه بعمل جديد، وتريد مني أن أكون حكماً على نُسخ كل تلك النصوص الإنجيلية المتناثرة في العالم، وأن أختار منها وأقرر ما هي تلك التي حادت أو تلك التي هي أقرب حقّاً من النص اليوناني، إنها مهمة وعرة، لكنها مغامرة خطرة إذ سيتعيَّن عليَّ تغيير أسلوب العالم القديم وأعيده إلى الطفولة، وأن أقوم بالحكم على الآخرين، ويعني ذلك في نفس الوقت أنهم سيحكمون فيه على عملي. فمَن يضمن لي أنه من العلماء أو حتى من الجهلاء حينما سيمسك بكتابي هذا بين يديه ويلحظ التغيير الذي وقع فيه بالنسبة للنص الذي اعتاد قراءته أنه لن يصيح بالشتائم ضدي ويتهمني بأنني مزور ومدنس للمقدسات؛ لأنني تجرأت وأضفت وغيَّرت وصححت في هذه الكتب القديمة؟).

(وحيال مثل هذه الفضيحة، هناك شيئان يخففان من روعي؛ الأمر الأول: أنك أنت الذي أمرتني بذلك، والأمر الثاني: أن ما هو ضلال لا يمكن أن يكون حقّاً، وهو ما تقرره أقذع الألسنة شراسة. وإذا كان علينا أن نضفي بعض المصداقية على مخطوطات الترجمة اللاتينية، ليقل لنا أعداؤنا أيها أصوب؛ لأن هناك من الأناجيل بعدد الاختلاف بين نصوصها، ولماذا لا يروقهم أن أقوم

بالتصويب اعتماداً على المصادر اليونانية لتصويب الأجزاء التي أساء فهمها المترجمون الجهلاء، أو بدلوها بسوء نية، أو حتى قام بعض الأدعياء بتعديلها).

(وإذا كان علينا دمج المخطوطات جميعها فما يمنع أن نرجع ببساطة إلى الأصول اليونانية ونبعد بذلك عن أخطاء الترجمات السيئة أو التعديلات غير الموفقة من جانب الذين تصوروا أنهم علماء، أو الإضافات التي أدخلها الكتبة النعسانون! إنني لا أتحدث هنا عن العهد القديم والترجمة السبعينية باللغة اليونانية التي لم تصل إلا بعد ثلاث ترجمات متتالية من العبرية إلى اليونانية ثم إلى اللاتينية. ولا أود أن أبحث هنا ما الذي سيقوله أي من «أكويلا» أو «سيماك»، أو لماذا آثر «تيودوسيان» اختيار موقف الوسط بين المترجمين القدامى والحديثين؛ لذلك سأعتمد على الترجمة التي يمكن أن يكون قد عرفها الحواريون).

(وأتحدث الآن عن العهد الجديد، المكتوب بلا شك باللغة اليونانية فيما عدا إنجيل متَّى الذي كان قد استعان أولاً بالعبرية لنشره في المنطقة اليهودية. إن هذا الإنجيل يختلف يقيناً عن الذي بلغتنا نظراً لتعدد المصادر التي استعانوا بها لتكوينه. وقد آثرت أن أرجع إلى نص أساسي، فلا أود الاستعانة بترجمات المدعوين «لوشيانوس» أو «هزيكيوس» التي يدافع عنها البعض بضراوة عن غير وجه حق، واللذين لم يكن من حقهما مراجعة لا العهد القديم بعد ترجمة السبعين، ولا أن يقوما بمراجعة النصوص الجديدة. فالنصوص الإنجيلية التي وصلتنا بلغات شعوب مختلفة توضح مدى الأخطاء والإضافات التي بها. وإذا كنت قد قمت بذلك بالنسبة للنسخ المكتوبة بلغتنا فلا بد وأن أعترف بأني لم أستفد منها شيئاً).

(وهذه المقدمة المتواضعة تقترح أن يكون ترتيب الأناجيل الاسْمِي على النحو التالي: «متى»، «مرقس»، «لوقا»، و«يوحنا». وقد تمت مراجعتها من عدة مخطوطات يونانية قديمة، وهي لا تبتعد كثيراً عن فحوى النسخ اللاتينية، فلم أقم إلا بتصويب الأجزاء التي بدت بعيدة عن المعنى الحقيقي وتركت الأجزاء

الأخرى كما وصلتنا في صياغتها البدائية ووضعت حرف (ب) أمام الترجمات التي قام بها «يوسيبوس» من القيصرية المقسمة إلى عشرة أجزاء وفقاً لـ «أمونيوس السكندري»، فقد ترجمتها إلى لغتنا التزاماً بالمعنى اليوناني فحسب، وإن كان هناك أي فضولي يود معرفة الأجزاء المتماثلة أو المتفردة أو التي تختلف تماماً عن تقسيمة العشرة يمكنه معرفة ذلك؛ **لأن الأخطاء قد تراكمت مع الوقت في كتبنا، وهو ما يجعل إنجيلاً ما يتفاوت عن الآخر، وأشرت إليه بحرف (جـ))**.

(لقد وقعت أخطاء عند محاولة التوفيق بينها؛ لذلك ترى خلطاً شديداً في الترجمات اللاتينية، فأحد الكتبة قد قال أكثر. وفي الآخر قد أضافوا إذا تصوروا أنه أقل. وأن «مرقس» في أجزاء كثيرة ينقل عن كل من «لوقا» و«متى»، وأن «متى» ينقل عن كل من «يوحنا» و«مرقس»، بينما كان كل إنجيل يحتفظ بما يخصه فحسب، فكل واحد منهم قد نقل عن الإنجيل الذي وقع في يده. لذلك عند قراءة الكشف الذي أقترحه لن يكون هناك أي خلط وسيتم التعرف على المتشابه بينها وعلى ما يخص كل منها بعد أن استبعدت الخلط والأخطاء).

(ففي الكشف الأول يوجد توافق بين الأناجيل الأربعة «متى» و«مرقس» و«لوقا» و«يوحنا»، وفي الثاني لا يوجد توافق إلا بين «متى» و«مرقس» و«لوقا»، وفي الثالث بين «متى» و«لوقا» و«يوحنا»، وفي الرابع بين «متى» و«مرقس» و«يوحنا»، وفي الخامس بين «متى» و«لوقا»، وفي السادس بين «متى» و«مرقس»، وفي السابع بين «متى» و«يوحنا»، وفي الثامن بين «لوقا» و«مرقس»، وفي التاسع بين «لوقا» و«يوحنا»، وفي العاشر ستجد كل ما هو خاص بكل إنجيل ولا يوجد في الأناجيل الأخرى. وفي كل إنجيل على حدة هناك أجزاء متفاوتة الطول كلما ابتعدنا عن التوافق).

(الرقم سيكون باللون الأسود، وسيتضمن رقماً آخر تحته بالأحمر لكي يدل في أي إنجيل يوجد ذلك الجزء المعني، فعند فتح الكتاب ومحاولة معرفة أي فصل ينتمي لهذه الترجمة أو تلك فإن ذلك سيتضح فوراً من الرقم الذي أضفته من

أسفل. وعند الرجوع إلى بداية الطبعة التي توجد فيها القوائم معاً وبفضل اسم الترجمة المحدد في بداية كل إنجيل يتم العثور على رقم كاتبه مع العناوين المختلفة لكل منهم، ويوجد بجوار هذا الأخير أسماء الفقرات المماثلة، وهكذا يمكن الاطلاع على الأرقام الموجودة في نفس الفصل. وما إن تتم معاينة هذه المعلومات يمكن التوصل إلى كل واحد مع مراعاة الأرقام التي تم تحديدها فيمكن معرفة الأجزاء المتشابهة أو المتماثلة (ب)).

(أرجو أن تكون بخير في المسيح وألا تنساني يا قداسة البابا) ا.هـ).

ولا نجد تعليقاً على هذا الاعتراف من أحد رهبان المسيحية أفضل من حكم ربنا ـ وهو علّام الغيوب ـ في التأكيد على تحريف العهدين القديم والجديد إذ يقول ﷻ في محكم كتابه العزيز:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول ـ عز من قائل ـ:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ويقول ـ وقوله الحق ـ:

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

### خامساً: بعض المراجع المختارة للفصل الأول:


**أولاً: تراجم العهدين القديم والجديد بالإنجليزية:**

١ ـ ترجمة الملك جيمس ط K.JV ١٨١٩م، ١٨٣٠م، ١٨٣٦م ١٩٥٠م، ١٩٨٩م.

٢ ـ ترجمة الدوي الكاثوليكية D.V ط ١٩١٤م.

٣ ـ ترجمة الأخبار السارة CNB ١٩٦٦م، ١٩٧١م، ١٩٦٧م، ١٩٩٢م.

٤ ـ ترجمة RCV ١٩٤٦م، ١٩٥٢م، ١٩٧١م.

٥ ـ ترجمة LBV ١٩٦٢م، ١٩٦٥م، ١٩٧١م.

٦ ـ الترجمة الإنجليزية المعتمدة ESV.

٧ ـ الترجمة الأمريكية المعتمدة ١٩٠١م والجديدة منها ١٩٦٧م، ١٩٧٢م، ١٩٩٥.

٨ ـ الترجمة الدولية الحديثة NIV.

٩ ـ العهد الجديد من ٢٦ ترجمة مجموعة من اللاهوتيين إصدار MARSHALL MORGAN & SCOTT.

١٠ ـ الكتاب المقدس من أربع تراجم وإصدار COLLINS.

١١ ـ KJ.VN.EBR.S.V PHILPS MODERN ENGLISH.

**ثانياً: التراجم العربية للعهدين القديم والجديد:**

١٢ ـ طبعة وليم واطس لندن ١٨٤٤م وهي تكرار لترجمة ١٦٧١م روما.

١٣ ـ الترجمة السامرية دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨م.

١٤ ـ الترجمة العربية ط ١٨٦٥م.

١٥ ـ الترجمة العربية الأرثوذكسية للأناجيل الأربعة ط ١٩٣٥م.

١٦ ـ ترجمة بأمر البابا كيرلس (١٩١١م) مطبعة عين شمس.

١٧ ـ ترجمة جورج فاخوري ط ١٩٥٣م.

١٨ ـ الترجمة اليسوعية الأولى والثانية.

١٩ ـ ترجمة جمعية الكتاب المقدس ط ١٩٧٩م (فإن دايك).

٢٠ ـ ترجمات الحياة والحياة التفسيرية.

**ثالثاً: التفاسير للعهدين القديم والجديد:**

٢١ ـ تفسير وليم باركلي ترجمة لجنة من اللاهوتيين إصدار دار الثقافة القاهرة.

٢٢ ـ تفسير آدم كلارك ط ١٨٥١ لندن.

٢٣ ـ تفسير متى هنري، ترجمة القمص مرقس داود القاهرة.

٢٤ ـ تفسير لاردنر ط ١٨٢٧م لندن.

٢٥ ـ تفسير القمص تادرس اليعقوبي ملطي القاهرة.

٢٦ ـ تفسير هنري واسكات لندن.

٢٧ ـ التفسير الحديث للكتاب المقدس دار الثقافة القاهرة.

٢٨ ـ تفسير هورن ط ١٨٢٢م لندن.

٢٩ ـ تفسير واتسن لندن.

٣٠ ـ تفسير هارسلي.

٣١ ـ تفسير طومسن نيوتن ط ١٨٠٣م لندن.

٣٢ ـ تفسير دوالي وروجردمينت ط ١٨٤٨م لندن.

٣٣ ـ تفسير بنيامين بنكرتن إنجيل متى.

٣٤ ـ دراسات في العهد القديم سلسلة لتفسير الأسفار المحذوفة مراجعة الأنبا أيسوذورس.

٣٥ ـ شرح رسالة غلاطية القس غبريال رزق الله.

**رابعاً: بعض التعليقات على العهدين القديم والجديد:**

٣٦ ـ دلائل تحريف الكتاب المقدس للدكتور شريف سالم ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ـ الدار العلمية للنشر والتوزيع ـ القاهرة.

٣٧ ـ المساومة الكبرى: من مخطوطات قمران إلى المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني للأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز (الطبعة الثانية ٢٠٠٨م ـ دار الشرق ـ الدوحة قطر).



# الفصل الثاني

# جمع القرآن الكريم وكتابته وحفظه

## أولاً: كيف نزل الوحي بالقرآن الكريم؟:

نزل الوحي بالقرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، من قبل ألف وأربعمائة سنة بلسان عربي مبين، وتم نقله عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي تم تدوينه كتابة عقب الوحي مباشرة بكل آية أو مجموعة آيات منه، ثم تم ترتيبه في سوره بتوقيف من الله ـ تعالى ـ بنفس الترتيب الموجود اليوم بين دفتي المصحف الشريف (من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»)، والممثل ببلايين النسخ من المصاحف التي خطت، أو صورت، أو طبعت على مر العصور، والتي توارثها بلايين الحفاظ وسجلوها في الصدور جيلاً بعد جيل، من جيل الوحي المبارك حتى اليوم، وإلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ، ومن ثم تم حفظه على مختلف صور الأشرطة والأسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

## ثانياً: لماذا تعهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم؟:

تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم حفظاً مطلقاً فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والسبب في هذا العهد الإلٰهي المطلق هو أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، ولا أن يحقق رسالته في هذه الحياة الدنيا بنجاح دون هداية ربانية خاصة في الأمور التي يعلم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه المحيط

أن الإنسان عاجز عجزاً كاملاً عن الوصول فيها إلى أية تصورات صحيحة، وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات** التي تشكل ركائز الدين.

وهذه الهداية الإلٰهية علمها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم ﵇ لحظة خلقه، ثم أوحاها إلى عدد كبير من أنبيائه ورسله الذين بعثهم إلى مختلف بقاع الأرض على فترات من الزمن كي يجدد بهم هذه الهداية الربانية التي أكملها وأتمها في وحيه الخاتم (القرآن الكريم)، ولذلك تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً، فظل محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ لأن سلسلة النبوات والرسالات قد ختمت ببعثة النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي ﷺ فكان لا بد من حفظ رسالته حتى يتحقق العدل الإلٰهي الموصوف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن الثابت أن حفظ كل رسالة من الرسالات السماوية السابقة كان قد وُكِّل لأتباعها فضيّعوها، ومن هنا كان لا بد من إنزال رسالة خاتمة يحفظها الله ـ تعالى ـ بحفظه، وفي هذا يقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهذه الآية الكريمة ـ وأمثالها في كتاب الله كثير ـ تؤكد على وحدة رسالة السماء. وعلى الأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً.

وانطلاقاً من وحدانية الله ﷻ تتأكد **حقيقة وحدة الدين**، فكما أن الله ـ تعالى ـ واحد، فهدايته للبشرية لا بد وأن تكون واحدة، وهذه الهداية الربانية الواحدة اسمها **الإسلام**، وهو اسم مستمد من الأصلين العربيين (السلام) و(التسليم) بمعنى الرضا بأوامر الله ـ تعالى ـ، والتسليم لحُكمه بمنتهى القبول

والسعادة، ولذلك كان الإسلام هو دعوة كل أنبياء الله ورسله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

ويؤكّد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الحكم القاطع بقوله العزيز في نفس السورة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. كذلك يؤكد ربنا ﷻ على هذه الحقيقة في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

**ثالثاً: القرآن الكريم يؤكد أن كل نبي وكل رسول بعث بالإسلام:**

في العديد من الآيات يؤكد القرآن الكريم على أن جميع أنبياء الله ورسله بعثوا بالإسلام القائم على التوحيد الخالص لله ـ تعالى ـ، وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وفي ذلك نقرأ من كلام ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الآيات القرآنية التالية:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].
- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٧ ـ ٣٩].
- ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

- ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٣٣].
- ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].
- ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧، ٦٨].
- ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ (٨٣) قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣، ٨٤].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].
- ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

ومن هنا يُحتِّم القرآن الكريم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على كل مسلم ومسلمة، دون تمييز أو تفريق انطلاقاً من أمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز:

- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

### رابعاً: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها:

سبق وأن ذكرنا أن آيات القرآن الكريم (البالغ عددها ٦٢٣٦ آية) نزلت منجمة (أي: متفرقة) على مدى ثلاث وعشرين سنة، وأنها كتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكل منها أو بكل مجموعة منها أو بكل سورة من سورها مباشرة، ثم رتبت تلك الآيات في مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسميت السور ورتبت بتوقيف من الله ﷻ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية)، بينما تعرضت الكتب السماوية السابقة كلها للضياع التام، وما بقيَ من ذكريات عن عدد قليل جداً منها ظل ينقل شفاهاً من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون قبل البدء في تدوينها بأيدي مجهولين، ممن ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، وبلغات غير اللغات التي أوحيت بها مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير. ولا تزال هذه الذكريات المنقولة شفاهاً عن عدد من صور الوحي السابقة تتعرض لذلك

التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات من التراث الشعبي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير، وللحذف والإضافة باستمرار. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل مما نعلم من الكتب السماوية التي نؤمن بأصول كل منها ـ كلًّا من: «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل» و«القرآن الكريم» لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم أو الجديد»، آو «المانوسمتري» أو «كتاب بوذا» أو غير ذلك من الكتب الموضوعة بأيدي نفر من الناس، سواء كانت لها علاقة بوحي سماوي سابق، أو لا علاقة لها البتة بأي من ذلك الوحي.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ولذلك ظل محتفظاً بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي الذي جاء به، فأصبح الكتاب الوحيد الذي يتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأدعية.

وفي التأكيد على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي تولى جمع القرآن الكريم في قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأجراه على لسانه وبَيَّنَ له معانيه، والرسول يسمعه من جبريل عليه السلام ويجهد نفسه في متابعته حتى لا يتفلت حرف واحد منه نقرأ قول رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ له ﷺ آمراً إياه بالأمر الإلٰهي:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

والوعد الإلٰهي بحفظ القرآن الكريم وعد مطلق، ولذلك حفظ هذا الكتاب الخالد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً إلى ما شاء الله ليبقى شاهداً على الناس أجمعين حتى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

## خامساً: تحدي الله ﷻ للثقلين أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وعجزهم عن ذلك:

تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن مجتمعين متظاهرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يتقدم عاقل فيقول إنه استطاع أن يكتب شيئاً من مثل القرآن الكريم. كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على كل من ادعى من المشركين أن الرسول ﷺ هو الذي كتب القرآن الكريم، وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة والكتابة وذلك بقوله ـ تعالى ـ وقوله الحق:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب الفصاحة والبلاغة وحسن البيان ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم فيقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضيّ أكثر من أربعة عشر قرناً على مجيء الوحي بالتنزيل.

وقد عجزت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تداني كتاب الله في روعة بيانه، وجمال نظمه، وشمول علمه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق إنبائه، وسمو معانيه، وعدالة تشريعه، أو في مكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها لتطابق المصالح العامة والتامة لكلٍّ من الأفراد والمجتمعات؛ أو في سمو العقائد التي رسَّخها، والعبادات التي شرعها، أو في كلٍّ من الحقائق التاريخية والإشارات العلمية التي أوردها، أو في نهجه

وصياغته، وتمام إحاطته بطبائع النفس الإنسانية، ودقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ. وقد جاء القرآن الكريم في كل ذلك بنماذج منتقاة كدروس للبشرية في مجال تحقيق سنة الله بإهلاك الضالين من الكفار والمشركين والطغاة الباغين، المفسدين في الأرض ونجاة المؤمنين بالله، الموحدين لذاته، المنزهين لجلاله (عن الشريك، والشبيه، والمنازع، والصاحبة، والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله) والمجاهدين من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها.

**سادساً: الله ـ تعالى ـ يمتدح القرآن الكريم:**

يمتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الكتاب المجيد في العديد من آياته التي نختار منها قوله الحق:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].
- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].
- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].
- ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

## سابعاً: رسول الله ﷺ يمتدح القرآن الكريم:

ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى ضرورة مدارسة القرآن الكريم: وذلك بوصاياه العديدة التي نختار منها ما يلي:

- «**ألا إن رحى الإيمان دائرة فدوروا مع كتاب الله حيث يدور، ألا إن السلطان والكتاب سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...**»[١].
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»[٢]، وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه؛ والتماس غرائبه أي: معرفة ما غمض من معانيه على قارئه.
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف ولام وميم**»[٣].

---

(١) أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في المعجم الصغير.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه.

- وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكل به أربعة ملائكة يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة**»(١).
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف**»(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، **ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**»(٣).

- وعنه ﷺ أنه قال: «**فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**»(٤).

وقد أورد هذا الرسول الخاتم ﷺ أحاديث كثيرة في فضل القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الترمذي والإمام أحمد.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وبركات الاعتصام به، وفي الحث على تعلمه وحفظه وتعليمه، وعلى مداومة تلاوته وتفسيره، وتدبر معانيه، وفهم دلالات آياته، والمجاهدة من أجل العمل به، وتحقيق هدايته أمراً واقعاً في حياة المسلمين: أفراداً وأُسَراً ومجتمعات. كما حث رسول الله ﷺ على فضل الاستماع إلى القرآن الكريم، والانفعال بمعاني آياته إلى حد البكاء، تأثراً بكلام رب العالمين. مؤكداً أن هذا الكتاب الكريم، رفعة لحامله في الدنيا والآخرة، وله في ذلك ﷺ أقوال كثيرة نختار منها ما يلي:

- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل أهلين من الناس**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»[(١)].

  وعن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به**»[(٢)].

- وعنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٣)].

- «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**» «**اقرأوا الزهراوين: سورتي البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما**»[(٤)].

  «**اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**» (أي السحرة)[(٥)].

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم القرآن**

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه مسلم.

**فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كانوا كلهم قد وجبت لهم النار»**[١].

- وروى عن ابن عباس ﭬ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل»**[٢].
- قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﭬ وأرضاه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»**[٣].
- وقال ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»**[٤].
- وعن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورتا البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما»**[٥].
- وقال ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: **«أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً»**[٦].
- **«إذا ختم القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك»**[٧].
- **«من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة»**[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.
(٢) ابن أبي الدنيا، والبيهقي.
(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والدارمي.
(٤) رواه الترمذي في سننه.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الطبراني.
(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٨) رواه الإمام أحمد.

- **«من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين»**(١).
- ويروي رسول الله ﷺ عن الله ـ عز وجل ـ قوله الكريم:

**«من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»**(٢).

وعلى هذا الفضل العظيم لتلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه يبقى تدبر معاني آياته، ومدارستها، والالتزام بما فيها من أوامر الله، واجتناب ما فيها من نواهيه، والدعوة إلى هذا الخير بين الناس بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي، يبقى لذلك كله من الأجر ما يفوق أجر التلاوة. لذلك كان رسول الله ﷺ يوصي بتدبر معاني القرآن الكريم عند التلاوة، وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتوقف عند كل آية: «فكان إذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب استجار بالله وتعوذ من عذابه، وإذ مر بآية فيها تنزيه لله تعالى سبح»(٣).

وفي ذلك يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**(٤).

من هنا كان حرص السلف الصالح على كتاب الله: حفظاً، وفهماً، وممارسة وتدبراً، وتطبيقاً عملياً في الحياة. فعن أبي عبد الرحمٰن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا

---

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم وأبو داود.

تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[١].

والذاكرة في الصغر: صافية، طاهرة، خالية من كل كدر، ومن هنا تكون قدرتها الهائلة على الحفظ بسهولة ويسر. والطفل المسلم إذا حفظ القرآن الكريم في الصغر فصح لسانه، وقوي بيانه، وطهر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركزت معاني القرآن وقيمه النبيلة في ذاته، وترسخت في قلبه وعقله ركائز العقيدة الإسلامية السامية، ومن أبرزها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتنزيه الخالق العظيم ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس أجمعين الذين ينتهي نسبهم إلى أب واحد هو نبي الله آدم عليه السلام، وإلى أم واحدة هي أمنا حواء ـ عليها من الله الرضوان ـ وما أحوج الإنسانية المضطربة التائهة، الضائعة، المتصارعة اليوم إلى هذه القيم النبيلة.

وحفظ القرآن الكريم في الصغر يرسخ في قلوب وعقول حافظيه من حب لمكارم الأخلاق، ولجميل الصفات ما يطبعهم على الالتزام بها، ويرفعهم في معايير الدنيا والآخرة، ويفهمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عباداً لله، مطالبين بعبادة ربهم بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله فيها، وما أجلّ الاستقامة على منهج الله..!!!

- والقرآن الكريم يحفظ حامله من كل مكروه، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: **«ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب»**[٢].
- ويقول ﷺ: **«من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه»**[٣].

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤).

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه الإمام البخاري وغيره.

- ويقول: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل والنهار**»(١).
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).
- ويقول ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر**»(٣).
- وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بسورة «الإخلاص» فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء صنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمٰن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٤).

وهذه الرواية على بساطتها تؤكد فضل تدبر القرآن الكريم وفهم دلالة آياته، لأن الله ـ تعالى ـ أنزله لنا نوراً وهداية في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، ومنهجاً ربانياً تستقيم به حياة الناس، ولا تستقيم بغيره، ولذلك ألح رسول الله ﷺ على مداومة تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معاني آياته، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاجتهاد في حفظه ومدارسته من كل جوانبه.

وحذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من هجر القرآن الكريم، وشكا هاجريه إلى

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٧٣٧٥.

رب العالمين، والتنزيل ينطق على لسانه الشريف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

- وحذر رسول الله ﷺ كذلك من حرمان المسلم نفسه من بركات القرآن الكريم فقال: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[١].

- كما حذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من نسيان القرآن الكريم بعد حفظه فقال: «**من حفظ القرآن ثم نسيه فليس منا**»[٢]، ولذلك أوصى بمعاهدة القرآن باستمرار فقال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها**»[٣].

- كذلك حذر ﷺ من التردد في تلاوة القرآن الكريم بحجة صعوبة ذلك على بعض المسلمين من غير الأصول العربية، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران**»[٤].

## ثامناً: من فضائل القرآن الكريم:

**(أ) إنه كلام الله الخالق** الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ الإلٰهي تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى قيام الساعة بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٩١٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩١).

(٤) رواه الإمام أحمد.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والتعبير القرآني (**تبياناً لكل شيء**)، يعني كل شيء من أمور الدين بركائزه الأربع الأساسية: **العقيدة، العبادة، الأخلاق، والمعاملات.** ولو شاء الله ـ تعالى ـ أن يجعل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء من أمور الدنيا أيضاً لكان هذا الكتاب العزيز مجلدات عديدة لا يمكن للفرد الواحد أن يتمه قراءة في عمره كله، فضلاً عن حفظ نصه، والعمل به. ودليلنا على ذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يخبرنا في القرآن الكريم عن جميع أنبيائه ورسله وهم جمع غفير، واختار من قصصهم خمسة وعشرين فقط حتى تكون مدارسة قصصهم فرصة لاستخلاص العظة والعبرة، والاستفادة بالدرس.

**(ب) إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه فحفظ في نفس لغة وحيه** (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله لأن هذا الوعد الإلٰهي الذي لم يطلق لرسالة سابقة أبداً، هو وعد مطلق، بينما كان حفظ الرسالات السابقة كلها قد ترك لأتباعها فضيعوها، وهذه آيات القرآن الكريم تشهد على ذلك بقول ربنا ـ تبارك اسمه ـ وقوله الحق:

- ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].
- ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].
- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

**(جـ) إنه كتاب معجز في كل أمر من أموره** لأنه كلام الله الخالق البارئ المصور، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط فريد من الصياغة العربية لم تعرفه العرب من قبل، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم في قمة من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان.

والإعجاز في القرآن الكريم (بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله) ليس مقصوراً على نظمه ـ كما يدعي البعض ـ لأنه ما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويجد منها جانباً من جوانب الإعجاز الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠].
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

**(د) ومن جوانب الإعجاز في كتاب الله ما يلي:**

١) **الإعجاز اللغوي**: الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، الدلالي.

٢) **الإعجاز التشريعي**: مثل الإعجاز في فقه الأسرة والمجتمع، وفقه

المعاملات، فقه السلوك، فقه المطعومات والمشروبات، فقه العقوبات، فقه القتال، فقه الولاء والبراء، وفي غيرها من أبواب الفقه.

٣) **الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة)**: بمعنى فضل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك؛ وفضل التوحيد الخالص على الشرك بالله، وفضل الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله على التحلق حول واحد منهم والمبالغة في تقديسه إلى حد عبادته من دون الله كما فعل كل من اليهود والنصارى.

٤) **الإعجاز التعبدي (إعجاز العبادة)**: بمعنى فضل صلاة المسلمين على صلوات غيرهم، وفضل نظام الزكاة عندهم على نظام الضرائب والمكوس عند غيرهم، وفضل صيامهم وحجهم على صيام غيرهم وحجهم.

٥) **الإعجاز الأخلاقي**: بمعنى مواءمة الدستور الأخلاقي في القرآن الكريم للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٦) **الإعجاز العلمي**: بمعنى السبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الوجود بدقة علمية مطلقة شملت الإنسان، والحيوان، والنبات، والكون ومكوناته، وظواهره.

٧) **الإعجاز التاريخي**: بالإشارة الدقيقة إلى عدد من الوقائع التاريخية التي بدأت الاكتشافات الآثارية في إثبات صحتها.

٨) **الإعجاز التربوي**: الذي يهتم بحسن بناء الإنسان الصالح، وليس فقط المواطن الناجح.

٩) **الإعجاز النفسي**: الذي يهتم بمخاطبة النفس الإنسانية بما يرقى بها إلى معارج الله العليا كما لا يمكن أن يرقى بها خطاب سواه.

١٠) **الإعجاز الاقتصادي**: من مثل ما جاء في تشريعات الزكاة، وفي تحريم التعامل بالربا، والأمر بكتابة كل من الدَّيْن والوصية والإشهاد عليهما.

والكارثة الاقتصادية التي عمت أهل الأرض جميعاً في أواخر سنة ٢٠٠٨م أنطقت غالبية الاقتصاديين من غير المسلمين بأن التشريعات المالية الإسلامية هي الحل للخروج من هذه الكارثة، مما أثبت فشل النظامين الوضعيين للاقتصاد: النظام الشيوعي الاشتراكي، والنظام الرأسمالي الديموقراطي، والحق ما شهدت به الأعداء.

١١) **الإعجاز الإداري**: من مثل حسن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات، والعدل بين المرؤوسين، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على الحقوق، والمساواة بين الناس، وتحريم تحكيم الأهواء الشخصية، والمحافظة على المصالح العامة وحسن الائتمان عليها.

١٢) **الإعجاز الإنبائي**: من مثل الإخبار بعدد من الأحداث المستقبلية التي تحقق بعضها، ولا زلنا ننتظر تحقق البعض الآخر.

١٣) **الإعجاز الصوتي**: من مثل إعجاز الجرس الصوتي في ختام كل آية من آيات القرآن الكريم.

١٤) **إعجاز الحفظ في نفس لغة الوحي (اللغة العربية)**: على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، والتعهد بذلك الحفظ إلى ما شاء الله.

١٥) **إعجاز التحدي للإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم**: في أسلوبه ومضمونه، ودقة كل أمر من أموره، دون أن يتمكنوا من ذلك، على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلت في هذا السبيل، وانتهت بالفشل الذريع.

**(هـ) إنه الكتاب الوحيد المتضمن لدين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه:**

وذلك لأن الدين هو بيان من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا ـ تبارك اسمه ـ بعلمه المحيط أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية

ضوابط صحيحة لنفسه فيها وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات**، وهي ركائز الدين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ويقول ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

**(و) إنه الكتاب الوحيد الذي تكاملت فيه جميع الرسالات السماوية:**

انطلاقاً من حقيقة أنه يأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون أدنى تفريق بينهم لأن رسالات هؤلاء الرسل جميعاً كانت الإسلام، إلا أن أتباعها ضيعوها وحرفوا ما بقي من ذكراها ولذلك كَذَّبوا الرسالة الخاتمة لأنها كشفت كفرهم بالله، وتحريفهم لرسالاته، وتطاولوا على الرسول الخاتم ﷺ الذي أكد خروجهم على منهج الله ـ تعالى ـ، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٤ ـ ٢٦].

**(ز) إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ اليوم في نفس لغة وحيه:** فقد أنزل بلسان عربي مبين، وحفظه الله ـ تعالى ـ في نفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وعلى ذلك فلا بد من فهم دلالة ألفاظه وتركيب جمله، وأساليب التعبير فيه في إطار هذه اللغة التي تعتبر أم اللغات كلها، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].
- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].
- ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].
- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

**(ح) إن الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات مصاغة صياغة شديدة الوضوح والإحكام** حتى يفهمها كل إنسان ـ قلت ثقافته أم زادت ـ وإن كانت الحكمة من وراء كل أمر من هذه الأمور قد تحتاج إلى شيء من التفصيل. ومن أمثال ذلك قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

**(ط) إن الإشارات الكونية (المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره) في كتاب الله مُصاغة صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل في تكامل لا يعرف التضاد، وليس هذا لغير كلام الله، ومن هنا لا بد من توظيف الحقائق العلمية المتاحة في كل عصر من أجل فهم دلالة الآية القرآنية، وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد هائل من حقائق الكون،** ومن هنا كانت الإشارات القرآنية الكثيرة التي تنبه إلى مستقبلية الكشف عن أعداد من الحقائق العلمية الثابتة التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بكتاب الله، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

- ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].
- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].
- ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٦، ٨٧].
- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

**(ي) إن القرآن الكريم يجمع بين الدنيا والآخرة وبين عالمي الشهادة والغيب في معادلة واحدة،** بينما أغلب الناس غارقون إلى آذانهم في عالم الشهادة (أي الدنيا الفانية) ولَاهُونَ عن الآخرة الباقية، حتى يفاجأ كل فرد منهم بالموت، ثم بالحشر والحساب والجزاء، وهو صفر اليدين من الحسنات، في حين أن الكون كله يسبح الله ـ تعالى ـ ويسجد له ويمجده ويقدسه، وفي ذلك يؤكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هلاك الغافلين من عباده، المنبهرين بالكشوف العلمية والتقنية،

والغارقين في مادياتها، دون النظر إلى جوانب الحكمة فيها، والدلالة منها على خالقها وذلك بما ينطق به التنزيل فيقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وفي المقابل يؤكد القرآن الكريم أن كل ما في الوجود من الخلق غير المكلف يسجد لله ـ تعالى ـ سجوداً فطرياً، تسخيرياً، لا اختيار له فيه، فيقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ۩﴾ [الرعد: ١٥].

ويقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وانسجام الإنسان مع الكون في الخضوع بالعبادة والتسبيح والطاعة للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ له مردوداته الإيجابية على حياة الإنسان المادية والروحية على حدّ سواء.

**(ك)** في الوقت الذي تحاول الحضارة المادية المعاصرة رد كل سبب في الوجود إلى ما يسمونه الطبيعة، فإن القرآن يؤكد على أن الله ـ تعالى ـ هو واضع جميع السنن والقوانين التي تحكم كل صغيرة وكبيرة في الكون، وأن من وراء السنن هناك إرادة الله الغالبة المدبرة لكل أمر، ومشيئته المطلقة الحاكمة لكل شيء، وفي ذلك يقول ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

**(ل) إن القرآن العظيم يكرم الإنسان** ويفضله على كثير مما خلق الله تفضيلاً، في الوقت الذي ترده الحضارة المادية المعاصرة إلى الحيوانية المحضة فتصفه

بالحيوان الناطق أو الضاحك أو الاجتماعي وشتان ما بين الموقفين. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقرر القرآن الكريم كذلك أن الإنسان ـ هذا المخلوق المكرم ـ هو صاحب إرادة حرة إذا استخدمها في طاعة الله وأخذ بالمنهج الذي وضعه له الله ـ تعالى ـ في هذه الحياة ارتفع بنفسه إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، ليلحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين يصفهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(م) بينما تقوم الحضارات المادية كلها على أساس من العصبيات العرقية، أو الاجتماعية أو الإقليمية الضيقة البغيضة، فإن القرآن الكريم يؤاخي بين الناس جميعاً لأنه يردهم إلى أبوين كريمين هما آدم وحواء عليهما السلام وانطلاقاً من ذلك يؤاخي بين الناس جميعاً، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].
- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].
- ويقول الرسول ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»[١].

---

(١) أخرجه الربيع في مسنده ح: ٤١٩.

(ن) ويقر القرآن الكريم أن الإنسان إذا التزم بهذا المنهج الرباني ارتفع في معراج الله إلى أعلى عليين فيكون له أجر غير ممنون، وإذا انحرف عن منهج الله انحط إلى أسفل سافلين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

(س) كذلك يقرر القرآن الكريم أن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الحياة وهذا هو ما جسّده تاريخ البشرية إلى اليوم ـ ولذلك قال تعالى ـ:

- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].
- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

(ع) **إن القرآن الكريم هو الحق المطلق الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم وهذا الحق هو قوام الوجود كله**، فإذا التزم به العبد صلح أمره كله، وسعد في الدنيا ونجا في الآخرة، وإذا حاد عنه فسد في الدنيا وهلك في الآخرة، وتاريخ البشرية عبر الأربعة عشر قرناً الماضية شاهد على ذلك. والحق لا ينتصر لمجرد كونه حقاً، بل لا بد له من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات به، يدافعون عنه ويبذلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق نصرة الحق وأهله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].
- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].
- ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤].
- ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].
- ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].
- ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].
- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].
- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤، ٥٥].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].
- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(ف) لا بد للحق (ممثلاً في دين الله وهو الإسلام) أن يظهر، ولو بعد حين، ولا بد للباطل (ممثلاً في كل المعتقدات الوضعية) أن يزهق وتدول دولته مهما طال لها الأمد، وتاريخ الإنسان على سطح الأرض شاهد على ذلك، وفي ذلك يقول ربنا ـ جل شأنه ـ:

- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠].
- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].
- ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: ٦]
- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].
- ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].
- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].
- ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

**(ص)** من فضائل القرآن الكريم أنه يعلمنا ضرورة الأخذ بالأسباب قدر

الطاقة، ثم الرضا بقضاء الله وقدره، اطمئناناً إلى رحمة الله وعدله وحكمته، ولذلك يعلمنا هذا الكتاب الخالد ألا نحكم على الأمور بظواهرها لأننا لا نعلم إلا الظاهر فقط، والباطن في علم الله ﷻ القائل:

- ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].
- ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(ق) إن القرآن المجيد يُعلم المسلم كيف يعيش في كنف الله ورعايته، مؤكداً على ألا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، ولذلك يقول ﷻ:

- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].
- ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].
- ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].
- ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩].
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(ر) يؤكد القرآن الكريم على حقيقة الخلق، وعلى حتمية القيامة ثم البعث والحشر والحساب والجزاء بالخلود إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً. والعلوم المكتسبة تؤكد على أن الكون له بداية يحاول العلماء تقديرها. وكل ما له بداية لا بد وأنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية. ويشهد على ذلك أن الشمس تفقد من

كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن. ونحن نرى كل شيء في الوجود من الجمادات والأحياء يخلق ويموت، كما نرى الحرارة تنتقل من الأجسام الحارة كالنجوم، إلى الأجسام الباردة من مثل الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات حتى تتساوى درجات الحرارة فينتهي الكون إذا قدر له البقاء حتى يحدث ذلك، لأننا نحن معشر المسلمين نؤمن بأن الآخرة لن تتم بأي من سنن هذه الحياة الدنيا، ولكن بالأمر الإلٰهي: كن، فتكون. وحتمية الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ هي حقيقة الحقائق، ومن الطرق المؤدية إلى سلامة ذلك الرجوع حرص المسلم على الحياة حسب المنهج الذي وضعه الله ﷻ لعباده، وأنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وأكمله وأتمه وحفظه في رسالته ـ الخاتمة ـ التي أنزلها على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وتعهد بحفظها تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، ولذلك يخاطب القرآن الكريم هذا النبي الخاتم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ له:

- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].
- ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٩ ـ ٢١].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].
- ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].
- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [قٓ: ٤٥].
- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].
- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤].
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١، ٢].
- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ۝٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ۝٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٣١].

**(ش) إن القرآن الكريم نزل لنا لنفهمه، حتى نتمكن من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً في حياتنا**، ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على تدبر آياته وفهم دلالاتها وتطبيقها أمراً واقعاً في حياتنا فيقول ـ عز من قائل ـ:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].
- ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

- ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صۤ: ٢٩].
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

**(ت)** القرآن الكريم هو القول الفصل بين الحق والباطل، والحجة البينة، والذكر الحكيم، والهدي الناصع، والتذكرة لكل غافل، والفرقان في كل أمر، والمنزه عن كل نقص، والخالي من كل عيب وريب وعوج ولذلك قال ـ تعالى ـ فيه:

- ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهذا هو ما أثبتته كل دراسات القرآن الكريم في كل زاوية من زواياه، وفي كل قضية من قضاياه، ولذلك يأمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين بتلاوة كتابه العزيز، ومدارسة آياته، وتدبّر معانيها، كما أمرهم بحسن الاستماع إلى تلاوته، والإنصات لقراءته من أجل تحقيق ذلك.

**(ث) القرآن الكريم نظام شامل كامل للحياة التي يرتضيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده الصالحين:** يتخلق الفرد به مع ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومجتمعه، ومع البشرية كلها، ومع الكون كله: جماده، وأحيائه، وسننه وظواهره، لذلك وصفت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وهو أكمل البشر خَلقاً وخُلقاً فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

من هنا كانت أوامر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى عباده الصالحين بضرورة التمسك بكتابه العزيز: تلاوة، وحفظاً، وفهماً، وتدبراً وحكماً، وتشريعاً، وأخلاقاً وسلوكاً، وتطبيقاً عملياً كاملاً في الحياة من أجل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وتاريخ المسلمين عبر الأربعة عشر قرناً الماضية يؤكد على أنهم ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلا نهضوا وارتقوا وعزوا، وما أداروا ظهورهم لهما إلا تخلفوا وانحطوا، وذلوا ذلاً مهيناً.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

وهذه آيات القرآن الكريم تطرق أسماع الناس في كل حين آمرة بالتزام منهج الله، وإلا فلا نجاح، ولا فلاح، ولا نجاة إلا بتطبيقه دستوراً كاملاً شاملاً لحياة الناس أفراداً، وجماعات، ومجتمعات ودولاً وأمماً، ومن ذلك قول ربنا ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١، ٢].
- ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٣].
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

وقد حذر رسول الله ﷺ من رفع القرآن الكريم من الأرض، ومن خطر انتزاعه من القلوب في آخر الزمان، فمن رواية لعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «**أيها الناس! ما هذه الكتب التي تكتبون، أكتاب غير كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقاً ولا قلباً إلا أخذ منه**» قلنا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال ﷺ: «**من أراد الله تعالى به خيراً أبقى في قلبه: لا إله إلا الله**».

**وانطلاقاً من ذلك كله كان اهتمام علماء المسلمين بكتاب الله الكريم فوضعوا له من العلوم ما ييسر فهمه، مثل العديد من كتب التفسير، وعلوم القراءات، وعلوم رسم القرآن، وتواريخ جمعه وكتابته، وفواتح سوره، والناسخ والمنسوخ منه**، وأوجه الإعجاز المتعددة فيه، وإعرابه، وغرائب ألفاظه، والمحكم والمتشابه من آياته، والمجمل والمفصل منه، وقصصه، والمفرد والمكرر فيه، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بهذا الكتاب العزيز. حتى وضعت في علوم القرآن تصانيف عديدة تقدر بعشرات العلوم التي لم أرد الخوض فيها هنا لأن لها مراجعها العديدة الخاصة بها.

ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم دالة على معانيه، دلالة مأخوذة من دلالات اللغة العربية، فإن أغلب الآيات القرآنية لا تحتاج إلى التفسير، وإن اتضح ذلك بشكل جلي في الإشارات الكونية (أي التي تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره)، وهي في مجموعها تمثل سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من حقيقة أن علم الله المحيط بالطبيعة البشرية، وبمعارف الإنسان الجزئية ذات الطبيعة التراكمية، في كل المعارف المكتسبة، شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن تكون صياغة جميع الإشارات العلمية في القرآن الكريم صياغة معجزة، يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل ألفاظ الآية القرآنية الواحدة قادرة على الاتساع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى كلام الله مهيمناً على كلام البشر مهما اتسعت دوائره، وهذا عندي من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

فإن وجد في بعض ألفاظ القرآن الكريم ما قد يخفى مدلوله على أهل زماننا ـ وقد تفشت بيننا العجمة في زمن الفتن والتغريب الذي نعيشه ـ فإن هذه الألفاظ قد تم جمعها وتبويبها تحت ما يعرف باسم «غرائب القرآن الكريم» وقد عني بشرحها وبيان معانيها أئمة اللغة والتفسير في القديم والحديث كابن عبيدة، وابن دريد، والزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري، والراغب الأصفهاني، والسجستاني وأضرابهم في القديم، وكما فعل ذلك في زماننا كل من فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمهما الله برحمته الواسعة).

## تاسعاً: جمع القرآن الكريم وكتابته:

وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الحفظ مع دقة الترتيب) عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

كما وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الكتابة والتدوين). والمعنى الأول آتاه الله ـ تعالى ـ لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد. وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مر بمراحل ثلاث على النحو التالي:

### (١) جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ عدداً من كتاب الوحي منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ وكان منهم معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم، مما يجاوز عددهم الأربعين كاتباً، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بكتابة كل ما ينزل عليه

من القرآن الكريم الذي كان يدون على رقاع من جلود الحيوانات وعظام أكتافها، أو صحائف الحجارة، أو جريد النخل، أو قطع الخشب.

وكان ترتيب الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أول السورة، وترتيب السور من الأمور التوقيفية على أوامر من الله ـ تعالى ـ بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

وكان رسول الله ﷺ يملي ما يوحى إليه من القرآن الكريم مباشرة على كتاب الوحي، ويأمرهم بترتيب الآيات حسب ما يوصيه به جبريل عليه السلام، وقد ثبت في سيرته الشريفة أنه ﷺ قرأ العديد من سور القرآن الكريم كاملة في الصلاة أو في خطب الجمع والعيدين بنفس الترتيب الذي نجده في المصاحف اليوم، وكان ذلك على مسمع من آلاف الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ مما يؤكد على أن ترتيب الآيات في كل سورة، وترتيب السور كما نجده في القرآن الكريم كله هو أمر توقيفي. وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ينهى عن (النكوص) في التلاوة، بمعنى: القراءة في الصلاة من سورة متأخرة قبل سورة متقدمة، مما يؤكد على أن ترتيب السور القرآنية هو أمر توقيفي.

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله ﷺ مع استنساخ كُتَّاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أُملي على كل منهم. وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله ﷺ.

**(٢) جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:**

في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ عرف العرب الورق فأمر خليفة رسول الله بنسخ هذه الرقاع في مصحف واحد على الورق، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة (١٢هـ) والتي استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن الكريم من الصحابة، فهال ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء إلى أبي بكر يقترح جمع القرآن وظل يراجعه حتى

شرح الله ـ تعالى ـ صدره لذلك، فاستدعى أبو بكر كاتب الوحي الماهر بالقرآن زيد بن ثابت، وكان أمهر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكلفه بجمع القرآن من الرقاع المحفوظة في بيت رسول الله ﷺ في مصحف واحد ظل في عهدة الخليفة الأول حتى توفاه الله، فانتقل المصحف إلى عهدة الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند استشهاده انتقل إلى بيت أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. وقد ظفر مصحف أبي بكر الصديق بإجماع الأمة لمطابقته لما كتب على عهد رسول الله ﷺ وما احتوته صدور الحفاظ.

**(٣) جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

في أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن ترسل إليه بنسخة المصحف الشريف الذي كان قد تم جمعه على عهد الخليفة الأول فأرسلته إليه. وعلى الفور أمر سيدنا عثمان كلًّا من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بنسخ عدد من المصاحف من الأصل الذي أملاه رسول الله ﷺ على كتّاب الوحي، ثم جمع على عهد سيدنا أبي بكر الصديق. وكان هؤلاء الأربعة من كبار الحفاظ لكتاب الله، وكان زيد بن ثابت من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين هجرية. ثم رد الخليفة عثمان نسخة المصحف الأولى إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهم، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة من المصاحف التي تمت كتابتها في عهده، من مثل مكة المكرمة، الكوفة، البصرة، بلاد الشام، اليمن، والبحرين، بالإضافة إلى المصحف الإمام الذي احتفظ به سيدنا عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة.

وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يرسل مع كل نسخة من المصحف الشريف حافظاً يعلم الناس سلامة النطق بالقرآن الكريم، ورأى أن يحرق ما عدا ذلك من مصاحف كانت قد امتلأت بالشروح والتفاسير مما ليس من

القرآن في شيء حتى لا يختلف المسلمون، ولم يقدم سيدنا عثمان على ذلك إلا بعد مشورة الصحابة الكرام والحصول على تأييدهم.

كذلك تمكن عدد من حفاظ القرآن الكريم من استنساخ نسخ لأنفسهم من المصحف الإمام، وكان منهم كل من عبد الله بن الزبير وأمهات المؤمنين السيدات عائشة، وحفصة، وأم سلمة (رضي الله ـ تعالى ـ عنا وعنهم أجمعين).

ولما أعيد المصحف الشريف الذي تم جمعه على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﵁ إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ﵄ ظل عندها حتى توفاها الله، وقد حاول مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ) أن يأخذ منها تلك النسخة ليحرقها إجلالاً وتقديراً لكتاب الله، وكانت صفحاتها قد أخذت في الاهتراء، ولكنها أبت، ثم حصل عليها بعد وفاتها وقام بإحراقها لأن صفحاتها كانت قد أخذت في البلى والتهلهل.

ومن الثابت أن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قد رأى إحدى نسخ مصحف عثمان بالشام بعد منتصف القرن الثامن الهجري. وذكر أن هذا المصحف كان قد تم نقله من مدينة طبرية إلى دمشق في حدود سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) وأضاف بأن النسخة كانت مكتوبة بخط حسن، مبين، قوي، بحبر محكم، في رق يظن أنه من جلود الإبل.

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها وذلك لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فوفق الله ـ ﷻ ـ نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلٰهية التي حفظت لنا القرآن الكريم حفظاً كاملاً: حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة في نفس لغة الوحي (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً. وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب

العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبذلك يبقى هذا الكتاب الخالد حجة الله ـ تعالى ـ على عباده وقد قال ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وكذلك بقي القرآن الكريم الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمحفوظ بحفظ الله ـ تعالى ـ بين أيدي الناس على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية حتى اليوم، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ الذي وصف محكم كتابه بقوله العزيز: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.



## الفصل الثالث

# الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

تتعدد أوجه الإعجاز في كتاب الله بتعدد جوانب النظر فيه، فكل حرف من حروفه، وكل كلمة من كلماته، وكل آية من آياته فيها إعجاز لفظي وبياني ودلالي، وكل مجموعة من الآيات، وكل سورة من السور ـ طالت أم قصرت ـ تشهد لكتاب الله ـ تعالى ـ بأنه معجز بما فيها من قواعد عقدية، أو أوامر تعبدية، أو قيم أخلاقية، أو ضوابط سلوكية، أو أحداث تاريخية، أو إشارات علمية إلى شيء من أشياء هذا الكون الفسيح وما فيه من ظواهر وسنن وكائنات، أو خطاب إلى النفس الإنسانية أو أحكام تشريعية أو غيرها.

فكل تشريع، وكل قصة، وكل واقعة تاريخية، وكل إشارة تربوية، وكل نبوءة مستقبلية، وكل نصيحة تنظيمية، وكل خطاب إلى النفس الإنسانية مما جاء في القرآن الكريم يفيض بجلال الربوبية، ويتميز عن كل صياغة إنسانية في روعة الأسلوب، ودقة المحتوى وكماله وشموله مما يشهد للقرآن الكريم بالتفرد، كما يشهد بعجز الإنس والجن فرادى ومجتمعين عن الإتيان بشيء من مثله.

وقد أفاض المتحدثون عن أوجه الإعجاز في كتاب الله، فكان منهم من رأى ذلك في جمال بيانه ودقة نظمه وكمال بلاغته، ومنهم من رأى ذلك في روعة معانيه، وشمولها، واتساقها، ودقة صياغتها، وقدرتها على مخاطبة الناس على اختلاف مداركهم وأزمانهم، وإشعاعها بجلال الربوبية في كل آية من آياته..!!

ومنهم من أدرك أن إعجاز القرآن هو في كمال تشريعه ودقة تفاصيل ذلك التشريع وحكمته وشموله، ومنهم من وجده في استعراضه الدقيق لمسيرة البشرية ولتاريخ عدد من الأمم السابقة من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين

ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ، مما لم يكن يعلم تفاصيله أحد من الناس في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعد ذلك الزمن.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن الكريم في منهجه التربوي الفريد، وأطره النفسية السامية والعلمية في نفس الوقت، والثابتة على مر الأيام، أو في إنبائه بالغيب مما تحقق بعد نزوله بسنوات طويلة، أو في إشاراته إلى العديد من حقائق الكون وسنن الله فيه مما لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يصل إلى شيء من معرفته وقت نزول القرآن الكريم ولا لمئات السنين من بعد ذلك.

ومنهم من رأى إعجاز القرآن في صموده أمام كل محاولات التحريف التي قامت بها قوى الشر المتعددة متمثلة في الكفرة والمشركين، والملاحدة المتشككين على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد تعهد بحفظه بعهده الذي قطعه ﷻ على ذاته العلية ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً، وذلك بقوله العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ومن العلماء من يرى إعجاز القرآن الكريم في ذلك كله وفي غيره مما يقصر الحديث عنه فهناك **الإعجاز اللغوي**، البياني، النظمي؛ **والإعجاز العقدي والتعبدي والأخلاقي، والتشريعي**، وهناك **الإعجاز التاريخي، والتربوي، والنفسي، والاقتصادي، والإداري، والإعلامي**، وهناك **الإعجاز العلمي والتقني، والإعجاز العددي (الرقمي أو الحسابي)، والإعجاز الإنبائي، والإعجاز الصوتي؛ والإعجاز في الحفظ في نفس لغة الوحي، والحفظ من التحريف أو الضياع، وإعجاز التحدي** للإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وغير ذلك كثير، مما يؤكد على تعدد جوانب الإعجاز في كتاب الله وينفي قصر ذلك على إعجاز نظمه كما يتضح من التحليل التالي:

## الإعجاز النَّظْمِي ليس هو كل الإعجاز في القرآن الكريم:

لقد أوتي كل نبي من أنبياء الله وكل رسول من رسله من المعجزات ما شهد له بالنبوة أو بالرسالة، وهذه المعجزات كانت مما تميز به أهل العصر،

فموسى عليه السلام بعث في زمن شاع فيه السحر، فأعطاه الله ـ تعالى ـ من العلم ما أبطل به سحر السحرة، وعيسى عليه السلام بعث في زمن شاع فيه الاهتمام بالتطبيب فخلقه الله تعالى بمعجزة، وأنطقه وهو في المهد، وأعطاه من القدرات ما خلق بها من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طيراً بإذن الله، وما أبرأ به الأكمه والأبرص بإذن الله، وما أحيا به الموتى بإذن الله، فتفوق بذلك على أطباء عصره.

أما خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ فكان نبوغ قومه في الفصاحة والبلاغة وحسن البيان فآتاه الله ـ تعالى ـ القرآن وتحداهم أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو حتى بسورة واحدة من مثله. ولمَّا لم يتقدم عاقل ليقول إنه استطاع ذلك؛ ظن كثير من الناس أن إعجاز القرآن الكريم ـ بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله ـ متجسد في نظمه وفصاحته وبلاغته، خاصة وأن القرآن الكريم قد أدهش فصحاء العرب حين سمعوه، وأذهل عقولهم حين قرأوه، ولمَّا لم يجدوا سبيلاً إلى الطعن فيه لجأوا إلى وصفه بالسحر أو بالشعر؛ إقراراً بعجزهم عن الإتيان بشيء من مثله، وصدق الله العظيم إذ يقول مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣٤]، ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣].

انطلاقاً من ذلك ركزت الكثرة الكاثرة من القدامى والمعاصرين ـ على حد سواء ـ على ناحية نظم القرآن الكريم، وقد كان في مقدمة هؤلاء الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، وتبعه كثيرون كان منهم الواسطي (ت ٣٠٦هـ)، والطبري (ت ٣١٠هـ)، والأشعري (ت ٣٢٤هـ)، والسمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، والرماني (ت ٣٨٦هـ)، والخطابي (ت ٣٨٨هـ)، وكل من الباقلاني

(ت ٤٠٣هـ)، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ)، والثعلبي (ت ٤٢٧هـ) وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، والظاهري (ت ٤٥٦هـ) والجرجاني (ت ٤٧١هـ)، والغزالي (ت ٥٠٥هـ) والبغوي (ت ٥١٠هـ)، وكل من القاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، وابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ).

ويذكر ابن عطية في مقدمة تفسيره (١/ ٢٧٨) ما نصُّه: «إن الله قد أحاط بكل شيء علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن الكريم، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن الكريم إلى آخره، والبشر يَعُمُّهُم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك؛ فبهذا جاء نظم القرآن الكريم في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتهم الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا نرى البليغ يُنَقِّحُ القصيدة أو الخطبة حولاً، ثم ينظر فيها فيغير منها وهلم جراً. وكتاب الله لو نُزِعَتْ منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد . . . وقامت الحجة على العالم بالعرب؛ إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة».

وتلا هؤلاء الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، وكل من السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، والزملكاني (ت ٦٧١هـ) والعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، والقرطبي (ت ٦٧١هـ) والبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، والنسفي (ت ٧٠١هـ)، والخازن (ت ٧٤١هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، والزركشي (ت ٧٩٤هـ) من أعلام القرن الثامن الهجري، والثعالبي (ت ٨٧٦هـ)، والبقاعي (ت ٨٨٥هـ) من القرن التاسع الهجري، والسيوطي (ت ٩١١هـ) من أعلام القرن العاشر الهجري، والألوسي (ت ١٢٧٠هـ) من أعلام القرن الثالث عشر الهجري.

ونشطت الكتابة في موضوع الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين نشاطاً ملحوظاً، وكان ممن خاضوا هذا المجال كل من الأئمة: الزرقاني، الرافعي، الجزائري، المراغي، دراز، أبو زهرة، النورسي، محمد رشيد رضا، محمد فريد وجدي، القاسمي، عبد الجليل

عيسى، حسنين مخلوف، أبو زيد الدمنهوري، محمد محمود حجازي، سيد قطب، بنت الشاطئ، بدوي، البيومي، العماري، والمطعني وغيرهم، ومن هنا كان تحديد إعجاز القرآن الكريم في مجال نظمه وبيانه وفصاحته.

ولكن إذا جاز هذا التحديد على موقف التحدي من مشركي العرب ـ على الرغم من عدم وجود الدليل على ذلك ـ فإنه بالقطع لا يجوز على إطلاقه؛ خاصة أن العرب اليوم في جملتهم قد فقدوا الحس اللغوي الذي تميز به أسلافهم، وأن التحدي بالقرآن الكريم للإنس والجن متظاهرين هو تحد مستمر قائم إلى يوم الدين؛ مما يؤكد أن ما في القرآن الكريم من أمور الغيب، وحقائق التاريخ، ومن فهم دقيق لمكنون النفس البشرية وحسن الخطاب في هدايتها وإرشادها وتربيتها، ومن مختلف الصور التي رسمت أو ضربت لعجائب آيات الله في خلقه، ومن غير ذلك مما اكتشفه ولا يزال يكتشفه في كتاب الله متخصصون في كل حقل من حقول المعرفة لا يمكن أن يبقى بمعزل عن ذلك التحدي المفضي إلى الاعتراف بحقيقة الإعجاز القرآني، والدال على أن القرآن هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله كي يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة. وبهذه الصفة لا بد وأن يبقى في هذا الكتاب الخالد من جوانب الإعجاز ما يناسب كل عصر، وأبرز ما يناسب عصرنا الحالي ـ وهو عصر التقدم العلمي والتقني المذهل ـ هو جانب الإعجاز العلمي في كتاب الله.

**الإعجاز العلمي في كتاب الله:**

يزخر القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات)، وإلى صور من نشأتها ومراحل تكونها، وإلى العديد من الظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلٰهية التي تحكمها، وما يستتبعه كل ذلك من استخلاص للعبرة وتفهم للحكمة، وما يستوجبه من إيمان بالله، ويقين

بكمال صفاته وأفعاله، وهو ﷻ الخالق البارئ المصور الذي أبدع الخلق بعلم وقدرة وحكمة لا تحدها حدود، ولا يفي بحقها وصف.

وقد أحصى الدارسون لهذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يُقَدَّر بحوالي ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة. وبدوام اتساع دائرة المعرفة الإنسانية، وتكرار تأمل المتأملين في كتاب الله، وتدبر المتدبرين لآياته ـ جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر ـ لن ينفك العلماء والمتخصصون يكتشفون من حقائق الكون الثابتة في كتاب الله ما يؤكد على تحقق الوعد الإلٰهي الذي يقول فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبدهي أن يتباين موقف العلماء من تلك الإشارات الكونية في كتاب الله بتباين الأفراد وخلفياتهم الثقافية وأزمانهم، وباتساع دائرة المعرفة الإنسانية في مجال الدراسات الكونية التي تعرف باسم «دراسات العلوم البحتة والتطبيقية» من عصر إلى عصر. وأول من بسط القول في ذلك كان **الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)** في كتابيه «إحياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» والذي رفع فيهما شعارات عديدة منها أن القرآن الكريم يشمل العلوم جميعاً، وأن من صور إعجاز القرآن الكريم اشتماله على كل شيء، وأن كل العلوم تشعبت من القرآن الكريم، حتى علم الهيئة، والنجوم، والطب إلى آخر ما ذكر.

وتبع الإمام الغزالي في ذلك كثيرون، كان من أشهرهم في القديم **الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)**، وفي الحديث فضيلة **الشيخ طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٩هـ)**، والأساتذة الأعلام محمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب، وعبد الله فكري، وعبد العزيز سيد الأهل، وأحمد مختار الغازي، وحنفي أحمد، ومحمد أحمد الغمراوي، ومحمد محمود إبراهيم، وإبراهيم عبد القادر محمد فرج، ومحمد جمال الدين الفندي، وعبد الرزاق نوفل، ويوسف مروة، وعبد الغني الخطيب، وأحمد محمود سليمان، وحسين كمال الدين، وأحمد محمد مجاهد،

ومحمد رشاد الطوبي، ومحمد عبد المنعم أبو الفضل، وعبد الحافظ حلمي محمد، وعبد الله شحاتة، ومصطفى محمود، ويوسف السويدي، ومنصور حسب النبي، وعبد المحسن صالح، وحسن أبو العينين، وعدد كبير من العلماء المعاصرين الذين أضافوا إضافات أصيلة إلى هذا الموضوع ـ وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يبارك في جهودهم حتى يكملوا المسيرة على خير إن شاء الله، وأن يجزي السابقين عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقد أدت هذه الجهود إلى بروز «**المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم**»، والذي يعتمد معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله مع تفاوت في ذلك من عصر إلى عصر.

ويعتبر تفسير **الرازي** المعنون «**مفاتيح الغيب**» أول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية، خاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة (علم الفلك)، وغير ذلك من العلوم والفنون التي كانت معروفة في زمانه.

أما تفسير **الشيخ طنطاوي جوهري** والمعنون «**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**» فيقع في خمسة وعشرين جزءاً، حاول فيها الشيخ ـ يرحمه الله ـ تفسير القرآن الكريم تفسيراً يتجاوب مع روح العصر وما وصلت إليه المعارف المكتسبة في مجال دراسات الكون، وما فيه من أجرام سماوية، وغيرها من عوالم الجمادات، ومن مختلف صور الأحياء، والظواهر الكونية التي تصاحبها، والسنن الإلهية التي تحكمها؛ ليبرهن للقارئ أن كتاب الله الخالد قد أحاط بالكون في تفصيل وبيان وإيضاح غفل عنه كثير من السابقين، وأنه بحق ينطوي على كل ما وصل وما سيصل إليه البشر من معارف.

هذا، وقد نعى الشيخ الجوهري ـ يرحمه الله ـ على علماء المسلمين إهمالهم للجانب العلمي في القرآن الكريم، وتركيز جهودهم على الجوانب البيانية والفقهية فقط بقوله: «لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب في علم الفقه، وعلم الفقه ليس له في القرآن الكريم إلا آيات قلائل لا تصل إلى مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جداً في علوم الكائنات التي

لا تكاد تخلو منها سورة؟»؛ ولذا فإننا نجده في مطلع تفسيره يتوجه بنداء إلى المسلمين يقول فيه: «يا أمة الإسلام، آيات معدودات في الفرائض ـ (يقصد آيات الميراث) ـ اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها.. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور الإسلام.. هذا زمان رقيه، يا ليت شعري، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في علوم الميراث؟»، ثم يضيف: «إن نظام التعليم الإسلامي لا بد من ارتقائه، فعلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن الكريم، بل هي علوم لفظه، وما نكتبه اليوم ـ (يقصد في تفسيره) ـ هي علوم معناه...».

ولم يكتف الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بتتبع الآيات واستنتاج معانيها وفق ما ارتآه فيها من إشارات إلى مختلف الدراسات الحديثة؛ بل إنه قد استعان في هذا التفسير ـ الفريد من نوعه ـ بكثير من صور النباتات والحيوانات والظواهر الكونية، والوسائل التجريبية، كما استخدم الآراء الفلسفية عند مختلف المدارس الفكرية وكذلك الأرقام العددية التي ينظمها «حساب الجُمَّل» المعروف. وقد اعتبر المفسرون من بني عصره ذلك المنهج العلمي في التفسير ـ كما اعتبر من قبل ـ جنوحاً إلى الاستطراد في تأويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها التشريعية والإيمانية؛ استناداً إلى الحقيقة المسلمة: أن القرآن الكريم لم يأت لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا جداول المواد وخصائصها، ولا قوائم بأسماء الكائنات وصفاتها؛ وإنما هو في الأصل كتاب هداية في أمور العقيدة والعبادة والأخلاق، والمعاملات والتي تشكل ركائز الدين الذي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيه أية ضوابط صحيحة. والقرآن العظيم حين يلفت نظر الإنسان إلى مختلف مظاهر هذا الوجود إنما يعرض لذلك من قبيل الاستدلال على قدرة الخالق العظيم، وعلمه، وحكمته وتدبيره، وذلك من قبيل إقامة الحجة البينة على الجاحدين من الكفار والمشركين ومن قبيل التأكيد على إحاطة القدرة الإلهية بالكون وبكل ما فيه، وعلى حاجة الخلق في كل لحظة من لحظات الوجود إلى رحمة ذلك الخالق العظيم ورعايته.

وانطلاقاً من ذلك كثر نقاد تفسير «الجواهر»، فهذا هو الشيخ محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ يكتب في مقدمة تفسيره «المنار» ما نصه: «. . . .وقد زاد الفخر الرازي صارخاً آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين ـ (ويقصد الشيخ طنطاوي جوهري) ـ بإيراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة ـ بمناسبة كلمة مفردة، كالسماء أو الأرض ـ من علوم الفلك أو النبات أو الحيوان تصد القارئ عما أنزل الله لأجله القرآن».

وعلى الرغم من استنكار أعداد من المفسرين لهذا المنهج العلمي قديماً وحديثاً، إلا أن عدداً كبيراً من العلماء المسلمين ظل مؤمناً بأن الإشارات الكونية في كتاب الله ـ أي الآيات المتعلقة ببعض أشياء هذا الكون على إجمالها وتناثرها بين آيات الكتاب المجيد ـ تبقى بياناً من الله خالق الكون ومبدع الوجود؛ ومن ثم فهي حق مطلق، وصورة من صور الإعجاز في كتاب الله ـ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ وأن ذلك قد لا يتضح إلا للراسخين في العلم من المتخصصين في مختلف مجالات العلوم البحتة والتطبيقية ـ كل في حقل تخصصه ـ، وحتى هؤلاء يظل إدراكهم لذلك الإعجاز يتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، مصداقاً لقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [صَ: ٨٧، ٨٨].

ومصداقاً لقول رسول الله ﷺ في وصفه للقرآن الكريم بأنه: «**مأدبة الله والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد**»[١].

ومن هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين في مختلف مجالات

---

(١) أخرجه كل من الحاكم (١، ٥٥٥) والترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) من حديث عبد الله ابن مسعود؛ وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٦٧).

المعرفة الإنسانية ـ في كل عصر وفي كل جيل ـ أن تنفر منهم طائفة للتسلح بمستلزمات تفسير كتاب الله من إلمام بقدر كاف من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وقواعده، مع معرفة بعادات المجتمع العربي الأول، وإحاطة بأسباب النزول، وبالمأثور في التفسير، وبالسيرة النبوية المطهرة، وباجتهاد السابقين من أئمة المفسرين، وبغير ذلك من الشروط التي حددها علماء التفسير وأصوله، ثم تقوم تلك الطائفة على شرح آيات الكتاب الحكيم ـ كل فيما يخصه ـ حتى تستبين للناس جوانب من الإعجاز في كتاب الله لم يكن من السهل بيانها قبل عصر العلم الذي نعيشه حتى يتحقق قول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

وانطلاقاً من ذلك الفهم ظهرت مؤلفات عديدة تعالج قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله من أشهرها في القديم كتاب «كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية» لمحمد بن أحمد الإسكندراني الطبيب وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

ورسالة عبد الله فكري (وهو من وزراء المعارف السابقين في مصر في مطلع القرن العشرين) التي يقارن فيها بين بعض مباحث علم الهيئة (الفلك) وبين الوارد من نصوص القرآن الكريم في ذلك، وكتاب «الإسلام والطب الحديث» لعبد العزيز إسماعيل، و«رياض المختار» لأحمد مختار (الغازي)، وكتاب «معجزة القرآن في وصف الكائنات والتفسير العلمي للآيات الكونية» لحنفي أحمد، وكتابا «في سنن الله الكونية» و«الإسلام في عصر العلم» لمحمد أحمد الغمراوي، و«إعجاز القرآن في علم طبقات الأرض» لمحمد محمود إبراهيم، و«العلوم الطبيعية في القرآن» ليوسف مروة، وسلسلة كتب كل من محمد جمال الدين الفندي وعبد الرزاق نوفل في نفس الموضوع، وكتاب «أضواء من القرآن على الإنسان ونشأة الكون والحياة» لعبد الغني الخطيب، و«القرآن والعلم» لأحمد محمود سليمان، و«من إشارات العلوم في القرآن الكريم» لعبد العزيز سيد الأهل، و«محاولة لفهم عصري للقرآن» لمصطفى محمود، و«تفسير الآيات

الكونية» لعبد الله شحاتة، و«الإسلام والعلم التجريبي» ليوسف السويدي، و«القرآن تفسير الكون والحياة» لمحمد العفيفي، وكتاب «الإنجيل والقرآن والعلم» لموريس بوكاي، وكتاب «خلق الإنسان بين الطب والقرآن» لمحمد علي البار. هذا بالإضافة إلى ما ظهر مؤخراً من كتب ومجلات عديدة وأبواب كثيرة عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة،وردت مجمعة في كتب إسلامية متعددة، أو متناثرة في كثير من التفاسير التي حررت في النصف الأخير من القرن العشرين.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد تعرض هذا المنهج ـ بحق أحياناً، وبغير ذلك في أحيان أخرى كثيرة ـ للمزيد من النقد والتجريح الذي أسس على أن معجزة القرآن الكريم هي في الأصل معجزة بيانه الذي أدرك أساطين اللغة العربية فيه ومنذ سماع أولى آياته أنه علامة فارقة بين كلام الله وكلام البشر، وأن علينا أن نفهم الإسلام كما بينه نبي الإسلام ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ. وكان من شواهد ذلك ومبرراته حيود عدد من الذين تعرضوا للقضايا الكونية في القرآن عن جادة الطريق إما عن قصور في فهم الحقائق العلمية، أو انتفاء لشروط القدرة على الاجتهاد في التفسير، أو لكليهما معاً. وعلى الرغم من ذلك كله فقد تمكن هذا السيل من الكتابات عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم من تهيئة النفوس لقبول ذلك المنهج. وسنوضح في الباب التالي اختلاف آراء العلماء حيال قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وذلك من أجل إيضاح أهمية هذا المنهج وضرورته، وتفنيد حجج المعارضين له.



# الفصل الرابع

## مواقف العلماء من قضيتي التفسير العلمي للقرآن الكريم والإعجاز العلمي فيه

طال الجدل حول جواز تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس من معطيات علوم العصر وفنونه، والانطلاق من ذلك إلى إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد من حقائق الوجود وهو الذي نسميه بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم. وتفاوتت مواقف العلماء من ذلك تفاوتاً كبيراً بين مضيقين وموسعين ومعتدلين، مما يمكن أن نوجزه فيما يلي:

**أولاً: موقف المُضَيِّقين:**

وهو الموقف الذي يرى أصحابه أن تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، على ضوء ما تجمع لدى الإنسان من معارف هو نوع من التفسير بالرأي ـ الذي لا يجوز ـ استناداً إلى أقوال منسوبة لرسول الله ﷺ منها قوله الشريف: «**من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**»، و«**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[1]. واستناداً إلى أقوال منسوبة إلى كل من الخليفتين الراشدين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنهما ـ من قول الأول: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن قلت في كتاب الله برأيي؟» وقول الثاني: «اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكِلُوه إلى ربه».

وكذلك استناداً إلى قول كل من سعيد بن المسيب وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما في

(١) الترمذي في «سننه» رقم (٢٩٥٠و٢٩٥١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢٣٣).

الصحيح المنقول عن الأول: «إنا لا نقول في القرآن شيئاً»، وعن الثاني: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير»؛ واستناداً كذلك إلى القول المنسوب إلى مسروق بن الأجدع ﷺ: «اتقوا التفسير؛ فإنما هو الرواية عن الله».

ولقد فات أصحاب هذا الموقف أن المقصود بـ (الرأي) في الحديث السابق هو (الهوى)، لا الرأي المنطقي المبني على الحجة الواضحة والبرهان المقبول، ويؤكد ذلك عبارة «بغير علم» التي وردت في الحديث الثاني، هذا بغض النظر عن كون الحديثين قد اعتبرا من ضعاف السند. كذلك فاتهم أن ما قد ورد على لسان بعض الصحابة والتابعين مما يوحي بالتحرج من القول في القرآن الكريم بالرأي الاجتهادي، إنما هو من قبيل الورع، والتأدب في الحديث عن كلام الله، خاصة وأنهم كانوا قد فطروا على فهم اللغة العربية، وفطنوا بها وبأسرارها، ودرجوا على عادات المجتمع العربي، وألموا بأسباب النزول، وعايشوا رسول الله ﷺ عن قرب وهو الموصول بالوحي، وسمعوا تلاوته وتفسيره للقرآن الكريم واستعانوا به على فهم ما وقفوا دونه، وأدركوا تفاصيل سنته الشريفة، فهل يمكن لمن توافر له كل ذلك أن يكون له مجال للاجتهاد بالرأي؟ خاصة وأن العصر لم يكن عصر تقدم علمي كالذي نعيشه، وأنهم كانوا لا يزالون قريبي عهد بالجاهلية التي كان قد خيم فيها على العالم أجمع ركام من العقائد الفاسدة، والتصورات الخاطئة، والأفكار السقيمة، والأوهام والأساطير، ولم يسلم من ذلك الركام أحد، حتى أصحاب الحضارات البائدة كلها، ولذلك ركزت دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ على قضايا العقيدة الصحيحة، والعبادات المفروضة، وركائز كل من مكارم الأخلاق وحسن المعاملات.

وخاصة كذلك وأن العصر بعد ذلك كان عصر انتشار للإسلام، ودخول الكثيرين من أصحاب العقائد واللغات الأخرى في دين الله أفواجاً، ومعهم خلفياتهم الفكرية الموروثة، والتي لم يكونوا قد تخلصوا منها كُلِّيَّةً بمجرد دخولهم في دين الله، وأن أعداداً غير قليلة من غلاة اليهود كانوا قد دخلوا الإسلام ـ كما

دخل أسلافهم من قبل إلى دين عيسى ابن مريم ـ ليأتمروا به، ويتآمروا عليه، ويكيدوا له وذلك بتأويل كلام الله على وجوه غير صحيحة من أجل تفتيت وحدة صف المؤمنين وبث بذور الفرقة بينهم، وكان من نتائج ذلك كله هذا الفكر الغريب الذي عرف فيما بعد باسم «الإسرائيليات» نسبة إلى السلالات الفاسدة من بني إسرائيل ـ أي اليهود ـ الذين كثر دسهم على دين الله، وعلى أنبيائه ورسله.

وكان من نتائجه كذلك بروز الشيع والفرق والطرائق المختلفة، ومحاولة كل فرقة منها الانتصار لرأيها بالقرآن الكريم.. وهذا هو «**الهوى**» الذي عبر عنه بـ «**الرأي**» فيما نسب من أقوال إلى رسول الله ﷺ وإلى عدد من صحابته وتابعيهم ـ عليهم رضوان الله أجمعين ـ.

كذلك فقد فات هؤلاء المضيّقين وهم ينادون بعدم الاجتهاد بالرأي في فهم كتاب الله، والوقوف عند حدود المأثور ـ (وهو ما نقل عن رسول الله ﷺ مباشرة، أو عن صحابته الكرام، أو عمن عاصر الصحابة من التابعين) ـ موكلين ما لم يفسره التراث المنقول إلى الله ـ تعالى ـ، وهو ما عرف باسم «**منهج التفسير بالمأثور**» أو «**التفسير بالمنقول**»، وفاتهم أن المقصود بالرأي هنا هو الهوى وليس الرأي المؤسس على قواعد صحيحة من حقائق الدين والعلم، خاصة وأن التفسير بالمأثور لم يشمل القرآن الكريم كله، فلحكمة قد ندرك طرفاً منها اليوم ـ لم يقم رسول الله ﷺ بالتنصيص على المراد في كل آية من آيات القرآن الكريم، وأن صحابته الكرام كانوا يجتهدون في فهم ما لم ينص عليه، وكانوا يختلفون في ذلك ويتفقون، وأن الثابت أنه ﷺ قد صوب رأي جماعة من أصحابه حين فسروا آيات من كتاب الله، وأنه قد دعا لابن عباس بقوله: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»[(١)]، وأن ذلك وغيره من الأقوال المأثورة قد اتخذ دليلاً على جواز الاجتهاد في التفسير في غير ما حدده رسول الله ﷺ، فمما يروى عن الإمام علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ حين سئل: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ أنه قال:

(١) البخاري في «صحيحه» (١٤٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٨/ ٢٤٧٧).

«ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، وفهم يؤتاه الرجل في كتابه»[(١)] مما يؤكد أن فهم المسلمين لدلالة آيات القرآن الحكيم وتدبر معانيها ضرورة تكليفية لكل قادر عليها، مؤهل للقيام بها، وذلك يقرره الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله وهو أحكم القائلين: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وهذه الآية الكريمة ـ وكثير غيرها من الآيات القريبة في المعنى ـ أمر صريح من الله ـ تبارك وتعالى ـ بتدبر آيات القرآن الكريم وفهم معانيها. والقرآن الكريم ينعى على أولئك الذين لا يتدبرونه، ولا يستنبطون معانيه، وهذه آياته تقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣].

وتقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقد ساق الإمام الغزالي رحمه الله الأدلة على جواز فهم القرآن بالرأي، أي: بالاجتهاد، ثم أضاف: «فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً، ومتسعاً بالغاً، والمنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه».

وبناء على ذلك فقد أجاز الغزالي لكل إنسان أن يستنبط من القرآن الكريم بقدر فهمه وحد عقله، ولو أن المبالغة في استخدام تلك الرخصة قد أفرزت نتاجاً لم يكن كله مستساغاً مقبولاً لدى العلماء، ومطابقاً لمقاصد الآيات القرآنية الكريمة في الهداية؛ فقد خرج قوم من المفسرين بالآيات القرآنية ـ إما عن عمد واضح أو عن جهل فاضح ـ إلى ما لا يقبله العقل القويم، ويرضاه الصحيح المنقول عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين لهم، ويقبله المنطق اللغوي وأساليب العرب في الأداء ـ حقيقة ومجازاً ـ؛ وذلك لانطلاق الفرق المخالفة من منطلق التعصب لمذاهبهم فحاولوا إخضاع التفاسير لخدمة مِلَلهم ونِحَلِهم؛ مما أدى إلى الموقف المتشدد من القول في القرآن الكريم بالرأي؛ ومن ثم رفض

---

(١) مسلم في «صحيحه» (٤٥/١٩٧٨).

تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس من معطيات المعارف المكتسبة في حقل العلوم البحتة والتطبيقية.

وهناك أعداد كبيرة من علماء المسلمين الذين اقتنعوا بضرورة الاجتهاد في تفسير كتاب الله، ولكنهم حصروا ذلك في مناهج محددة منها: «**المنهج اللغوي**» الذي يهتم بدلالة الألفاظ وطرائق التعبير وأساليبه والدراسات النحوية المختلفة، و«**المنهج البياني**» الذي يحرص على بيان مواطن الجمال في أسلوب القرآن الكريم ودراسة الحس اللغوي في كلماته، و«**المنهج الفقهي**» الذي يركز على استنباط الأحكام الشرعية والاجتهادات الفقهية، كما أن من هؤلاء المفسرين من نادى بالجمع بين تلك المناهج في منهج واحد عرف باسم «**المنهج الموسوعي**» أو «**المنهج الجمعي**»، ومنهم من نادى بتفسير القرآن الكريم حسب الموضوعات التي اشتمل عليها، وذلك بجمع الآيات الواردة في الموضوع الواحد في كل سور القرآن الكريم، واستنباط دلالاتها، استناداً إلى قاعدة أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد عرف ذلك باسم: «**المنهج الموضوعي في التفسير**».

**مبررات الرافضين للمنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم:**

انطلاقاً مما سبق ظل المنهج العلمي في التفسير مرفوضاً من بعض المجتهدين، وذلك لأسباب كثيرة منها ما يلي:

١ ـ محاولة بعض اللغويين قصر قضية (الإعجاز) في القرآن الكريم على المجالات التي كان فيها التحدي بما لا يستطيع أحد من بلغاء العرب أن يصل إليه أو يضاهيه، وهو بيان القرآن، ونظمه، وأسلوبه، وفصاحته وبلاغته، وهو ما تحدى به العرب فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه.

وبناء على ذلك فإذا كان في القرآن الكريم وجوه من الإعجاز العلمي فالذي ينبغي أن يُفْهَمَ من ذلك أنه في كل وجه من هذه الوجوه يتعذر على البشر أن يصلوا إلى مستوى القرآن الكريم فيها، أو أن يكون في مقدور أسبابهم ووسائلهم أن تبلغ حقيقة ما ذكره القرآن الكريم عنها؛ وذلك لأن ما يقتضيه

المعنى اللغوي للفظة «الإعجاز» هو إثبات عجز الخلق في الوجه الذي تحداهم به، ولكن إذا وصلت العلوم المكتسبة إلى شيء من ذلك فقد سقط عنصر التحدي وبالتالي انتفت المعجزة.

وانطلاقاً من ذلك يضيف هؤلاء اللغويون أن المثلية في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] هي مثلية البيان والنظم والأسلوب والفصاحة والبلاغة فقط. علماً بأن الواضح من المثلية في التحدي بالقرآن الكريم (كله أو عشر سور من مثله أو حتى بسورة واحدة من مثله) هو التحدي الشامل بالشكل والمضمون، وبالبيان والمحتوى، ومن أوضح جوانب ذلك المحتوى ركائز الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وكلٌّ من الإشارات الكونية والنفسية والتربوية والتاريخية فيه.

٢ ـ إن الإسرائيليات كانت قد نفذت أول ما نفذت إلى التراث الإسلامي عبر محاولة أعداد من السابقين تفسير تلك الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على أساس مما جاء في سفر «التكوين» من «العهد القديم». وهذا خطأ كبير لأن الله ـ تعالى ـ قد أوكل الناس في أمور الكشف عن حقائق الكون إلى جهودهم المتتالية جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر.. ومن هنا جاءت الإشارات الكونية في القرآن الكريم بصيغة مجملة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل تلك المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في مجال العلوم المكتسبة وذلك في تكامل لا يعرف التضاد. ومن هنا أيضاً لم يقم رسول الله ﷺ بالتنصيص على المراد من الآيات الكونية في أحاديثه الشريفة التي تناول بها شرح عدد من آيات القرآن الكريم.

ولكن لما كانت النفس البشرية تواقة دوماً إلى التعرف على أسرار هذا الوجود؛ ولما كان الإنسان قد شغل منذ القدم بتساؤلات كثيرة عن الكون، والحياة، وخلق الإنسان وعن غير ذلك من أسرار الوجود فقد تجمع لدى

البشر في ذلك تراث ضخم عبر التاريخ اختلط فيه الحق بالباطل والواقع بالخيال والعلم بالخرافة، وكان أكثر الناس حرصاً على هذا النوع من المعرفة المكتسبة هم رجال الدين في مختلف العصور. والدولة الإسلامية كانت في أول نشأتها محاطة بحضارات عديدة تباينت فيها تلك المعارف وأمثالها، ثم بعد اتساع رقعتها واحتوائها لتلك الحضارات المجاورة، وبعد دخول أمم من مختلف المعتقدات السابقة إلى دين الله، وبعد وصول هذا التراث إلى عدد من علماء المسلمين بعد ترجمته ونقده والإضافة إليه، حاول بعض المفسرين الاستفادة به في شرح الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم فأخطأوا في ذلك؛ لأن العصر لم يكن عصر تطور علمي كالذي نعيشه اليوم؛ ولأن هذا التراث كان أغلبه في أيدي اليهود الذين اشتهروا بتزييف الحقائق، وتزوير التاريخ، وبخداع غيرهم من البشر الذين يفضلون اليهود عليهم ويفصلونهم عنهم تحت مسمى: (الأمميين).

وقد اشتهر اليهود بالتآمر والكيد للإسلام منذ بزوغ فجره، كما تآمروا على رسالات جميع أنبياء الله من قبل، وأن النقل للمعارف التي كانت متاحة في زمانهم من اللغات الأخرى إلى العربية قد تم بواسطة من أسلم ومن لم يسلم منهم، وقد حذّر رسول الله ﷺ من اليهود بقوله: «**إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه**»[1].

ويفسر ابن خلدون أسباب نقل هذه «الإسرائيليات» إلى كتب التاريخ والتفسير بقوله: «والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب، ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية: في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم، وهم أهل التوراة

(١) أحمد في «مسنده» (٤/ ١٣٦).

من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين كانوا بين العرب يومئذ وهم بادية مثلهم كانوا لا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها...».

٣ - إن القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية ربانية للإنسان، في القضايا التي يعلم ربنا - تبارك وتعالى - بعلمه المحيط عجز الإنسان عن الوصول فيها وحده إلى أية تصورات صحيحة من مثل قضايا **العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات**؛ وهي ركائز الدين، ومن هنا كانت ضرورة إنزال وحي السماء بها، ومن هنا أيضاً كان القرآن الكريم هو كتاب دين الله الذي أوحى به إلى خاتم أنبيائه ورسله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين - وتعهد الله - تعالى - بحفظه فحفظ؛ في نفس لغة وحيه «اللغة العربية»، وعلى ذلك فلا بد من تأكيد الحقيقة أن القرآن الكريم ليس كتاب علم من العلوم المكتسبة، بل هو وحي السماء، وأن الإشارات العلمية التي وردت به جاءت في مقام الإرشاد والموعظة بحقيقة الألوهية، والربوبية، والوحدانية، والخلق، والبعث، والحساب، والجزاء، ومخاطبة أهل العلم باللغة التي يفهمونها، لا في مقام البيان العلمي بمفهومه المحدد، وأن تلك الإشارات - على كثرتها - جاءت في أغلب الأحيان مجملة، وذلك بهدف توجيه الإنسان إلى التفكر والتدبر وإمعان النظر في خلق الله، لا بهدف الإخبار العلمي المباشر.

٤ - إن القرآن الكريم ثابت لا يتغير، بينما معطيات العلوم التجريبية دائمة التغير والتطور، وأن ما تسمى بحقائق العلم ليست سوى نظريات وفروضاً يبطل منها اليوم ما كان سائداً بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم، وانطلاقاً من هذا الفهم فإنه لا يجوز الرجوع إلى العلوم المكتسبة عند تفسير كتاب الله العزيز؛ لأنه لا يجوز تفسير الثابت بالمتغير.

٥ ـ إن القرآن الكريم هو بيان من الله ـ تعالى ـ، بينما معطيات العلوم المكتسبة لا تعدو أن تكون محاولة بشرية للوصول إلى الحقيقة. ولا يجوز ـ في ظنهم ـ رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر، كما لا يجوز الانتصار لكتاب الله بمعطيات العلوم المكتسبة؛ لأن القرآن الكريم ـ بصفته كلام الله ـ هو حجة على البشر كافة، وعلى العلم وأهله.

٦ ـ إن العلوم المكتسبة تصاغ في أغلب دول العالم اليوم صياغة تنطلق كلها من منطلقات مادية بحتة، تنكر أو تتجاهل الغيب ولا تؤمن بالله، وأن كثيرين من المشتغلين بالعلوم الكونية لهم مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله ـ تعالى ـ وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبحياة البرزخ وبالبعث والنشور والحساب والجزاء، وبالحياة الخالدة في الدار الآخرة، إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً.

٧ ـ أن بعض معطيات العلوم المكتسبة قد يتباين مع عدد من الأصول الثابتة في الكتاب والسنة، نظراً لصياغة تلك المكتسبات من منطلقات مادية بحتة منكرة لكل حقائق الغيب أو متجاهلة لها، وأن التفسير العلمي للقرآن الكريم على أساس من هذه المعطيات قد يدفع ببعض المتحمسين إلى التأويل المتكلف الذي لا نحتاج إليه في فهم دلالة النص القرآني.

٨ ـ إن عدداً من المفسرين الذين تعرضوا لتأويل بعض الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله قد تكلفوا في تحميل الآيات من المعاني ما لا تحتمله.

٩ ـ إن وصول الإنسان إلى معرفة عدد من حقائق الكون يخرج تلك الحقائق عن مقام التحدي، وعن دائرة المعجزة وبالتالي يخرج الإشارات الكونية في كتاب الله من إطار التحدي لأنها لم تعد أمراً خارقاً للعادة، أو سالماً من المعارضة.

**الرد على اعتراضات الرافضين للمنهج العلمي في التفسير:**

من الواضح أن حجج المعارضين للمنهج العلمي في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، والتي أوردناها في الفقرات السابقة هي كلها حجج مردودة حجة بحجة كما يلي:

١ ـ إن الذين حاولوا قصر الإعجاز في القرآن الكريم على بيانه ونَظْمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته فقط بدعوى أنه الجانب الذي تحدى به العرب فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه نسوا أن التحدي بالقرآن الكريم لم يكن للعرب فقط، بل للجن والإنس، فرادى ومجتمعين عبر التاريخ، وليس جميع الإنس والجن يعرفون اللغة العربية فضلاً عن إجادتها وإتقانها.

وادعاء المعترضين بأن (المثلية) التي جاء بها التحدي بالقرآن الكريم هي مثلية البيان والنظم، فيه إجحاف كبير بفضل القرآن الكريم: لأنه مع إيماننا بإعجاز بيان القرآن الكريم ونظمه إلا أن البيان يبقى إطاراً لمحتوى، والمحتوى أهم من الإطار، والمحتوى الأساسي للقرآن الكريم هو الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تحدى القرآن الكريم كلًّا من الجن والإنس بما أورد من قصص السابقين، وإنباء بالغيب، وخطاب للنفس الإنسانية، وإشارات كونية، واقتصادية، وإدارية، وحفظ على مدى السنين. وذلك لأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الخاتم ﷺ إلى يوم الدين، وأن التحدي به وقع بالقرآن كلِّه وليس فقط ببيانه ونَظْمه.

٢ ـ أنه لا حاجة بنا اليوم إلى «الإسرائيليات» في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله؛ لأن الرصيد العلمي في مختلف المعارف قد بلغ اليوم شأواً لم يبلغه من قبل، وإذا كان من استخدم «الإسرائيليات» في تفسيره من الأوائل قد أخطأ التفسير، فإن من يستخدم حقائق العلم الثابتة في شرح تلك الآيات اليوم لا بد وأن يصل إلى فهم لها لم يكن من السهل الوصول إليه من قبل، وأن يجد في ذلك من السبق العلمي في القرآن الكريم، صورة من

صور الإعجاز فيه لم يجدها السابقون، وذلك تأكيداً لوصف رسول الله ﷺ للقرآن بأنه: «**لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد**»[1].

٣ ـ أنه لا تعارض البتة بين كون القرآن الكريم كتاب هداية ربانية، وإرشادات إلٰهية، ودستور عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وكتاب تشريع سماوي يشمل نظاماً كاملاً للحياة، وبين احتوائه على عدد من الإشارات العلمية الدقيقة التي وردت في مقام الاستدلال على عظمة الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ وقدرته في إبداعه للخلق، وعلى إفناء ما قد خلق، وإعادة كل ذلك من جديد. وهذه الإشارات الكونية مفيدة أيضاً في الاستدلال على وحدانية الخالق المطلقة فوق جميع خلقه لأنه ﷻ خلق كل شيء في الوجود (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان) في زوجية واضحة حتى يبقى وحده متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه. وذلك لأن هذه الإشارات في القرآن الكريم تبقى بياناً من الله ـ خالق الكون ومبدع الوجود ـ فلا بد وأن تكون حقاً مطلقاً؛ لأنه ليس هناك من هو أدرى بالخليقة من الخالق ﷻ، وتبقى هذه الإشارات الكونية دعوة للإنسان في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه إلى دين الله الحق باللغة الوحيدة التي يفهمونها، وهي لغة العلم.

ولو أن المسلمين وعوا هذه الحقيقة منذ القدم لكان لهم في مجال الدراسات الكونية سبق ملحوظ وثبات غير ملحوق، فنحن ندرك اليوم ـ في ضوء ما تجمع لنا من معارف في مجال دراسات العلوم البحتة والتطبيقية ـ أن الإشارات الكونية في كتاب الله تتسم بالدقة المتناهية في التعبير، وبالشمول والإحاطة في المعنى، وبالاطراد والثبات في الدلالة، وبالسبق لكثير من الكشوف العلمية بالمئات من السنين، وفي ذلك شهادة قاطعة ـ لا يستطيع إنكارها إلا جاحد ـ بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب: فضائل القرآن (الحديث: ٢٩٠٦).

أما القول بأن تلك الإشارات قد تم سردها بصورة مجملة فإنها بحق إحدى صور الإعجاز العلمي والبياني في القرآن الكريم؛ وذلك لأن كل إشارة علمية وردت فيه قد صيغت صياغة فيها من إعجاز الإيجاز، والدقة في التعبير، والإحكام في الدلالة، والشمول في المعنى ما يُمَكِّن الناس ـ على اختلاف ثقافاتهم، وتباين مستويات إدراكهم، وتتابع أجيالهم وأزمانهم ـ أن يدركوا لها من المعاني ما يتناسب وهذه الخلفيات كلها، بحيث تبقى المعاني المستخلصة من الآية الواحدة يكمل بعضها بعضاً في تناسق عجيب، وتكامل أعجب؛ لأنه تكامل لا يعرف التضاد. وهذا عندي من أروع صور الإعجاز في كتاب الله. فالإجمال في تلك الإشارات مع وضوح الحقيقة العلمية للأجيال المتلاحقة ـ كل على قدر حظه من المعرفة بالكون وعلومه ـ هو بالقطع أمر فوق طاقة البشر، وصورة من صور الإعجاز لم تتحقق ولا يمكن أن تتحقق لغير كلام الله الخالق.

ومن هنا كان فهم الناس للإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء ما يتجمع لديهم من معارف، هو فهم يزداد اتساعاً وعمقاً جيلاً بعد جيل، وهذا في حد ذاته شهادة للقرآن الكريم بأنه لا تنتهي عجائبه ولا يبلى على كثرة الرد، كما وصفه المصطفى ﷺ. وقد أدرك نفر من السابقين ذلك وفي مقدمتهم **الإمام الزركشي** الذي كتب في كتابه «**البرهان في علوم القرآن**» ما نصه: «وما من برهان ودلالة وتقسيم، وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله ـ تعالى ـ قد نطق به، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين: الأول: بسبب ما قاله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم يتخط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون. وكذلك أخرج ـ تعالى ـ مخاطباته في محاجة خلقه من أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من

جليلها ما يقنعهم الحجة، وتفهم الخواص من أنبائها ما يوفي على ما أدركه الخطباء. . .» ثم يضيف: «ومن ثم كان على كل من أصاب حظاً في العلم أوفر أن يكون نصيبه من علم القرآن أكثر؛ لأن عقله حينئذ يكون قد استنار بأضواء العلم، وهؤلاء هم الذين اهتم القرآن بمناداتهم كلما ذكر حجة على الربوبية والوحدانية، وأضاف إليهم: أولو الألباب، والسامعون، والمفكرون، والمتذكرون، تنبيهاً إلى أن بكل قوة من هذه القوى يمكن إدراك حقيقة منها».

من هنا كان واجب المتخصصين من المسلمين في كل عصر وفي كل جيل أن ينفر منهم من يستطيع أن يجمع إلى حقل تخصصه إلماماً بحد أدنى من علوم اللغة العربية وآدابها، ومن الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، وعلم الكلام وقواعده، مع إحاطة بأسباب النزول، وبالمأثور في التفسير، وباجتهاد السابقين من أئمة المفسرين، ثم يعود هؤلاء إلى دراسة الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله ـ كل فيما يخصه ـ محاولين فهمها في ضوء حقائق العلم وكشوفه، وقواعد المنطق وأصوله حتى يدركوا ما يستطيعون من فهم لكتاب الله فتتحقق نبوءة المصطفى ﷺ في وصفه لهذا الكتاب العزيز بأنه: «**لا تنقضي عجائبه**»[1].

٤ ـ أن القول بعدم جواز تفسير الثابت بالمتغير قول ساذج؛ لأن معناه الجمود على فهم واحد لكتاب الله، ينأى هذا الفهم بالناس عن واقعهم في كل عصر. وثبات القرآن الكريم ـ وهو من السمات البارزة له ـ لا يمنع من فهم الإشارات الكونية الواردة فيه على أساس من حقائق العلوم الكونية، حتى ولو كان ذلك يتسع من عصر إلى آخر بطريقة مطردة، فالعلوم المكتسبة كلها لها طبيعة تراكمية، ولا يتوافر للإنسان منها في عصر من العصور إلا أقدار تتفاوت بتفاوت الأزمنة، وتباين العصور، تقدماً واضمحلالاً. وهذه الطبيعة

(١) سبق تخريجه ص ٩٥.

التراكمية للمعرفة الإنسانية المكتسبة تجعل الأمم اللاحقة أكثر علماً في مجال الكونيات ـ بصفة عامة ـ من الأمم السابقة، إلا إذا تعرضت الحضارة الإنسانية بأكملها للانتكاس والتدهور.

من هنا كانت معطيات العلوم الكونية ـ بصفة خاصة ـ، والمعارف المكتسبة كلها ـ بصفة عامة ـ دائمة التغير والتطور، بينما كلمات وحروف القرآن الكريم ثابتة لا تتغير، وهذا وحده من أعظم شواهد الإعجاز في كتاب الله.

وعلى الرغم من ثبات اللفظ القرآني، وتطور الفهم البشري لدلالاته ـ مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل ـ فإن تلك الدلالات يتكامل بعضها مع بعض في اتساق لا يعرف التضاد، ولا يتوافر ذلك لغير كلام الله ـ تعالى ـ. ويظل اللفظ القرآني ثابتاً، وتتوسع دائرة فهم الناس له عصراً بعد عصر.. وفي ذلك شهادة للقرآن الكريم بأنه يغاير كلام البشر كافة، وأنه ـ بالقطع ـ بيان من الله ـ تعالى ـ. ولذلك فإننا نجد هذا الكتاب العزيز يحض الناس حضًّا على تدبر آياته، والعكوف على فهم دلالاتها، ويتحدى أهل الكفر والشرك والإلحاد أن يجدوا فيه صورة واحدة من صور الاختلاف أو التناقض على توالي العصور، وكثرة النظر فيه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]؛ وصدق الله العظيم إذ يكرر التساؤل التقريعي في سورة «الرحمٰن» إحدى وثلاثين مرة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧]، ويؤكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ ضرورة تدبر القرآن الكريم، وأنه تعالى قد جعله في متناول عقل الإنسان فيذكر ذلك أربع مرات في سورة القمر، حيث يصدع التنزيل بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢].

والذكر هنا ـ كما يجمع المفسرون ـ يشمل التلاوة والتدبر معاً، ويشير إلى استمرار تلك العملية مع توالي العصور وتجدد الأزمان، ومن هنا يبقى النص القرآني ثابتاً، ويتجدد فهم الناس له كلما اتسعت دائرة معارفهم ونمت حصيلتهم العلمية، وذلك ـ بالقطع ـ فيما لم يرد في شرحه شيء من المأثور الموثق. وليس في ذلك مقابلة بين كلام الله وكلام الناس كما يدعي البعض، ولكنه المحاولة الجادة لفهم كلام الله، وهو ـ تعالى ـ الذي أنزله للبشر؛ لكي يفهموه، ويتعظوا بدروسه. وفهم آيات القرآن الكريم ـ في الوقت نفسه بمعان تتسع مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار، وفي تكامل لا يعرف التضاد ـ هو صورة من صور الإعجاز في كتاب الله، لا ينكرها إلا جاحد.

٥ ـ والقول «بأن ما يسمى بحقائق العلم ليس إلا نظريات وفروضاً، يبطل منها اليوم ما كان سائداً بالأمس، وربما يبطل في الغد ما هو سائد اليوم» فهو أيضاً قول ساذج؛ لأن هناك فروقاً واضحة بين كل من الفروض والنظريات من جهة، والحقائق والقواعد والقوانين من جهة أخرى، وهي مراحل متتابعة في منهج العلوم التجريبية الذي يبدأ بالفروض ثم النظريات، وينتهي بالقواعد والقوانين والحقائق. والفروض هي تفسيرات أولية للظواهر الكونية، والنظريات هي صياغة عامة لتفسير كيفية حدوث تلك الظواهر ومسبباتها، أما الحقائق الكونية فهي ما يثبت ثبوتاً قاطعاً في علم الإنسان بالأدلة المنطقية المقبولة، وهي جزء من الحكمة التي نحن أولى الناس بها كما علمنا المصطفى ﷺ. أما القواعد والقوانين العلمية فهي تعبيرات بشرية عن السنن الإلهية في الكون، تصف علاقات محددة تربط بين عناصر الظاهرة الواحدة، أو بين عدد من الظواهر الكونية المختلفة، وهي كذلك جزء من الحكمة التي هي ضالة المؤمن، كما أخبر الصادق المصدوق ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ [١]. والحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن أبداً، ولكنها قد تتسع وتنمو بنماء الجهود المتتابعة، ومن هنا كانت الطبيعة التراكمية للمعرفة

(١) العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٣٥).

المكتسبة التي تتسع جيلاً بعد جيل، وهذا لا ينتقص من صدق الملاحظات العلمية التي ترقى إلى مرتبة الحقيقة أو القاعدة أو القانون.

٦ ـ أما القول «بأنه لا يجوز رؤية كلام الله في إطار محاولات البشر كما لا يجوز الانتصار لكتاب الله بمعطيات العلوم المكتسبة» فهو كذلك كلام بعيد عن الحق، فقد حرص كثير من علماء المسلمين على ألا يتم تفسير الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم إلا في ضوء الحقائق العلمية المؤكدة والقوانين والقواعد الثابتة، أما الفروض والنظريات فلا يجوز تخديمهما في فهم ذلك، إلا في حالة الآيات القرآنية الكريمة، المتعلقة بالقضايا التي لا تخضع خضوعاً مباشراً لحس الإنسان وإدراكه من **مثل قضايا الخلق بأبعاده الثلاثة: خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان، وفي قضايا الإفناء والبعث.** وحتى هذا الموقف نعتبره تحفظاً مبالغاً فيه، فكما يختلف دارسو القرآن الكريم في فهم بعض الدلالات اللفظية، والصور البيانية، وغيرها من القضايا اللغوية، ولا يجدون حرجاً في ذلك العمل الذي يقومون به في غيبة نص ثابت مأثور، فإننا نرى أنه لا حرج على الإطلاق في فهم الإشارات الكونية الواردة بالقرآن الكريم على ضوء المعارف العلمية المتاحة، حتى ولو لم تكن تلك المعارف قد ارتقت إلى مستوى الحقائق الثابتة؛ وذلك لأن التفسير يبقى جهداً بشرياً خالصاً ـ بكل ما للبشر من صفات القصور، والنقص، ومحدودية القدرة ـ، ثم إن العلماء التجريبيين قد يجمعون على نظرية ما، لها من الشواهد ما يؤيدها، وإن لم ترق بعد إلى مرتبة الحقيقة أو القاعدة أو القانون، ولا يكون أمام العلماء من مخرج للوصول بها إلى ذلك المستوى أبداً، فمن أمور الكون العديدة ما لا سبيل للعلماء التجريبيين من الوصول فيها إلى حقيقة أبداً، ولكن قد يتجمع لديهم من الشواهد ما يمكن أن يعين على بلورة نظرية من النظريات، ويبقى العلم التجريبي مسلماً بأنه لا يستطيع أن يتعدى تلك المرحلة في ذلك المجال بعينه أبداً.

والأمثلة على ذلك كثيرة منها النظريات المفسرة لكل من أصل الكون وأصل الحياة وأصل الإنسان، وقد مرت بمراحل متعددة من الفروض العلمية حتى وصلت اليوم إلى عدد من النظريات المقبولة، ولا يتخيل العلماء أنهم سيصلون في يوم من الأيام إلى أكثر من تفضيل لنظرية على أخرى، أو تطوير لنظرية عن أخرى، أو وضع لنظرية جديدة، دون الادعاء بالوصول إلى حقيقة راسخة أو قانون قطعي، أو قاعدة ثابتة لذلك أبداً. فتكثر النظريات المفسرة لظواهر محددة، وتختلف باختلاف خلفية واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله الخالق في آية قرآنية كريمة، أو حديث نبوي صحيح يمكن أن يعينه على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله ـ تعالى ـ أو في حديث رسول الله ﷺ، وإن لم يستطع العلم المكتسب أن يقوم بذلك. فهذه مجالات إذا دخلها الإنسان بغير هداية ربانية فإنه يضل فيها ضلالاً بعيداً، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

فعلى الرغم من أن العلماء التجريبيين يستقرئون حقائق الكون بالمشاهدة والاستنتاج، أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج في عمليات قابلة للتكرار والإعادة؛ إلا أن من أمور الكون ما لا يمكن إخضاعه لذلك المنهج. وعلى ذلك فإن هناك قضايا كثيرة لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلى تصور صحيح أبداً بغير هداية ربانية. ولولا الثبات في سنن الله التي تحكم الكون وما فيه ما تمكن الإنسان من اكتشاف تلك السنن أبداً.. ولا يظن عاقل أن البشر مطالبون بما هو فوق طاقاتهم، خاصة في فهم كتاب الله الذي أنزل لهم، ويُسّر لتذكرهم؛ لقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]. ففي الوقت الذي يقرر القرآن الكريم أن الله لم يُشْهِدْ أياً من الجن والإنس خلق السمٰوات والأرض ولا خلق أنفسهم، نجده في آيات أخر يأمرهم بالنظر في كيفية بداية الخلق، وهي من أصعب قضايا العلوم الكونية قاطبة؛ إذ يقول ـ عز من قائل ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ

ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

وفي ذلك ما يشير إلى أن بالأرض سجلاً حافلاً بالحقائق التي يمكن أن يُسْتَدَلَّ منها على كيفية بدء الخلق الأول، وعلى إمكانية النشأة الآخرة، والأمر في الآية من الله ـ تعالى ـ إلى رسوله الكريم ليدعو الناس كافة إلى السير في الأرض، واستخلاص العبرة من فهم كيفية الخلق الأول، وهي قضية تقع من العلوم الكونية في الصميم إن لم تكن تشكل أصعب قضية علمية عالجها الإنسان، وإن لم يستطيع تجاوز مرحلة التنظير فيها.

وقضايا الخلق وإفنائه وإعادة خلقه لها في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة رسوله ﷺ من الإشارات اللطيفة ما يُمَكِّن الإنسان المسلم من تفضيل نظرية من النظريات والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة لمجرد ورود ذكر لها في كتاب الله ـ تعالى ـ أو في سنة رسوله ﷺ، ونكون بذلك قد انتصرنا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للعلم وليس العكس.

ولما كانت العلوم المكتسبة لم تصل بعد إلى الحقيقة في كثير من الأمور فإني أرى ضرورة فهم الإشارات العلمية الواردة بالقرآن الكريم على أساس من الحقائق العلمية الثابتة أولاً، فإن لم تتوافر فبالنظرية السائدة المقبولة، حتى لو أدى التطور العلمي في المستقبل إلى تغيير تلك النظرية، أو تطويرها أو تعديلها؛ وذلك لأن التفسير ـ كما سبق وأن أشرت ـ يبقى اجتهاداً بشرياً خالصاً من أجل حسن فهم دلالة الآية القرآنية، إن أصاب فيه المرء فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، ويبقى هذا الاجتهاد قابلاً للزيادة والنقصان، وللنقد والتعديل والتبديل باستمرار.

وإن في كون القرآن الكريم بياناً من الله ـ تعالى ـ إلى الناس كافة، يفرض على المتخصصين من أبناء المسلمين أن يفهموه ـ كل في حقل تخصصه ـ

على ضوء ما تجمع لكل منهم من معارف، وذلك بتوظيف مناهج الاستقراء الدقيقة؛ فالقرآن الكريم نزل للناس ليفهموه وليتدبروا آياته. ثم إن تفسير آيات الكونيات على ضوء من معطيات العلوم التجريبية لا يشكل احتجاجاً على القرآن الكريم بالمعارف المكتسبة، ولا انتصاراً له بها فالقرآن الكريم هو ـ بالقطع ـ فوق ذلك كله، ولأن التفسير على أساس من المعطيات العلمية الحديثة يبقى محاولة بشرية للفهم في إطار لم يكن متوفراً للناس من قبل. ولا يمكن أن تكون محاولات البشر لفهم القرآن الكريم حجة على كتاب الله ـ سواء أصابت أم أخطأت تلك المحاولات ـ وإلا لما حفل ذلك الكتاب الكريم بهذا الحشد الهائل من الآيات التي تحض على استخدام كل الحواس البشرية للنظر في مختلف جنبات الكون بمنهج علمي استقرائي دقيق؛ وذلك لأن الله ـ تعالى ـ قد جعل السنن الكونية على قدر من الثبات والاطراد الذي يمكن حواس الإنسان المتأمل لها من إدراك أسرارها ـ على الرغم من حدود قدرات تلك الحواس ـ، وربما كان هذا هو المقصود من آيات التسخير التي يزخر بها القرآن الكريم، ويمن علينا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وهو صاحب الفضل والمنة، بهذا التسخير الذي هو من أعظم نعم الله على عباده.

ومن أروع ما يدركه الإنسان المتأمل في الكون كثرة الأدلة المادية الملموسة على كل حَدَثٍ وقع في الكون، وهي أدلة مدونة في صفحة السماء، وفي صخور الأرض بصورة يمكن لحواس الإنسان ولعقله إدراكها لو اتبع المنهج العلمي الاستقرائي الصحيح، فما من انفجار حدث في الكون إلا وهو مدون، وما من نجم توهج أو خمد إلا وله أثر، وما من هزة أرضية أو ثورة بركانية أو حركة بانية للجبال إلا وهي مسجلة في صخور القشرة الأرضية، وما من تغير في تركيب الغلاف الغازي أو المائي للأرض إلا وهو مدون في صخورها، وما من تقدم للبحار أو انحسار لها، ولا تغير في المناخ إلا وهو مدون كذلك في صخور الأرض، وما من هبوط نيزك من النيازك على الأرض إلا وهو مسجل في صخورها.

ومن هنا فإن الدعوة القرآنية للتأمل في الكون واستخلاص سنن الله فيه، وتوظيف تلك السنن في عمارة الأرض والقيام بواجب الاستخلاف فيها هي دعوة للناس في كل زمان ومكان، وهي دعوة لا تتوقف ولا تتخلف ولا تتعطل أبداً، انطلاقاً من الحقيقة الواقعة أنه مهما اتسعت دائرة المعرفة الإنسانية فإن القرآن الكريم يبقى مهيمناً عليها، ومحيطاً بها؛ لأنه كلام الله الخالق الذي أبدع هذا الكون بعلمه وقدرته وحكمته، والذي هو أدرى بصنعته من كل من هم سواه.

وعلى ذلك فإن مقابلة كلام الله بمحاولة البشر لتفسيره، وإثبات جوانب الإعجاز فيه، لا تنتقص من جلال الربوبية الذي يتلألأ بين كلمات هذا البيان الرباني الخالص، وإنما تزيد المؤمنين ثباتاً على إيمانهم،وتشرح صدور الباحثين عن الحق وتهديهم إليه وتقيم الحجة على الجاحدين من الكفار والمشركين. وإذا أخطأ المفسر في فهم دلالة آية من آيات القرآن الكريم فإن هذا الخطأ يعود على المفسر نفسه ولا ينسحب على جلال كلام الله أبداً. والذين فسروا باللغة أصابوا وأخطأوا، وكذلك الذين فسروا بالتاريخ. فليحاول العلماء التجريبيون تفسير الآيات الكونية بما تجمع لديهم من معارف؛ لأن تلك الآيات لا يمكن فهم دلالاتها فهماً كاملاً، ولا استقراء جوانب الإعجاز فيها في حدود اللغة وحدها ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ بل لا بد من توظيف المعارف العلمية المتاحة من أجل تحقيق ذلك.

٦ ـ إن الاحتجاج بأن العلوم التجريبية ـ في ظل الحضارة المادية المعاصرة ـ تنطلق في معظمها من منطلقات مادية بحتة، تنكر أو تتجاهل الغيب، ولا تؤمن بالله، وأن للكثيرين من المشتغلين بالعلوم الكونية مواقف عدائية واضحة من قضية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فمردُّ ذلك كله بعيد عن طبيعة العلوم الكونية، وإنما يرجع إلى المواقف الخاطئة التي أفرزتها الحضارة المادية المعاصرة، والتي تحاول فرضها على كل استنتاج علمي، وعلى كل رؤية شاملة للكون والحياة في ظل قفزات هائلة

في مجال العلوم الكونية البحتة منها والتطبيقية، وقد تخلف المسلمون مؤخراً في كثير من مجالاتها مما أدى إلى انتقال القيادة الفكرية في هذه المجالات على وجه الخصوص إلى أمم سبق للعلماء فيها أن عانوا معاناة شديدة من تسلط الكنيسة عليهم، واضطهادها لهم، ورفضها للمنهج العلمي ولكل معطياته، ووقوفها حجر عثرة في وجه أي تقدم علمي، كما حدث في أوروبا في أوائل عصر النهضة. وظل الحال كذلك حتى انتصرت حقائق العلم فانطلق العلماء الغربيون من منطلق العداوة للكنيسة أولاً ثم لقضية الإيمان بالتبعية، وداروا بالعلوم الكونية ومعطياتها في إطارها المادي فقط، وبرعوا في ذلك براعة ملحوظة، ولكنهم ضلوا السبيل وتنكبوه حينما حبسوا أنفسهم في إطار المادة وحدها، ولم يتمكنوا من إدراك ما فوقها، وحرموا أنفسهم من مجرد التفكير فيه، فأصبحت الغالبية العظمى من العلوم تكتب من مفهوم مادي صرف. وانتقلت عدوى ذلك إلى عالمنا المسلم أثناء مرحلة اللهث وراء اللحاق بالركب التي نعيشها منذ بدايات القرن العشرين، وما صاحب ذلك من مركبات الشعور بالنقص، مع دسّ الأعداء، وانبهار البلهاء بما حققته الحضارة المادية المعاصرة من انتصارات في مجال العلوم البحتة والتطبيقية، وما وصلت إليه من أسباب القوة المادية والغلبة العسكرية، وما حملته معها حركة الترجمة من غث وسمين، فأصبحت العلوم تكتب اليوم في عالمنا المعاصر من نفس المنطلق؛ لأنها عادة ما تدرس وتكتب وتنشر بلغات أجنبية على نفس النمط الذي أرست قواعده الحضارة المادية المعاصرة. وحتى ما ينشر منها باللغة العربية، وبغيرها من اللغات المحلية في مختلف دول العالم الإسلامي المعاصر، لا يكاد يخرج في مجموعه عن كونه ترجمة مباشرة أو غير مباشرة للفكر الغريب الوافد، بكل ما فيه من تعارض واضح أحياناً مع نصوص الدين. والخطأ ليس خطأ المعطيات الكلية للعلوم المكتسبة، ولكنه يتجسد في صياغتها بأيد كافرة أو مشركة، ضالة عن الحق وركائزه، وعن الدين الصحيح وأصوله.

وهنا تقتضي الأمانة إثبات أن ذلك الموقف غريب على العلم وحقائقه، ومن هنا أيضاً **كان من واجب المسلمين إعادة التأصيل الإسلامي للمعارف المكتسبة كلها، أي إعادة كتابة العلوم وغيرها من المعارف المكتسبة من منطلق إسلامي صحيح**، خاصة وأن المعطيات الكلية للعلوم ـ بعد وصولها إلى قدر من التكامل في هذا العصر ـ أصبحت من أقوى الأدلة على وجود الله، وعلى تفرده بالألوهية والربوبية والوحدانية فوق جميع خلقه، ومن أنصع الشواهد على حقيقة الخلق، وحتمية البعث، وضرورة الحساب. وأن العلوم الكونية كانت ولا تزال النافذة الرئيسة التي تتصل منها الحضارة المعاصرة بالفطرة الربانية، وأن المنهج العلمي ونجاحه في الكشف عن عدد من حقائق هذا الكون متوقف على اتساق تلك الفطرة واتصاف سننها بالاطراد والثبات.

٧ ـ كذلك فإن القول «بأن المعطيات الكلية للعلوم التجريبية ـ كما تصاغ في الحضارة المادية المعاصرة ـ قد تتباين مع الأصول الإسلامية الثابتة»، هو قول على إطلاقه غير صحيح؛ لأنه إذا جاز ذلك في بعض الاستنتاجات الجزئية الخاطئة، أو في بعض الأوقات (كما كان الحال في مطلع القرن العشرين. والمعرفة بالكون جزئية متناثرة، ساذجة بسيطة، أو في الجزء المتوسط منه عندما أدت المبالغة في التخصص إلى حصر العلماء في دوائر ضيقة للغاية حجبت عنهم الرؤية الكلية لمعطيات العلوم) فإنه لا يجوز اليوم، وقد بلغت المعارف بأشياء هذا الكون حداً لم تبلغه البشرية من قبل، وأصبحت الاستنتاجات الكلية لتلك المعارف تؤكد ضرورة الإيمان بالخالق البارئ المصور الذي ليس كمثله شيء، وضرورة التسليم بالغيب وبالوحي وبالحشر وبالبعث وبالحساب.

**ومن المعطيات الكلية للعلوم الكونية المعاصرة ما يمكن إيجازه فيما يلي:**

١ ـ إن هذا الكون الذي نحيا فيه متناه في أبعاده، مذهل في دقة بنائه، وإحكام ترابطه وانتظام حركاته.

٢ - إن هذا الكون مبني على نفس النظام من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته.

٣ - إن هذا الكون دائم الاتساع إلى نهاية لا يستطيع العلم المكتسب إدراكها، وإن أمكنه قياس معدلات هذا التوسع.

٤ - إن هذا الكون - على قدمه - مستحدث مخلوق، كانت له في الماضي السحيق بداية يحاول العلم التجريبي قياسها، ووصل فيها إلى دلالات تكاد تكون ثابتة إذا استبعدنا الأخطاء التجريبية.

٥ - إن هذا الكون عارض، فلا بد من أن ستكون له في يوم من الأيام نهاية تشير إليها كل الظواهر الكونية من حولنا، وإن عجزنا عن تحديد وقتها الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

٦ - إن هذا الكون المادي لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه، ولا يمكن لأي من مكوناته المادية أن تكون قد أوجدته.

٧ - إن هذا الكون المتناهي الأبعاد، الدائم الاتساع، المحكم البناء، الدقيق الحركة والنظام، والذي يدور كل ما فيه في مدارات محددة ويجري بسرعات مذهلة متفاوتة وثابتة، لا يمكن أن يكون قد وجد بمحض المصادفة.

**هذه المعطيات الكلية للعلوم تفضي إلى الحقائق المنطقية التالية:**

١ - إذا كان هذا الكون الحادث لا يمكن أن يكون قد أوجد نفسه بنفسه أو أن يكون قد وجد بمحض المصادفة، فلا بد له من موجد عظيم له من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك من صفات الكمال والتنزيه ما لا يتوفر لشيء من خلقه، بل لا مهرب من الاعتراف بأن يكون لهذا الخالق العظيم من الصفات ما يغاير صفات المخلوقات جميعاً فلا تحده حدود المكان والزمان، ولا قوالب المادة والطاقة ولا بد من أن تكون مرجعية الكون كله إليه، وبالتالي فلا بد من أن يكون خارج حدود الكون، وأن يرجع أمر الكون كله إليه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]،

ولا ينسحب عليه ما يحكم خلقه من سنن وقوانين؛ لأنه ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٢ ـ وهذا الخالق العظيم الذي أوجد الكون بما فيه ومن فيه هو وحده الذي يملك القدرة على إزالته وإفنائه ثم إعادة خلقه وقتما شاء وكيفما شاء، وفي ذلك يقول ﷻ:

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ويقول عز من قائل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

٣ ـ كذلك فإن الوحدة في هذا الكون تشير إلى وحدانية هذا الخالق العظيم: وحدة بناء كل من الذرة، والخلية الحية، والمجموعة الشمسية، والمجرة، وغيرها من تجمعات أجرام السماء، ووحدة تآصل العناصر كلها وردها إلى أبسطها وهو غاز الأيدروجين، ووحدة تواصل كل صور الطاقة، وتواصل المادة والطاقة، وتواصل كل من المكان والزمان؛ هذا التواصل وتلك الوحدة التي يميزها التنوع في أزواج، وتلك الزوجية التي تنتظم كل صور المخلوقات من الجمادات والأحياء ـ من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان ـ تشهد بتفرد الخالق البارئ المصور بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه، واستعلاء هذا الخالق الواحد الأحد الفرد الصمد فوق خلقه بمقام الألوهية الذي لا يشاركه فيه أحد، ولا ينازعه على سلطانه منازع ولا يشبهه من خلقه شيء.

٤ ـ وبالإضافة إلى ذلك فإن العلوم التجريبية في تعاملها مع المدرك المحسوس فقط، قد استطاعت أن تتوصل إلى أن بالكون غيباً قد لا يستطيع الإنسان أن يشق حجبه، ولولا ذلك الغيب ما استمرت تلك العلوم في التطور والنماء؛ لأن أكبر الاكتشافات العلمية قد تم نتيجة للبحث الدءوب عن هذا الغيب المرحلي، أما الغيوب المطلقة فقد استأثر بها علم الله.

٥ - كذلك تؤكد العلوم التجريبية أن بالأحياء سراً لا نعرف كنهه؛ لأننا نعلم مكونات الخلية الحية، والتركيب المادي لجسد الإنسان، ومع ذلك لم يستطع هذا العلم أن يصنع لنا خلية حية واحدة، أو أن يوجد لنا إنساناً عن غير الطريق الفطري لإيجاده. وحتى الاستنساخ الذي هو عبث بالخلق لا يخرج عن ذلك في شيء.

٦ - إن النظر في أي من زوايا الكون ليؤكد حاجته - بمن فيه وما فيه - إلى رعاية خالقه العظيم في كل لحظة من لحظات وجوده.

٧ - إن العلوم الكونية إذ تقدر أن الكون والإنسان في شكليهما الحاليين ليسا أبديين، فإنها - وعلى غير قصد منها - لتؤكد حقيقة الآخرة، بل حتميتها. والموت يتراءى في مختلف جنبات الكون في كل لحظة من لحظات وجوده شاملاً الإنسان والحيوان والنبات والجماد بما في ذلك من أجرام السماء على تباين هيئاتها. وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما أثبتته الدراسة من أن الشمس تفقد من كتلتها بالإشعاع على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن من المادة في كل ثانية، وأنها إذ تستمر في ذلك فلا بد من أن يأتي الوقت الذي تخبو فيه جذوتها، وينطفئ أوارها، وتنتهي الحياة على الأرض قبل ذلك؛ لاعتماد الأرض في ممارسة أنشطتها الحيوية على القدر المقنن الذي يصلها من أشعة الشمس، وأن الطاقة تنتقل من الأجسام الحارة إلى الأجسام الأقل حرارة بطريقة مستمرة في محاولة لتساوي درجات حرارة الأجرام المختلفة في الكون، ولابد أن تنتهي بذلك أو قبله كل صور الحياة المعروفة لنا. وليس معنى ذلك أنه يمكن معرفة متى تكون نهاية هذا الوجود؛ لأن الآخرة قرار إلٰهي لا يرتبط بسنن الدنيا، وإن أبقى الله - تعالى - لنا في الدنيا من الظواهر والسنن ما يؤكد إمكانية وقوع الآخرة، بل حتميتها انصياعاً للأمر الإلٰهي ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

والقرآن الكريم يؤكد لنا فيه ربنا - تبارك وتعالى - فجائية وقوع الآخرة بقوله

العزيز مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمداً ﷺ فيقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الإنسان الذي يحوي جسده ـ في المتوسط ـ ألف مليون مليون خلية يفقد منها في كل ثانية ما يقدر بحوالي ١٢٥ مليون خلية، تموت ويتخلق غيرها بحيث تتبدل جميع خلايا جسد الفرد من بني البشر مرة كل عشر سنوات تقريباً، فيما عدا الخلايا العصبية التي إذا ماتت لا تتجدد.

وتكفي في ذلك أيضاً الإشارة إلى أن انتقال الإلكترون من مدار إلى آخر حول نواة الذرة يتم بسرعة مذهلة دفعت بعدد من العلماء المعاصرين إلى الاعتقاد بأنه فناء في مدار، وخلق جديد في مدار آخر.

كما تكفي الإشارة إلى ظاهرة اتساع الكون عن طريق تباعد المجرات عن بعضها البعض بسرعات مذهلة تقترب من ثلاثة أرباع سرعة الضوء المقدر بحوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية، وتخلق المادة في المسافات الجديدة الناتجة عن هذا التباعد المستمر إلى نهاية لا يعلمها إلا الله تعالى، وبطريقة لا يعلمها إلا هو ـ سبحانه وتعالى ـ. وتباطؤ هذا التباعد مع الزمن يشير إلى حتمية تغلب الجاذبية على عملية الدفع إلى الخارج؛ مما يؤدي إلى إعادة جمع مادة الكون ومختلف صور الطاقة فيه وكل المكان والزمان في جرم واحد ذي كثافة بالغة يشبه الجرم الأول الذي بدأ منه خلق الكون، وهذا سوف يؤدي إلى انفجاره على هيئة شبيهة بالانفجار الأول الذي تم به خلق الكون فيتحول هذا الجرم الثاني إلى غلالة من دخان كما تحول الجرم الأول، وتتخلق من هذا الدخان أرض غير الأرض الحالية وسمٰوات غير السمٰوات المحيطة بها كما وعد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا

فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وتكفي في ذلك أيضاً الإشارة إلى فناء مختلف صور المادة والطاقة في داخل الثقوب السود إلى نهاية لا يعلمها إلا الله تعالى. كما يكفي أن نشير إلى حقيقة أن الذرات في جميع الأحماض الأمينية والجزيئات البروتينية تترتب ترتيباً يسارياً حول ذرة الكربون، في أجساد كافة الكائنات الحية على اختلاف مراتبها، فإذا ما مات الكائن الحي أعادت تلك الذرات ترتيب نفسها ترتيباً يمينياً بمعدلات ثابتة محددة يمكن بواسطتها تحديد لحظة وفاة الكائن الحي إذا بقيت من جسده بقية بعد مماته. ويتعجب العلماء من القدرة التي مكنت الذرات من تلك الحركات المنضبطة بعد وفاة صاحبها وتحلل جسده!!

فهل يمكن لعاقل بعد ذلك أن يتصور أن العلوم الكونية ومعطياتها ـ في أزهى عصور ازدهارها ـ تتصادم مع قضية الإيمان بالله؟ وهذه هي معطياتها الكلية، وهي في جملتها تكاد تتطابق مع تعاليم السماء، **وفي ذلك كتب المفكر الإسلامي الكبير الأستاذ/ محمد فريد وجدي ـ يرحمه الله ـ في خاتمة كتابه المعنون «المستقبل للإسلام»** ما نصه: «إن كل خطوة يخطوها البشر في سبيل الرقي العلمي، هي تقرب إلى ديننا الفطري، حتى ينتهى الأمر إلى الإقرار الإجماعي بأنه الدين الحق». ثم يضيف: «نعم إن العالم بفضل تحرره من الوراثات والتقاليد وإمعانه في النقد والتمحيص، يتمشى على غير قصد منه نحو الإسلام، بخطوات متزنة ثابتة، لا توجد قوة في الأرض ترده عنه إلا إذا انحل عصام المدنية، وارتكست الجماعات الإنسانية عن وجهتها العلمية».

وقد بدأت بوادر هذا التحول الفكري تظهر جلية اليوم في مختلف جنبات الأرض، بإقبال أعداد كبيرة من العلماء والمتخصصين وكبار المثقفين والمفكرين على الإسلام، إقبالاً لم تعرف له الإنسانية مثيلاً من قبل، وأعداد

هؤلاء العلماء الذين توصلوا إلى الإيمان بالله عن طريق النظر المباشر في الكون، واستدلوا على صدق خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالوقوف على عدد من الإشارات العلمية البارقة الصادقة في كتاب الله تعالى، أو في سنة رسوله ﷺ هم في تزايد مستمر، وهذا واحد منهم هو «موريس بوكاي» الطبيب والباحث الفرنسي يسجل في كتابه «الإنجيل والقرآن والعلم» ما نصه: «لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير ـ إلى هذا الحد ـ من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص دوِّن منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً».

٨ ـ إن فهم الإشارات الكونية في كتاب الله، على ضوء ما تجمع للبشرية اليوم من معارف، وتقديمها للعالم كواحد من الأدلة العديدة على أن القرآن الكريم هو كلام الله ـ تعالى ـ الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي حفظ بحفظ الله، بنفس اللغة التي أوحي بها ـ اللغة العربية ـ، بدقائق حروفه وكلماته وآياته وسوره، يعتبر فتحاً جديداً للإسلام، وإنقاذاً للبشرية من الهاوية التي تتردى فيها اليوم بسبب تقدمها العلمي والتقني المذهل، وتضاؤل روح الإيمان بالله، وانعدام الخشية من عذابه في نفوس العدد الأكبر من الناس، خاصة في أكثر المجتمعات البشرية المعاصرة أخذاً بأسباب التقدم العلمي والتقني، فأغلب المجتمعات البشرية في الدول غير المسلمة تعاني اليوم من انفراط عقد الأسرة، والتقنين للممارسات الجنسية بدون أدنى رباط، فكثر حمل المراهقات، وكثر أبناء الزنا، وعمت الأسر ذات العائل الواحد، وتفشت الأمراض والأوباء والعلل مما لم يكن معروفاً من قبل، وقننت الحكومات في الكثير من دول العالم اليوم التشريعات للعلاقات الشاذة، وصرحت بتبني الأطفال وتنشئتهم في وسط الشواذ ـ وهي عملية مدمرة للفطرة الإنسانية ـ فكثرت الأزمات النفسية وأمراضها، وتضاعفت معدلات كل من الإدمان

والجريمة والانتحار، وملئت أكثر المجتمعات البشرية ثراء وتطوراً مادياً بأخطر مشاكل المجتمعات الإنسانية تعقيداً على الإطلاق..!!!

ومن هؤلاء الذين لا يعرفون لهم أباً، والذين خرجوا إلى الحياة بطرق غير مشروعة، ونشأوا في بيئات فاسدة، وبين سلوكيات منحطة وضيعة من يمكن أن يصل إلى مقام السلطة في دول تملك من تقنيات ووسائل الغلبة المادية، ومن مختلف أسلحة الدمار الشامل ما يمكن أن يعينه على البطش بالخلق، وإفشاء الظلم، وتدمير الحياة على الأرض، وإفساد بيئاتها والقضاء على مختلف صور الحياة فيها..!!! ولا يجد من دين أو خلق أو منطق أي رادع يمكن أن يرده عن ذلك.

وأغلب وسائل الإعلام قد وقعت اليوم في أيدي غلاة اليهود المتعصبين لأسطورة «شعب الله المختار»، في مؤامرة خسيسة على الإنسانية ـ وهم بهذا أشد الناس عداوة للذين آمنوا بصفة خاصة وللإنسان غير اليهودي ـ بصفة عامة ـ فوظفوا كافة تلك الوسائل الإعلامية في تدمير البقية الباقية من عقائد وأخلاقيات وسلوكيات المجتمعات الإنسانية، وفي تشويه صورة الإسلام في أذهان الناس؛ وذلك لأنه مما يسوؤهم أن يروا الإسلام ينتشر في مجتمعاتهم في الوقت الذي يتصورون أنهم قد أحاطوا بالإسلام والمسلمين إحاطة كاملة. وعلى الرغم من كل ذلك فإنه قمم الفكر والعلم والرأي؛ تقبل على الإسلام اليوم في الغرب والشرق لأنهم يرون فيه المخرج الوحيد من الوحل النتن الذي غاصت فيه مجتمعاتهم.

ووسيلتنا في تحسين صورة الإسلام في العالم هي حسن الدعوة إليه بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي. وخير ما نقدمه في ذلك المضمار مما يتناسب مع طبيعة العصر ولغته هو (الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة)؛ لأننا نعيش في زمن أدار فيه غالبية الناس ظهورهم للدين، وأصبحت قضايا الغيب المطلق (من حساب في القبر، وبعث بعد الموت، وعرض أكبر أمام الله الخالق، وخلود في حياة

قادمة: إما في الجنة أبداً، أو في النار أبداً)، وغيرها من قضايا الدين لا تحرك فيهم ساكناً، ولكنهم في نفس الوقت قد فتنوا بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة. فإذا أشرنا إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون قبل أن يصل الإنسان إلى شيء منها بالمئات العديدة من السنين ـ وهو الكتاب الذي أنزل على نبي أمي ﷺ، في أمة كان غالبيتها الساحقة من الأميين ـ من قبل ألف وأربعمائة سنة فإن ذلك سوف يحرك عقولهم وقلوبهم، وسوف يحضهم على قراءة كتاب الله الذي ما اطلع عليه عاقل ـ حتى في ترجمة لمعانيه ـ إلا وشهد له بأنه لا يمكن أن يكون كلام أحد غير الله الخالق تبارك وتعالى.

وفي ذلك تقليل من حجم الكراهية الشديدة التي غرستها وسائل الإعلام الصهيونية/ الصليبية في قلوب الملايين من الأفراد للإسلام والمسلمين، وفيه دعوة مستنيرة إلى دين الله، وما أحوجنا للدعوة لهذا الدين الخاتم في زمن التحدي بالعولمة الذي نعيشه، والذي يتهدد كافة شعوب الأرض بالذوبان في بوتقة الحضارة المادية الجارفة..!! وفي زمن الاستعلاء الأنجلو/ أمريكي/ الإسرائيلي اللعين الذي يتهدد منطقتنا بأكملها بالدمار في ظل تفكك القيادات العربية والمسلمة، وتشرذمهم، وتخاذلهم، وانصياعهم للأوامر المعادية لشعوبهم ولدينهم ولأخلاقهم وقيمهم، وفقدهم الثقة بالله، وخوفهم المزعوم من الشبح الأمريكي اللعين الذي لا يصمد أبداً أمام قدرة رب العالمين. وإسلامنا العظيم يعلمنا أنه من معاني (لا إله إلا الله) أنه لا سلطان في هذا الوجود لغير الله، وأننا لو رجعنا إلى ربنا بصدق وتمسكنا بإسلامنا في تجرد وإخلاص لنصرنا الله ـ تعالى ـ كما نصر أسلافنا العظام من قبل. ومن أهم وسائلنا في ذلك حسن الدعوة إلى دين الله باللغة التي يفهمها أهل عصرنا، وهي لغة العلم.

ولا يمكن أن يصدنا عن ذلك دعوى أن عدداً من المفسرين السابقين الذين تعرضوا لتفسير بعض الآيات الكونية في كتاب الله قد تكلفوا في تحميل تلك

الآيات من المعاني ما لا تحتمله؛ وذلك بسبب نقص في وفرة المعلومات العلمية أو جهل بها. وكما سبق وأن أوضحنا فإن التفسير لآيات القرآن الكريم هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة تلك الآيات إن أصاب فيها المرء فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والمُعَوَّل عليه في ذلك هو النية، وأن الخطأ في التفسير لا ينال من جلال القرآن الكريم، ولكنه ينعكس على المفسر؛ خاصة وأن الذين فسروا باللغة أصابوا وأخطأوا، والذين فسروا بالتاريخ أصابوا وأخطأوا، ولم ينل ذلك من قدسية القرآن الكريم ومكانته في قلوب وعقول المؤمنين.

أما اليوم وقد توافر للإنسان من المعرفة بحقائق الكون وسننه ما لم يتوافر لجيل من البشر من قبل، فإن توظيف ذلك الكم الهائل من المعلومات الصحيحة من أجل حسن فهم دلالة الآية القرآنية، وإثبات سبقها التاريخي لكافة البشر يعتبر ضرورة إسلامية لتثبيت إيمان المؤمنين، ولدعوة الضالين من الكفار والمشركين والذين سوف يسألنا ربنا ﷻ عن تبليغهم بهذا الدين، ودعوتهم إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وباللغة التي يفهمونها.

والأخطاء التي وقع فيها عدد من المفسرين الذين تعرضوا للآيات الكونية في كتاب الله، فتكلفوا في تحميل الآيات من المعاني ما لا تحتمله في تعسف واضح وتكلف جلي، يحملونه هم ولا تحتمله آيات الكتاب المبين؛ لأن التفسير يبقى جهداً بشرياً منسوباً لصاحبه بكل ما للبشر من نقص وبعد عن الكمال، وإن كان عدد منهم قد جاوز الصواب، فإن أعداداً أوفر قد وفقت في ذلك أيما توفيق.

ولم تكن أخطاء بعض المفسرين محصورة في شرح دلالة بعض الإشارات الكونية فقط، فهنالك عدد من كتب التفسير التي استشهدت بالإسرائيليات الموضوعة، أو امتلأت بالعصبيات المذهبية الضيقة، وغير ذلك مما لا يقبله العقل القويم، ولا يرضاه الصحيح المنقول عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه المكرمين والتابعين، ولا يرتضيه المنطق اللغوي السليم؛ فالمعتزلة على

سبيل المثال ـ لا الحصر ـ قد حاولوا في تفاسيرهم إخضاع الآيات لمبادئهم في العدل والتوحيد وحرية الإرادة والوعد والوعيد وإنكار الرؤية وغيرها، وتعسفوا في ذلك أيما تعسف. والشيعة ـ على اختلاف فرقهم ـ قد دفعتهم المغالاة في حب آل البيت إلى التطرف في تأويل بعض الآيات القرآنية تأويلاً لا يحتمله ظاهر الآيات، ولا السياق القرآني ولا القرائن المنطقية المختلفة. وكذلك المُتصوِّفة والإشاريون؛ فهم على الرغم من تسليمهم بالمأثور من التفسير، وقبولهم للمعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي السليم ـ يسمحون لأنفسهم باستنباط معانٍ للآيات تخطر في أذهانهم عند التلاوة وإن لم تدل عليها الآيات القرآنية الكريمة بطريق من طرق الدلالات المعروفة في الاستعمال العربي للغة وطرائق التعبير فيها. أما المنحرفون من أتباع الفرق الباطنية وإفرازاتها القديمة والحديثة فتمتلئ تفاسيرهم بالانحرافات التي تنطق بالتعسف والافتعال، ومحاولات تطويع القرآن الكريم لمبادئهم المضللة في تكلف ملحوظ.

مع كل ذلك هل يمكن أن يتوقف علم التفسير عند حدود جهود السابقين من المفسرين ـ على فضلهم وفضل ما قدموه لخدمة فهم القرآن الكريم في حدود المعرفة المتاحة في أزمنتهم؟ ـ بالقطع لا؛ لأن القرآن الكريم أنزل للناس ليتدبروا آياته، ويفهموا دلالاته، ويعيشوا معانيه، ويتخذوه دستوراً كاملاً ونظاماً شاملاً لحياتهم، وهذا لا يتأتى بالوقوف به عند جهود السابقين. علماً بأن كتب التفسير تحوي تراثاً دينياً، وفكرياً وتاريخياً لهذه الأمة لا يمكن التضحية به، حتى ولو كانت به بعض الأخطاء أو التجاوزات، إلا إذا كان القصد الواضح هو التحريف، وهو أمر لا يصعب على عاقل إدراكه.

٩ ـ إن الإعجاز في الآيات الكونية الواردة في كتاب الله يتلخص في سبق هذا الكتاب الكريم بأكثر من عشرة قرون كاملة لجميع المعارف المكتسبة؛ وذلك بالإشارة إلى عدد من حقائق الوجود التي لم تعرف إلا منذ عقود قليلة. وهذا السبق العلمي لكتاب أنزل منذ أكثر من أربعة عشر قرناً على نبي أُمي ـ ﷺ ـ

وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي عالم تميز بالجهالة الكاملة في هذه الأمور، وبالافتقار إلى أبسط وسائل وأجهزة الكشف العلمي هو الذي يجسد جانب الإعجاز لأن هذا السبق لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق. ومن هنا فلا بد من توسيع المدلول اللغوي لكلمة (المعجزة) ليشمل هذا السبق العلمي. كذلك لا بد من التأكيد على أن الادعاء بأن في وصول عدد من العلماء إلى معرفة شيء من حقائق الوجود ما يمكن أن يخرج الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم عن تلك الحقائق من دائرة الإعجاز هو قول غير صحيح لأن الإعجاز هنا يتمثل في قضية السبق الزمني لجميع المعارف المكتسبة بعدد من القرون المتطاولة.

من كل ما سبق يتضح لنا أن حجج المضيقين في رفض تفسير الإشارات الكونية في كتاب الله على ضوء ما تجمع اليوم لدى الإنسان من معارف بالكون وعلومه هي كلها حجج مردودة، فالكون صنعة الله، والقرآن الكريم هو كلام خالق الكون وواضع نواميسه، ولا يمكن أن يتعارض كلام الله الخالق مع الحقائق التي أودعها في خلقه إذا اتبع الناظر في كليهما المنهج السليم، والمسلك الموضوعي الأمين؛ فمن صفات الآيات الكونية في كتاب الله أنها صيغت صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني في كل آية من تلك الآيات الدالة على شيء من أشياء الكون أو ظواهره أو نشأته أو إفنائه وإعادة خلقه، وتظل تلك المعاني تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، وهذا ـ عندي ـ من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

ومن هنا كانت ضرورة استمرارية النظر في تفسير تلك الآيات الكونية، وضرورة مراجعة تراجمها إلى اللغات الأخرى بطريقة دورية. أما آيات العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات فقد صيغت صياغة محكمة يفهم دلالتها كل مستمع إليها مهما قلت ثقافته أو زادت؛ لأن تلك الآيات تمثل ركائز الدين الذي هو صلب رسالة القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقوله الكريم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقوله العزيز: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقوله الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿. . . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

أما الآيات المتعلقة بذات الله وصفاته، وبالروح وأسرارها، وبالملائكة والجن، وبحياة البرزخ وحساب القبر، وبالبعث، والحساب، والجنة، والنار، وبالآخرة وما فيها من الغيوب وغير ذلك من الأمور الغيبية غيبة مطلقة فلا يملك المسلم حيالها إلا الإيمان بما جاء عنها في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة رسوله ﷺ، والتسليم في فهمها لنص القرآن الكريم أو للمأثور من تفسير المصطفى ﷺ؛ لأن الإنسان لا يمكن له أن يصل إلى عالم الغيب المطلق إلا ببيان من الله الخالق أو بخبر من خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وذلك لأن قدرات عقل الإنسان المحدودة، وحواسه المحدودة لا يمكن لهما اجتياز حدود عوالم الغيوب المطلقة مهما أوتي الإنسان من أسباب الذكاء والفطنة؛ ومن هنا كان امتداح القرآن الكريم للذين يؤمنون بالغيب.

### ثانياً: موقف الموسعين في التفسير العلمي للقرآن الكريم:

يرى أصحاب هذا الموقف أن الإشارات الكونية في القرآن الكريم قد قصدت لذاتها، أي: لدلالاتها العلمية المحددة، مع التسليم بوجوب استخلاص الحكمة والعبرة منها والوصول إلى الهداية عن طريقها؛ وانطلاقاً من ذلك فقد قام

أصحاب هذا الموقف بتبويب آيات الكونيات في كتاب الله، وتصنيفها حسب مختلف التصانيف المعروفة في مختلف مجالات العلوم البحتة والتطبيقية، ثم اندفعوا في حماسهم لهذا الاتجاه إلى المناداة بأن القرآن الكريم يشمل جميع العلوم والمعارف. ولابد لحسن فهم تلك الإشارات الكونية في كتاب الله من تفسيرها على ضوء اصطلاحات تلك العلوم، ثم زاد البعض بمحاولة إثبات أن جميع حقائق العلوم البحتة والتطبيقية التي استخلصها الإنسان بالنظر في جنبات الكون هي موجودة في القرآن الكريم استناداً إلى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وهذا في رأينا موقف مبالغ فيه، فالسياق القرآني في الآيتين السابقتين لا يتماشى مع ما وصلوا إليه من استنتاج؛ لأن هاتين الآيتين الكريمتين تشيران إلى رسالة القرآن الكريم الأساسية، وهي الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وهي القضايا التي لا يمكن للإنسان أن يضع لنفسه فيها أية ضوابط صحيحة. ولذلك استوفاها القرآن استيفاء لا يقبل إضافة. أما قصص الأمم السابقة، والإنباء ببعض الغيوب، والإشارات الكونية، وكل من القضايا التربوية والنفسية والإدارية والاقتصادية وغيرها مما جاء به القرآن الكريم؛ وبخاصة الإشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره، فقد جاء هذا الكتاب العزيز بنماذج منها فقط تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة على الخلق وبالقدرة على إفنائه وإعادته من جديد، كما تشهد على وحدانية الله المطلقة فوق جميع خلقه.

وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن القرآن الكريم لم يخبرنا إلا عن خمسة وعشرين نبياً من أنبياء الله، بينما روي عن رسول الله ﷺ أن عدد الأنبياء بلغ مئة وعشرين ألفاً، وأن الله اصطفى من هذا العدد الكبير من الأنبياء ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً.

وربما كان هذا الموقف الموسع من الأسباب الرئيسة التي أدت إلى تحفظ المتحفظين من الخوض في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله على

أساس من معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، أو التعرض لإظهار جوانب الإعجاز العلمي فيها.

**ثالثاً: موقف المعتدلين في التفسير العلمي للقرآن الكريم:**

يرى أصحاب هذا الموقف أنه مع التسليم بأن القرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية ربانية، أساسها الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، والأمر بالعبادات المفروضة، والحث على الالتزام بمكارم الأخلاق، وعلى التعامل بين الناس بالعدل والإحسان؛ أي أنه دستور كامل للحياة في طاعة خالق الكون والحياة. ومع التسليم كذلك بأن الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله قد جاءت في معرض التذكير بقدرته المطلقة وببديع صنعه في خلقه، وشمول علمه، وكمال صفاته وأفعاله؛ إلا أنها تبقى بياناً من الله خالق الكون ومبدع الوجود، ومن أعلم بالكون من خالقه؟!

من هنا كانت تلك الإشارات الكونية كلها حقاً، وكانت كلها منسجمة مع قوانين الله وسننه في الكون، وثابتة في دلالاتها ـ مهما اتسعت دائرة المعرفة الإنسانية ـ فلا تعارض ولا تناقض ولا اضطراب، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

من هنا أيضاً كان واجب علماء المسلمين في كل عصر من العصور إعادة مدارسة تلك الآيات الكونية، والاستفادة بكل أنواع المعارف المتاحة في تفسيرها، وإظهار جوانب الإعجاز فيها، تأكيداً لإيمان المؤمنين، ودعوة ناجحة لغير المسلمين باللغة التي يفهمونها؛ ودحضاً لافتراءات المفترين، وتثبيتاً للحقيقة الراسخة: أن القرآن الكريم هو كلام الله في صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق المطلق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ كتابه الكريم تعهداً مطلقاً حتى يبقى هذا الكتاب (القرآن الكريم) حجة على الخلق أجمعين إلى يوم الدين، وشاهداً للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

ومن هنا كذلك كان التسليم بأن تلك الإشارات الكونية لم ترد في القرآن الكريم بهدف التبليغ بالحقيقة العلمية؛ لأن الحكمة الإلٰهية قد اقتضت ترك كل معرفة ـ غير أصول الدين ـ مجالاً مفتوحاً لاجتهاد المجتهدين يتنافس فيه المتنافسون ويتبارى فيه المتبارون، أمة بعد أمة، وجيلاً بعد جيل، إلى أن يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها. فلو أن الإرادة الإلٰهية قد ارتضت بسط الكون بكل حقائقه كاملة أمام الإنسان لانتفت الغاية من الحياة الدنيا، وهي دار ابتلاء واختبار، ولاختفى ذلك الغيب الذي يشد الإنسان إليه بجميع حواسه وكل قواه العقلية والفكرية، ولتبلدت تلك الحواس والقدرات، ولمضت حياة الإنسان على الأرض رتيبة كئيبة بائسة، جيلاً بعد جيل، وعصراً بعد عصر، بغير تجديد أو تنويع أو إبداع، وسط عالم يتميز بالتغير في كل أمر من أموره وفي كل لحظة من لحظات وجوده. هذا فضلاً عن أن العقل البشري عاجز عن تقبل الحقائق الكونية الكلية دفعة واحدة، وأنه محتاج في فهمها إلى شيء من التدرج في الكشف وفي استخراج الأدلة وإثباتها، وفي تكامل معطياتها على مدى أجيال متعاقبة، بالتجربة والملاحظة والاستنتاج، وباستقراء سنن الله في الكون.

**ويستدل أصحاب هذا الموقف المعتدل بما يلي:**

١ ـ الحشد الهائل من الإشارات الكونية في كتاب الله، ومطالبة القرآن الكريم للإنسان دوماً بتحصيل المعرفة النافعة على إطلاقها، وهذه أولى آيات القرآن العظيم تأمر بذلك وتحدد وسائله، وتحض على التأمل في الخلق، بل وتشير إلى حقيقة علمية لم تكتشف إلا بعد ذلك بقرون طويلة ألا وهي: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾؛ وهي حقيقة لم يتوصل إليها الإنسان إلا بعد اكتشاف المجاهر المكبرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

٢ ـ ما يقرره القرآن الكريم من مسئولية الإنسان عن حواسه وعقله وما يفرضه من ضرورة حسن استخدامهما في التعرف على الكون، واكتساب المعارف

النافعة منه، وتوظيف ذلك في حسن فهم كتاب الله، حيث يقرر الحق ـ تبارك وتعالى ـ مسؤولية الإنسان عن حواسه وذلك بقوله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

٣ ـ رفض القرآن الكريم للتقليد والجمود على الآراء الموروثة الخاطئة، والحكم بالظن والهوى، ومطالبته الإنسان دوماً بتأسيس الأحكام على الدليل العقلي الذي لا يقبل النقض. وهذه كلها من أخص خصائص المنهج التجريبي في دراسة الكون وما فيه.

٤ ـ تكريم القرآن الكريم للعلم والعلماء ـ بمن فيهم من علماء الكونيات ـ في العديد من آيات الذكر الحكيم نختار منها قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

والآية الأخيرة قد وردت بعد استعراض لكثير من المشاهد الكونية، مما يؤكد أنها تشمل علماء الكونيات وإن لم يكونوا هم المقصودين بها مباشرة، فالآية تنطق: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

٥ ـ مطالبة القرآن الكريم للإنسان ـ في تشديد واضح ـ بالنظر في كل ما خلق الله. وهذه أوامره صريحة جلية نختار منها قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ١٠١].

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقوله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

٦ ـ وينتصر أصحاب هذا الموقف المعتدل لموقفهم بما ينعاه القرآن الكريم على الغافلين عن التفكير في آيات السمٰوات والأرض، وذلك في كثير من آياته التي منها قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

ويصف القرآن الكريم هؤلاء الغافلين بأنهم كالأنعام بل هم أضل، ويقرر بأن جزاءهم جهنم عقاباً لهم على إهمالهم نعم الله التي أنعم بها عليهم، وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

٧ ـ ويستشهدون على ضرورة توظيف المعارف العلمية المتاحة لفهم دلالة الآيات الكونية في كتاب الله بربط القرآن الكريم دوماً بين الإيمان بالله والنظر فيما خلق وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وقوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

٨ ـ ويستشهد المنادون بضرورة توظيف المعارف العلمية في تفسير الآيات الكونية في كتاب الله بالإشارة إلى أن القرآن الكريم ـ في استعراضه لأمور الكون ـ يتناول كليات الأشياء تاركاً التفاصيل لاجتهاد الإنسان، ولكنه في نفس الوقت ينبه باستمرار إلى جوانب مهمة من مثل «الكم» و«الكيف» وهما من أسس العلوم التجريبية؛ «الكم» الذي يتعلق بالحجم والكتلة وبالزمان والمكان، وبدرجات النمو والاندثار وغيرها يتمثل في كثير من الآيات القرآنية التي نختار منها قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]، وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وبخصوص «الكيف» بمعنى هيئة الأشياء وتركيبها ومسبباتها، ومجرى الظواهر الكونية وحدوثها، والسنن الإلٰهية وجريانها فإن القرآن الكريم يشدد التنبيه عليها في مواضع كثيرة منها قول الله تعالى:

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠].

وقوله ﷻ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٤٥، ٤٦].

وقوله عز من قائل:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ ـ ٢٠].

٩ ـ ويستشهد أصحاب هذا الموقف المعتدل كذلك على ضرورة توظيف المعارف العلمية في تفسير الآيات الكونية بتأكيد القرآن الكريم أن لكل شيء في هذا الكون فطرته السوية التي فطره الله عليها، والتي تخصه وتميزه، وهي قاعدة أساسية من قواعد المنهج العلمي التجريبي في الكشف عن حقائق هذا الكون ومكوناته وسنن الله فيه، ونقرأ في ذلك قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣].

وأن هذه الفطرة ثابتة، لا تتغير ولا تتبدل لقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وأن هذه الفطرة خاضعة لقوانين مطردة، لا تتخلف ولا تتوقف إلا بإذن الله، وأنه لولا ثبات تلك الفطرة واطراد القوانين التي تحكمها ما تمكن الإنسان من اكتشاف أي من أمور هذا الكون، وأن القرآن الكريم يصر على تسمية تلك القوانين بالحق، وعلى أن الكون وما فيه خلق بالحق، ويطالب الإنسان بالتعرف على ذلك الحق والتزامه، فالتنزيل ينطق بقول الله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣]. وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨]. وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً

وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]. وقوله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

١٠ ـ كذلك فإن الذين يرون ضرورة توظيف المعارف العلمية في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله وفي الاستشهاد على الإعجاز العلمي لتلك الآيات ينتصرون لذلك بأن أكثر من أربعين سورة من سور القرآن الكريم البالغ عددها (١١٤) سورة تحمل أسماء لبعض أشياء الكون وظواهره، ويستشهدون بعرض القرآن الكريم للعديد من القضايا التي هي من صميم العلوم التجريبية من مثل خلق السمٰوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، واتساع الكون، وفتق السمٰوات والأرض، وبدء تكون السماء بدخان، وخلق الحياة من الماء وفي الماء، واستعراض مراحل الجنين في الإنسان، وغير ذلك كثير مما لا يوفيه في هذا المقام حصر، ولكن تكفي الإشارة إلى آيات قليلة منها من مثل قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

وآيات الكتاب الحكيم في كل ما عرضت له من أمور الكون تتميز بمنتهى الدقة في التعبير، والشمول في المعنى، والإحاطة في الدلالة، وبالسبق الإخباري بحقائق لم يتيسر للإنسان إلمام بها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين. وهذا بالقطع يشكل صورة من صور الإعجاز لم تتوفر لجيل من الأجيال من قبل.

**وخلاصة القول** أن القرآن الكريم يزخر بالعديد من الآيات التي تشير إلى الكون وما به من كائنات ـ جمادات وأحياء ـ وإلى صور نشأتها ومراحل تكوينها، وإلى العديد من الظواهر الكونية المصاحبة لها، وقد أحصى الدارسون من مثل

هذه الآيات حوالي ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة، مما يبلغ بعدد الآيات الكونية إلى سدس مجموع آيات القرآن الكريم تقريباً. ويقف المفسرون من هذه الآيات الكونية مواقف متعددة فمنهم المضيقون والموسعون ومنهم المعتدلون.

**فالمضيقون** يرون أن تلك الإشارات لم ترد في القرآن الكريم لذاتها، وإنما وردت من قبيل الاستدلال على قدرة الله ـ تعالى ـ وإبداعه في خلقه، وقدرته على إفناء الخلق ثم بعثه، ولإثبات وحدانية الخالق المطلقة فوق جميع خلقه، ومن ثم فلا يجوز تفسيرها في ضوء معطيات العلوم الحديثة؛ وذلك بدعوى انطلاق الكتابات العلمية من منطلقات مادية، منكرة لكل ما هو فوق المدرك المحسوس.

أما **الموسعون** فيرون أن القرآن الكريم يشتمل على جميع العلوم والمعارف، ولا بد لحسن فهم ذلك من تفسيره على ضوء ما تجمع لدى الإنسان من رصيد علمي خاصة في مجال العلوم البحتة والتطبيقية، ومن ثم فقد قاموا بتبويب آيات الكونيات في كتاب الله وتصنيفها حسب التصانيف المعروفة في مختلف مجالات تلك العلوم، وتميز ذلك بشيء من التكلف الذي أدى إلى رفض المنهج والوقوف في وجهه.

أما **المعتدلون** فيرون أنه مع التسليم بأن الإشارات الكونية في القرآن الكريم قد وردت في معرض التذكير بقدرة الله، وبديع صنعه في الخلق وفي الاستشهاد على قدرته ﷻ على الإفناء والبعث، فإنها تبقى بياناً من الله، خالق الكون ومبدع الوجود، ومن ثم فهي حق مطلق. ولا غرابة إذن من انسجامها مع قوانين الله وسننه في الأنفس والآفاق، ومع معطيات العلوم الحديثة عن حقائق هذا الوجود. كذلك فإنهم يرون أنه مع التسليم بأن تلك الإشارات لم ترد في القرآن الكريم بهدف التبليغ المباشر بالحقيقة العلمية؛ لأن الحكمة الإلٰهية قد اقتضت ترك ذلك لاجتهاد الإنسان على مر الزمن، إلا أنها تتميز بالدقة المتناهية في التعبير، والإحاطة في الدلالة، والشمول في المعنى، بحيث يدرك فيها أبناء كل جيل ما يتناسب مع مستوياتهم الثقافية، وما وصلوا إليه من علوم، ثم إن تلك الدلالات

تتميز كلها بالسبق إلى الحقيقة الكونية قبل أن تدرك الكشوف العلمية شيئاً منها بقرون طويلة، وهذا في حد ذاته يمثل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم الذي هو أحد أوجه الإعجاز العديدة في كتاب الله. خاصة وأن القرآن الكريم قد تم إنزاله من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أُمي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي ذلك يقول هذا الكتاب العزيز عن رب العالمين: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

ولذلك يبقى الإعجاز العلمي في كتاب الله من أنسب وسائل الدعوة إلى دين الله في عصر التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه تثبيتاً لإيمان المؤمنين، ودعوة للجاحدين من مختلف صور المشركين والكافرين والضالين، في عالم تحول إلى قرية كبيرة، ما يحدث في أحد أركانها يتردد صداه في بقية أرجائها، ولا يأمن أهل الحق أن يصيبهم ما أصاب الأمم الضالة من عقاب، أو أن يجرفهم تيار الحضارة المادية فيذيبهم في بوتقتها، وبذلك يخسرون الدنيا والآخرة. وطوق النجاة في الحالتين يتمثل في الاعتزاز بالإسلام العظيم، والتمسك بالقرآن الكريم الذي يتجلى إعجازه العلمي في عصر العلم الذي نعيشه يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل حتى يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها. وفي ذلك يقول المصطفي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**» (البخاري ومسلم).

### رابعاً: الرد على معارضي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

في الردّ على المعارضين لقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نؤكد على أن المعرفة الإنسانية كلٌّ لا يتجزأ، ولكنها تُصَنَّف في محاور متعددة من أجل التيسير على الدارسين. وقد سبق لنا تصنيفها في شكل هرمي على النحو التالي:

١. قاعدة الهرم وتحتوي كل (العلوم البحتة والتطبيقية) ـ على اختلاف مجالاتها ـ. ووضعها في قاعدة الهرم المعرفي للإنسان ليس من قبيل الاستهانة بها، ولكن

بسبب كونها وسيلة إعمار الحياة المادية على الأرض، وإتقانها هو من وسائل عون الإنسان على حسن القيام بواحد من أهم واجبات الاستخلاف في الأرض؛ بعمارة مختلف النواحي المادية فيها.

٢. ويأتي فوق العلوم البحتة والتطبيقية (فلسفاتها): بالمعنى الإسلامي للفلسفة وهو حب الحكمة؛ أي استخراج الحكمة من كل أمر مادي يراه العالم المتخصص، وكل ظاهرة كونية يرصدها؛ لأن الحكمة ـ كما وصفها رسول الله ﷺ ـ هي ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أولى الناس بها.

٣. ويأتي فوق فلسفة العلوم كل (الدراسات الإنسانية)؛ لأن الإنسان في الإسلام مخلوق مكرم، وكل ما يتعلق بهذا المخلوق المكرم لا بد أن يكون مكرماً.

٤. ويأتي فوق الدراسات الإنسانية (فلسفاتها)؛ بمعنى استخراج الحكمة من كل علم من هذه العلوم الإنسانية (اللغات بمختلف آدابها، الفنون النافعة بمختلف أشكالها، التاريخ، الجغرافيا، الاقتصاد، المحاسبة، الإدارة، علم النفس، علم الاجتماع، علم دراسة الإنسان، علم الجريمة، العلوم السياسية، الدراسات القانونية، وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالإنسان وسلوكياته).

٥. ويأتي في قمة الهرم (وحي السماء) وما يشمل من دراسات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما بهما من قواعد العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات وما ينظم ذلك من تشريعات؛ لأن وحي السماء هو بيان من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه المحيط أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية ضوابط صحيحة لنفسه فيها، ومن هنا كانت ضرورة الوحي بالدين.

وهذا الهرم المعرفي لا يمكن لأحد من الناس أن يحيط به إحاطة كاملة، ومن هنا وجب على كل متعلم أن يتخصص في شريحة من شرائح هذه المستويات الخمسة، ولكن لكي يفهم الإنسان حقيقة رسالته في هذه الحياة، ويتعلم ضوابط تحقيقها على الوجه الذي يرتضيه الله فلا بد له من الإلمام بشيء عن كل واحد من

المستويات الأخرى: ليحقق شمولية المعرفة التي تميزت بها الحضارة الإسلامية عبر التاريخ، والثقافة العامة التي يحتاجها كل متخصص.

ولكن في أزمنة التخلف والانحطاط التي عاشتها الأُمتان العربية والإسلامية خلال القرنين الماضيين ـ ولا تزال تعيشها في مطلع القرن الحالي ـ انتقل إلينا من الغرب مرض (الفصل بين المعارف)، وإن كان لذلك مبرراته في الحضارة الغربية، فلا مبرر له على الإطلاق في عالم الإسلام. فالحضارة الغربية قامت على فصل الدين عن الدولة، وفصل المعارف المكتسبة عن الدين فصلاً كاملاً، بينما في الإسلام العظيم يطبق الدين نظاماً كاملاً شاملاً للحياة.

وبتقليد الغربيين في الفصل بين التعليم الديني والتعليم المدني تخلَّفت المجتمعات المسلمة تخلُّفاً ملحوظاً، وذلك بسبب تخرج علماء شرعيين قد يكونون على أعلى مستوى يدرك في تخصصاتهم، ولكن لعزلتهم عن المعطيات الكلية للمعارف المكتسبة انعزلوا عن مجتمعاتهم انعزالاً كاملاً ـ إلا من رحم ربك ـ. وبالمقابل فإن جامعاتنا تُخَرِّج علماء مدنيين قد يحققون التفوق في تخصصاتهم، ولكن لعزلتهم عن الدين لم يروا أدنى رابط بين العلوم المكتسبة والدين ـ إلا من رحم ربك ـ! وهذا يشكل وجهاً من أوجه أزمة التعليم المعاصر في عالمنا الإسلامي.

ويجسِّد هذه الأزمة اختلاف علماء الأمة حول (قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم): فالعلماء الشرعيون ـ بحكم تخصصاتهم ـ يرون أن معجزة القرآن الكريم هي معجزة بيانه ونظمه فقط، والتي أدرك أساطين اللغة العربية فيها ـ ومنذ سماع أولى آيات القرآن تتلى عليهم ـ أنها علامة فارقة بين كلام الله ـ تعالى ـ وكلام عباده من البشر الذين خلقهم بعلمه وحكمته وقدرته. في المقابل يرى المتخصصون في العلوم المكتسبة أنه لا توجد أدنى علاقة بين المعارف المكتسبة ووحي السماء!

ولحل هذا الإشكال قام نفر من علماء المسلمين بالجمع بين الثقافتين الدينية والمكتسبة؛ فأثبتوا بالأدلة المنطقية التي لا يرفضها عاقل أن القرآن الكريم

ـ لكونه كلام الله ـ في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية ـ لا بد أن يكون معجزاً في كل أمر من أموره: في بيانه ونظمه، في فصاحته وبلاغة أسلوبه، في كمال رسالته ودقة مضامينه، ومنها مجموع العقائد التي يدعو الناس إلى الإيمان بها، ومجموع العبادات التي يأمرهم بأدائها، والدستور الأخلاقي الذي يدعوهم إلى الالتزام به، ودستور المعاملات التي شرعها لهم. ومنها استعراضه لتاريخ عدد من الأمم البائدة ومواقفها من أنبياء الله ورسله، ومنها أسلوب القرآن التربوي الفريد، وخطابه إلى النفس الإنسانية وارتقائه بها، وفي إنبائه الصادق بالغيب القريب والبعيد، وفي إشاراته العلمية الصحيحة والدقيقة إلى الكون ومكوناته وظواهره، وإلى الإنسان وخلقه وإفنائه وبعثه، وإلى مراحل الأجنة التي يمر بها نسله، وإلى غير ذلك من حقائق الوجود.

**وسَبقُ القرآن الكريم بالعديد من الحقائق العلمية قبل وصول المعارف المكتسبة** إليها بعدة قرون هو المقصود بتعبير (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، بمعنى أن هذا الكتاب العزيز قد سبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتوصل إليها معارف الإنسان المكتسبة إلا بعد قرون عديدة من تنزل القرآن الكريم يزيد عددها في كثير من الأحيان عن عشرة قرون كاملة في أقل التقديرات لها. ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذا الكم الهائل من الحقائق القرآنية مصدراً غير الله الخالق ـ سبحانه ـ حيث لم يكن ممكناً لأحد من البشر إدراك شيء من هذا الحق في زمن الوحي ولا لقرون عديدة من بعده بوسائل العلم البشري المكتسب. وفي إثبات ذلك تأكيد لكل عاقل ـ بصفة عامة ـ ولأهل العلم وطلاب الحق ـ بصفة خاصة ـ أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية، في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه حفظاً كاملاً على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً؛ حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على جميع الخلق إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

و(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) هو أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله الخاتم بلغة مناسبة لعصر تَفَجُّر المعرفة العلمية الذي نعيشه. وقد سبق الإخبار بتحقيق وقوعه في حياة الناس من قبل أربعة عشر قرناً وذلك في عشرات الآيات القرآنية الكريمة التي منها قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

أما المضيقون الذين يَقْصُرون (الإعجاز في القرآن الكريم) على بيانه ونظمه فقط بدعوى أنه الجانب الذي تحدي به العرب زمن الوحي فيما كانوا يجيدونه ويتقنونه؛ فقد نسوا أن التحدي بالقرآن الكريم لم يكن للعرب فقط بل نزل للجن والإنس، فرادى ومجتمعين، وليس جميعهم يعرف اللغة العربية فضلاً عن إجادتها وإتقانها.

ثم إن الادعاء بأن المثلية التي جاء بها التحدي هي مثلية البيان والنظم فقط ادعاءٌ لا سند له من الكتاب أو السنة أو المنطق السوي، فضلاً عن أن فيه إجحافاً ظالماً بفضل القرآن الكريم؛ لأنه مع إيماننا التام بأن بيان القرآن ونظمه معجز، إلا أن البيان يبقى إطاراً لمحتوى ومضمون، والمحتوى والمضمون أهم من الإطار وأعظم شأناً! ومحتوى القرآن الكريم هو الدين بركائزه الأربع الأساسية من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات. بالإضافة إلى ما جاء به من قصص الأولين، وأنباء اللاحقين، وإشارات كونية ونفسية واجتماعية واقتصادية وإدارية، وحفظ مطلق على مدى الدهر. ومن هنا جاء التحدي للجن والإنس ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثله، ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يواجهه عاقل! وهذا التحدي هو بالقرآن كله وليس فقط ببيانه، وأما القول بثبات القرآن واطراد نمو المعارف الإنسانية المكتسبة باستمرار تقدم تلك المعارف، والانتقال من ذلك إلى الدعوى بعدم جواز تفسير الثابت من الآيات الكونية في كتاب الله بالمتغير من المعارف الإنسانية المكتسبة فهي دعوى ساذجة؛ لأن معناها الجمود على فهم واحد لتلك الإشارات الكونية في كتاب الله، وهذا الجمود يتخلف بالمسلمين عن معايشة عصرهم في كل زمان ومكان، وهو أمر لا يرضاه الله تعالى

لهم.وثبات اللفظ القرآني مع تطور الفهم البشري لدلالاته مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل، في تكامل لا يعرف التضاد هو ـ عندي ـ من أعظم أوجه الإعجاز في كتاب الله.

وانطلاقاً من ذلك فإن (الإعجاز العلمي في كتاب الله) يتلخص في صدق كل إشارة علمية جاء بها، وفي سبق هذا الكتاب العزيز بأكثر من عشرة قرون كاملة لجميع المعارف المكتسبة بعدد من الحقائق العلمية الثابتة التي جاءت في أكثر من ألف آية قرآنية كريمة؛ وذلك لأن قيمة الكشف عن أية حقيقة علمية لا بد من أن يؤخذ في إطاره الزمني.

ووصول الإنسان مؤخراً إلى عدد من حقائق الكون التي سبق تنزلها في القرآن الكريم من قبل أكثر من عشرة قرون لا يمكن أن ينفي ومضة الإعجاز العلمي عن هذا الكتاب الخالد؛ لأن الزمن عامل مهم في الحكم على مثل هذه القضايا. أما الاحتجاج بالتعريف اللغوي للفظة (المعجزة) وجمعها (المعجزات) بأنها: الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، المقرون بالتحدي لعجز البشر عن الإتيان بمثله، من مثل ما كرَّم الله ـ تعالى ـ به نبيّاً من أنبيائه من فعل خارق للعادة يؤيد به نبوته، واستخدام هذا التعريف في حَجْرِ الإعجاز القرآني في دائرة البيان والنظم فقط؛ فهو احتجاج باطل لأن التعريف اللغوي لإعجاز القرآن الكريم يمكن توسعته ليشتمل على المراد الحق، والتزام الصدق، والدقة البالغة، والتفوق، والسبق في كل أمر من الأمور؛ بحيث يعجز الخلق أجمعون ـ إنسهم وجنهم، فرادى ومجتمعين ـ عن تحقيق شيء من مثله في نفس الزمان والمكان الذي أنزل فيهما. وعلى ذلك يكون من معاني إعجاز القرآن؛ دقته العلمية المطلقة، مع تفوقه وسبقه في كل أمر من أموره. علماً بأن هناك اعتراضاً من عدد من علماء التفسير واللغة على استخدام لفظة (معجزة) لعدم ورودها بهذا المعنى في كتاب الله.

ولقد ناقش عدد من أساتذة التفسير واللغة العربية وآدابها (قضية الإعجاز

العلمي في القرآن الكريم)، وبحكم تخصصاتهم حجروا القضية في إطار البيان والنظم فقط، واختلفوا على النحو التالي:

١. فمنهم من قال بأن الإشارات العلمية في القرآن الكريم لا تعتبر من وجوه الإعجاز، وإنما هي أدلة على أن القرآن كلام الله ـ تعالى ـ؛ وذلك لأن الإعجاز قائم على التحدي، ولا إعجاز إلا بالتحدي، ويضيف: أنا أرى أن المثلية المطلوبة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ . . .﴾ هي المثلية البيانية. فمن لا يعرف العربية لا أتحداه، ولكن أخاطبه بالأدلة الأخرى التي تسمى (دلائل مصدره الرباني). ويضيف أصحاب هذا الرأي قولهم: هذا الذي لا يتكلم العربية أقول له: تعال أعطيك دورة لغة عربية، وعندما تتقن اللغة العربية كأي عربي أقول لك: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ . . .﴾ وعندها سوف يعجز.

وهنا أترك للقارئ الكريم الحكم على إمكانية تحقيق ذلك! ثم يعمد بعض هؤلاء الإخوة الكرام إلى محاولة التصحيح من موقفه هذا فيقول: ولكن عدم القول بالإعجاز العلمي لا يعني إلغاء الحقائق العلمية في القرآن الكريم، بل يجب تعلمها وتقديمها للناس باعتبارها أدلة على أن القرآن كلام الله. وهل المشتغلون بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يطلبون بأعمالهم أكثر من الوصول إلى هذه الحقيقة؟!.

٢. ومن الحاجرين لقضية (الإعجاز في القرآن الكريم) في دائرة بيانه ونظمه فقط عدد من شديدي الانبهار بالحضارة الغربية لدرجة أن أحدهم يصف الطبيب الفرنسي (موريس بوكاي) بقوله: «دعنا نقول إن (موريس بوكاي) هو أصح ذهناً من كثير من المسلمين المعاصرين». ولو فهم هذا الأخ الكريم حقيقة ما كتبه (موريس بوكاي) ما تلفظ بهذه الإساءة إلى آلاف من العلماء المسلمين الذين سبقوا (موريس بوكاي) ولحقوا به وتابعوه وكتبوا ما لم يكتبه (بوكاي)، مع تقديرنا الكبير لما كتب من إنصاف. علماً بأن هذا الطبيب الفرنسي ـ على فضله ـ لم يكتب في إعجاز القرآن ولكنه أشار إلى شيء من الدقة العلمية في عدد من

الآيات القرآنية الكريمة. وقد حمدنا له ذلك لصدوره عن طبيب كاثوليكي ـ لم يكن قد أعلن إسلامه بعد ـ انطلاقاً من قاعدة: والحق ما شهدت به الأعداء، أما الانبهار الزائد عن الحد بكل عمل غربي ـ لمجرد كونه غربياً ـ فهو موقف انهزامي لا يرضاه الله ـ تعالى ـ، ولا يرضاه رسوله، ولا يرتضيه الحكم السوي.

ويضيف هذا الأخ الكريم خطأً آخر بقوله: فمثلاً دوران الأرض حول الشمس فعل واقع وليس نظرية، لكن المدار الذي تدور فيه نظرية، وقد تأتي نظرية فتحدد المدار بشكل أفضل. وهذا تنزيه للنص القرآني عن أن يكون كلاماً في الطب أو الفلك أو الرياضيات أو غير ذلك، ولو علم الأخ الكريم أن مدار الأرض حول الشمس، وكذا مدارات كل أجرام مجموعتنا الشمسية حولها محدد بدقة بالغة ما قال هذا الكلام! ولو قرأ شيئاً عن (ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) ما وصل إلى مثل هذا الاستنتاج الخاطئ.

أما القول بعدم تسمية الحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم إعجازاً؛ بدعوى أن الإعجاز أساساً هو ثمرة للتحدي، وبدعوى أن الحقائق العلمية التي تضمنها هذا الكتاب العزيز في آيات عدة إنما جاءت في سياق الاستدلال على قدرة الله ـ تعالى ـ لا في سياق التحدي أساساً، فقد سبق أن رددنا عليه في مطلع هذا الفصل.

ويضيف هذا الأخ الكريم قوله: ومن هنا يتم التفريق بين إعجاز القرآن ـ وهو عنده إعجاز نظمه فقط ـ والتفسير العلمي للقرآن ـ ويقصد به الانتفاع بحقائق العلم التجريبي في شرح آياته ـ. وهذه الحقائق تصب في خانة أن القرآن وحي يوحى، ولا تسمى إعجازاً؛ لأن الإعجاز وصف زائد على كونه وحياً. ومن ثم فإن الأدلة التي يسوقها الباحثون في الإعجاز العلمي على أن القرآن وحي لا تدخل في باب الاستدلال على أن القرآن معجز؛ فالقرآن معجز بنفسه وليس

بتفسيرنا له؛ بمعنى أن النص القرآني نفسه معجز سواء فهمنا معناه أم لم نفهم، أو أدركنا المدلول العلمي له أم لم ندركه. وهذا خلط عجيب أرى أن يجلّيه هذا الكتاب؛ لأن كل وحي لا بد أن يكون معجزاً لصدوره عن الله ـ ﷻ ـ، وكل ما يصدر عن الله الخالق ـ ومنه الوحي بالقرآن ـ لا بد أن يكون معجزاً للإنسان في كل أمر من أموره.

٣. ومن الأساتذة الأفاضل الذين يحصرون إعجاز القرآن الكريم في دائرة بيانه ونظمه فقط من يقول: إن الإعجاز هو أن أهل هذه اللغة عجزوا عن أن يأتوا بمثله، ولذلك فإنهم يفضلون استعمال تعبير **(إعجاز الخلق)** بدلاً من **(الإعجاز العلمي)**؛ بدعوى أن تعبير (الإعجاز العلمي) ليس متفقاً مع الموضوع؛ لأن القرآن لم يتحد البشر أن يأتوا بحقائق علمية. ولست أدري ما هو الفرق بين هذين التعبيرين!

من هذا الاستعراض يتضح بجلاء أن القرآن الكريم هو كلام الله الموحى به إلى خاتم أنبيائه ورسله، بلسان عربي مبين، والمنقول عنه نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة بنفس اللغة التي أوحي إليه بها، والذي تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه حفظاً مطلقاً، والذي نجده في المصاحف التي خطت ثم طبعت على مر العصور، كما نجده محفوظاً في صدور ملايين الحفاظ جيلاً بعد جيل، ومسجلاً على مختلف صور الأشرطة والأسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وغير ذلك من صور الحفظ الحاسوبية المتعددة، في الوقت الذي تعرضت كل صور الوحي السابقة للضياع التام، وما بقي من ذكريات عن النادر منها ظلت تنقل شفاهاً من الآباء للأبناء ومن الأجداد للأحفاد، ثم دُوِّنت بأيدي أناس مجهولين ليسوا بأنبياء ولا مرسلين، بعد قرون من موت أو رفع الأنبياء الذين تلقوها؛ ولذلك فهي صياغة بشرية كاملة بكل ما للبشر من نقص وبعد عن الكمال؛ ولذلك ظلت هذه الكتابات المنحولة تتعرض للتبديل بعد التبديل، وللتحريف والتغيير إلى يومنا هذا، وسوف تظل تتعرض لذلك إلى قيام الساعة.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين الموجود بين أيدي الناس اليوم محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، محتفظاً بصفائه الرباني وإشراقاته النورانية، والحق الذي أنزل به؛ ولذلك فهو الكتاب الوحيد الذي يتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بتلاوة فاتحته، والذي لا يغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأذكار أو الأدعية.

وبهذه المعالم البينة للقرآن الكريم لا بد أن يكون معجزاً في كل أمر من أموره؛ فما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويرى منها أنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق. وقد عَلِمْنا من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ما يلي: الإعجاز البياني/ النَّظْمي، الإعجاز الاعتقادي، الإعجاز التعبدي، الإعجاز الأخلاقي، الإعجاز التشريعي، الإعجاز التاريخي، الإعجاز النفسي، الإعجاز الاقتصادي، الإعجاز الإداري، الإعجاز العلمي، الإعجاز الإنبائي، الإعجاز العددي/ الرقمي، إعجاز الحفظ، إعجاز التحدي، إعجاز وصف الآخرة، الإعجاز الصوتي، إعجاز ترتيب الحروف، إعجاز المقطعات الهجائية، الإعجاز البنائي للسورة، إعجاز التكرار. وقد يرى القادمون من بعدنا في هذا الكتاب العزيز من أوجه الإعجاز ما لا نعلمه نحن اليوم.

وهذا يعني دقة، وشمول، وإحاطة، وصدق كل ما جاء في كتاب الله من هذه القضايا وغيرها، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى العديد منها قبل أن تصل مدارك الإنسان إلى شيء منها من أوضح جوانب الإعجاز في كتاب الله. فكل ما جاء فيه حق مطلق يعجز الإنسان عن الإتيان بشيء من مثله، وهذا هو الذي يليق بكلام الله في كل حرف وكلمة وآية وسورة، وفي القرآن كله من أوله إلى آخره؛ فالبشرية لم تعرف كتاباً عالج مثل هذا العدد الكبير من القضايا دون خطأ واحد غير القرآن الكريم. أما محاولة حصر إعجاز القرآن الكريم في بيانه ونظمه؛ فهو جمود على القديم الذي لا يليق بمسلم في القرن الحادي والعشرين.



# الفصل الخامس

## تأصيل التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ومبررات الاهتمام بها

**أولاً: تعريف لفظة «الإعجاز»**

قبل الوصول إلى تعريف لفظة الإعجاز لا بد لنا من الإشارة إلى أن بعض الكتاب من القدامى والمعاصرين ـ على حد سواء ـ قد اعترض على استخدام لفظ «**معجزة**» ومشتقاته في الإشارة إلى عجز الإنسان عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم أو بشيء من مثله، أو في الإشارة إلى استعصاء تقليد القرآن الكريم على الجهد البشري، واستعلاء كلام الله ـ تعالى ـ على جميع خلقه، لأن كلام الله الخالق لا بد وأن يكون مغايراً لكلام البشر جملة وتفصيلاً، ولو أنه أنزل بأسلوب يفهمه البشر وقت نزوله وفي كل عصر من العصور التالية لنزوله إلى أن يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها.

وحجة المعترضين على لفظ «معجزة» ومشتقاته تقوم على أساس من أن اللفظ لم يرد له ذكر في كتاب الله بالمعنى الشائع اليوم، ولا في الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة، وإن وردت مشتقاته للدلالة على عدد من المعاني القريبة أو المغايرة قليلاً لذلك في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم بألفاظ (أعجز)، و(معجزين)، و(معاجزين) و(عجوز) و(أعجاز) وتصريفاتها، وذلك من مثل قوله تعالى:

- ﴿قَالَ يَـٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَـٰذَا ٱلۡغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١].
- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].
- ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩].

- ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢].
- ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣].
- ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣].
- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ١٩، ٢٠].
- ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].
- ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [النحل: ٤٦].
- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحج: ٥١].
- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [النور: ٥٧].
- ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٠، ١٧١].
- ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت: ٢٢].
- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبإ: ٥].
- ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [سبإ: ٣٨].
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].
- ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٤ ـ ١٣٥].
- ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١].
- ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٣١].

- ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٣٢].
- ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩].
- ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].
- ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].
- ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢].

ودلالات هذه الألفاظ في تلك المواضع قد تبعد قليلاً عما أريد التعبير عنه بلفظ (المعجزة) عند علماء اللغة، خاصة أن القرآن الكريم قد أشار دوماً إلى مدلول المعجزة بلفظ آية (بصيغة المفرد والمثنى والجمع) في أكثر من ٣٨٠ موضعاً منه، ومن هذه المواضع قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٣٧].

وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾ [البقرة: ١١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾ [البقرة: ٢١١].

وقوله تعالى على لسان أحد أنبياء بني إسرائيل:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقوله تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿... هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وقوله على لسان فرعون وقومه وهم يعارضون نبي الله موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

وهذه حجة مردودة؛ لأن التعبير عن الإعجاز في القرآن الكريم قد استخدم منذ القرون الهجرية الأولى، ولم يجد علماء المسلمين غضاضة في استخدام هذا التعبير على الرغم من عدم وروده بهذا المعنى في كتاب الله أو في أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ، علماً بأن كلًّا من تعبير الآية والبرهان يتحقق فيه شرط الإعجاز كما يتحقق في تعبير (المعجزة) تماماً حينما يكون المقصود بأيٍّ منهما إقامة الحجة على المنكرين؛ وتعبير «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» يحقق الغاية من إثبات صدق ما جاء به القرآن الكريم، وذلك بإثبات سبقه لجميع المعارف الإنسانية التي قد تكون وصلت إلى شيء من ذلك مؤخراً. وتعبير (الآية) بكل ما يحمله من معنى الحق والإعجاز يبقى متحدياً لعالم الباطل بما لا يستطيع أن يضاهيه أو يقترب من الإتيان بشيءٍ من مثله.

وبالعودة إلى تعريف لفظة «الإعجاز»، فقد قال الراغب الأصفهاني: أصل (العَجْز) التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخَّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة.

قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ [المائدة: ٣١].

ويقال: (أَعْجزْتُ) فلاناً و(عَجَّزْتُهُ): جعلته (عاجزاً).

وقال ابن منظور: معنى (الإعجاز): الفَوْت والسبق. يقال: (أعجزني) فلان. أي: فاتني. وقال الليث: (أعجزني) فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. و(المعجزة) واحدة (معجزات) الأنبياء عليهم السلام.

وقال الفيروزأبادي: و(معجزة) النبي ﷺ: ما (أعجز) به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة.

وانطلاقاً من ذلك فُهِمَ أن (الإعجاز) لفظة مشتقة من إثبات (العَجْز) وهو

الضعف وعدم القدرة. يقال: (عجز) عن كذا: أي لم يقدر عليه، فهو (عاجز) عن الإتيان به، وجمعه (عواجز). يقال: (عجز) (عجزاً) و(عجوزاً)، و(عجزاناً) و(معجزاً) بفتح الجيم وكسرها، و(معجزة) أيضاً بفتح الجيم وكسرها، ولذا يقال: رجل (عجز) بضم الجيم وكسرها أي (عاجز)، وامرأة (عاجزة) و(عاجز)، كما يقال: (عجزه) الشيء أو الأمر بمعنى فاته ولم يقدر عليه.

ويقال: (عجزه) و(أعجزه) و(استعجزه) أي صيَّره (عاجزاً) نسبة إلى (العجز)، وتستعار لمعنى التثبيط، أي بمعنى ثبطه.

كما يقال: (عاجزه) (معاجزة) أي سابقه مسابقة، و(تعجز) أي ادعى (العجز)؛ و(الأعجز) هو العظيم العجز، ومؤنثه (العجزاء)؛ و(المعجاز) هو الدائم العجز، و(المعجوز) الذي (أعجز).

ويقال: (عجز) (عجوزاً) أي صار (عجوزاً)، و(العجوز) وجمعه (عجز) و(عجائز) المرأة المسنة.

و(العجز) وجمعه (أعجاز) مؤخر الشيء أو الجسم (وتكتب بفتح الجيم وكسرها وضمها وبفتح العين وضم الجيم أو كسرها)، و(عجز) بيت الشعر هو الشطر الثاني منه، و(أعجاز) النخل هي أصولها.

ويقال: (أعجز) في الكلام أي أدى لمعانيه بأبلغ الأساليب. و(الإعجاز) بمعنى السبق والفوت مصدر من (أعجز).

**وعلى ذلك تعرف (المعجزة) وجمعها (المعجزات) بأنها الأمر الخارق للعادة، السالم من المعارضة، المقرون بالتحدي لعجز البشر عن الإتيان بمثله.**

و(إعجاز) القرآن الكريم معناه (عجز) الخلق أجمعين ـ إنسهم وجنهم، فرادى ومجتمعين ـ عن أن يأتوا بشيء من مثله، ولذلك أنزل ربنا ﷻ في محكم كتابه هذا التحدي الأزلي الذي يقول فيه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ويقول ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

* ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

* ويؤكد الله ﷻ على كمال القرآن الكريم فيقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويقول ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠].

* ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

* ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

* ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

والقرآن الكريم كتاب معجز في بيانه ونظمه، معجز في فصاحته وبلاغة أسلوبه، معجز في كمال رسالته ودقة مضمونه، وقد أنزل للناس كافة بدين الإسلام الذي علمه ربنا ﷻ لأبينا آدم ﵇ لحظة خلقه، وكرر إنزاله على عدد من أنبيائه ورسله، وأكمله وأتمه وحفظه في هذه الرسالة الخاتمة المنزلة على خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ. وعلى ذلك فالقرآن الكريم معجز في مجموع العقائد التي يدعو إلى الإيمان بها، وفي مجموع

العبادات التي يأمر بأدائها، معجز في دستوره الأخلاقي الفريد، وفي كل تشريع من تشريعاته الناطقة بدقتها، وعدلها، وشموليتها وتفاصيلها...!!

والقرآن الكريم معجز كذلك في استعراضه التاريخي لعدد من الأمم السابقة، ولكيفية تعاملها مع رسل ربها، ولأسلوب مكافأتها أو عقابها، معجز في أسلوبه التربوي الفريد، وخطابه النفسي السوي، وفي إنبائه الدقيق بالغيب القريب والبعيد، وفي إشاراته العديدة إلى الكون ومكوناته وظواهره، وإلى الإنسان وخلقه ومراحله الجنينية.

وهذا الجانب الأخير من جوانب الإعجاز في كتاب الله هو المقصود بتعبير «الإعجاز العلمي في القرآن الكريم»، ويقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزل القرآن الكريم، يزيد طولها على عشرة قرون كاملة في أقل تقدير لها. ولا يمكن لعاقل أن يتصور لهذه الحقائق العلمية مصدراً غير الله الخالق ﷻ حيث لم يكن ممكناً لأي من البشر إدراكها في زمن الوحي ولا لقرون عديدة من بعده، وفي إثبات ذلك تأكيد لأهل العلم في عصرنا أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وتصديق للنبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ في نبوته ورسالته، وفي التبليغ عن ربه.

والإعجاز العلمي في القرآن الكريم أسلوب فريد في الدعوة إلى دين الله بلغة مناسبة لعصر تفجر المعرفة العلمية الذي نعيشه. وقد سبق للقرآن الكريم الإخبار بتحقيق وقوعه في حياة الناس من قبل أربعة عشر قرناً وذلك في العديد من آياته التي نختار منها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

* ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: ٥، ٦].

* ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

* ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

* ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

* ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٦، ٦٧].

* ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

* ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

* ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

* ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].

## ثانياً: تأصيل التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

من الاستعراض السابق يتضح لنا بجلاء أن إثبات الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عصر التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه هو من مواقف التحدي للناس كافة ـ مسلمين وغير مسلمين ـ بأن كتاباً أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أُمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا الكتاب يحوي من حقائق الكون ما لم تتوصل إليه العلوم المكتسبة إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وبعد مجاهدات طويلة قام بها عشرات

الآلاف من العلماء عبر تاريخ البشرية الطويل، وتركز الكشف عن تلك الحقائق في القرنين الماضيين بصفة خاصة. ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذا العلم الحق، في ذلك الزمن البعيد، غير الله الخالق ﷻ، الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية ـ ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً، وحفظه في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ ليبقى حجة على الناس كافة إلى يوم الدين. ولمَّا كان المتحدي لا بد وأن يكون واقفاً على أرضية صلبة، **فلا يجوز توظيف شيء في هذا المجال غير الحقائق القطعية الثابتة حتى يبلغ التحدي مداه في مجال إثبات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.**

**وهذا الالتزام واجب حتمي في التعرض للآيات الكونية في كتاب الله باستثناء آيات الخلق بأبعاده الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان.** وذلك لأن عملية الخلق عملية غيبية غيبة مطلقة لم يشهدها أحد من الإنس، ولذلك فلا تخضع للإدراك المباشر من الإنسان، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

ولكن القرآن الكريم الذي جاء بهذه الآية الكريمة، يأمرنا ربنا ﷻ فيه بضرورة التأمل في قضية الخلق ـ وهي قضية غير مشاهدة من قبل الإنسان ـ وذلك في عدد غير قليل من الآيات التي منها قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ١٩، ٢٠].

وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

والجمع بين هذه الآيات الكريمة ـ وأمثالها كثير في كتاب الله ـ يؤكد على أن خلق كل من السمٰوات والأرض، وخلق الحياة، وخلق الإنسان قد تم في غيبة

كاملة من الوعي الإنساني، ولكن الله من رحمته بنا قد أبقى لنا في صخور الأرض وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان ـ بإمكانياته المحدودة ـ على الوصول إلى تصور ما لعملية الخلق، إلا أن هذا التصور يبقى في مجال الفروض والنظريات، ولا يمكن أن يرقى إلى مقام الحقيقة أبداً؛ لأن الحقيقة العلمية لا بد أن تكون واقعة تحت حس الإنسان وإدراكه، على الرغم من محدودية ذلك الحس وهذا الإدراك.

ومن هنا فإن العلوم المكتسبة لا يمكن أن تتجاوز في قضية الخلق ـ بأبعادها الثلاثة ـ مرحلة التنظير أبداً، وتتعدد النظريات في قضايا الخلق بتعدد خلفيات واضعيها: هل هم من المؤمنين أو من الكفار أو المشركين أو المتشككين؟ وهل هم من السعداء في حياتهم أم من التعساء والأشقياء والمهمومين؟ وهل هم من الأسوياء أم من المنحرفين؟.. وفي هذا الخضم العميق يبقى للمسلم نور من الله ﷻ في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ يعينه على الانتصار لإحدى هذه النظريات، والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة؛ لا لأن العلوم المكتسبة قد أثبتت ذلك، ولكن لمجرد وجود إشارة إلى تلك الحقيقة في كتاب الله الخالق أو في سنة رسوله ﷺ. ونحن في هذه الحالة نكون قد انتصرنا للعلم بالقرآن الكريم أو بسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ولم ننتصر بالعلم لأي منهما.

أما باقي الآيات الكونية الكريمة التي تعرض لها القرآن الكريم ـ وأغلبها من **الآيات الوصفية** ـ فلا يجوز أن يوظف في الاستشهاد على سبقها العلمي إلا الحقائق القطعية الثابتة التي لا رجعة فيها، وبالضوابط المنهجية التالية:

١ ـ حسن فهم النص القرآني الكريم وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة وأساليب التعبير فيها؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد أنزل بلسان عربي مبين. على ألا يخرج الدارس للنص القرآني باللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، وعند الضرورة القصوى؛ ومن هنا فلا يمكن إثبات الإعجاز العلمي بتأويل النص القرآني أبداً.

٢ - فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ - إن وجدا - وفهم الفرق بين العام والخاص، وبين كل من المطلق والمقيد، والمجمل والمفصل من آيات هذا الكتاب الحكيم.

٣ - فهم المأثور من تفسير المصطفى ﷺ والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى الزمن الحاضر.

٤ - جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت.

٥ - جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، ورد بعضها إلى بعض بمعنى فهم دلالة كل منها في ضوء الآخر؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما يفسره الصحيح من أقوال رسول الله ﷺ؛ ولذلك كان من الواجب توظيف الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الآية المتعامل معها كلما توفر ذلك.

٦ - مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده، مع التسليم الكامل بأن من طبيعة القرآن الكريم إيراد العديد من الحقائق المتتابعة كما هو الحال في آيات القسم والتي قد لا تكون بالضرورة مرتبطة ببعضها البعض.

٧ - مراعاة قاعدة: أن العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٨ - عدم التكلف أو محاولة لي أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ وذلك لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك؛ لأنه كلام الله الخالق وعلم الخالق بخلقه هو الحق المطلق الكامل الشامل المحيط بكل علم آخر، وهو العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٩ - الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة من مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيمائية الدقيقة، إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات ذلك.

١٠ ـ عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة كالذات الإلهية، والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً إيمانياً كاملاً انطلاقاً من الإيمان بكتاب الله ـ تعالى ـ وبسنة رسوله ﷺ، ويقيناً راسخاً بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.

١١ ـ التأكيد على أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وأنها لا تحتاج هذه السنن الدنيوية الرتيبة، فهي كما وصفها ربنا ﷻ أمر فجائي منه بـ: كُنْ فَيَكُونُ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وعلى الرغم من ذلك فإن الله ﷻ من رحمته بنا قد أبقى لنا في صخور الأرض، وفي صفحة السماء أعداداً كثيرة من الشواهد الحسية التي تقطع بفناء الكون وبحتمية الآخرة، وأن الإشارة إلى تلك الشواهد الكونية لا يمكن أن تفسر بمحاولة التعرف على موعد الساعة لأنها من الغيبيات المطلقة التي لا يعلمها إلا الله؛ ولأنها لن تتم بالسنن الكونية المشاهدة في هذه الحياة الدنيا.

١٢ ـ توظيف الحقائق العلمية القاطعة في الاستشهاد على الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية في الموضوع الواحد أو في عدد من الموضوعات المتكاملة؛ وذلك في جميع الآيات الكونية الواردة في كتاب الله، فيما عدا قضايا الخلق، والإفناء، والبعث، التي يمكن فيها توظيف الآية أو الآيات القرآنية الكريمة أو الحديث النبوي الصحيح للارتقاء بإحدى النظريات المطروحة إلى مقام الحقيقة، مع التأكيد على أن الحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن،

ولكنها قد تزداد تفصيلاً وتوضيحاً باجتهاد العلماء جيلاً بعد جيل، لأن المعرفة العلمية إذا وصلت إلى مستوى الحقيقة أو القانون فهي لا تتغير، ولكن قد تزداد إيضاحاً. وحقائق العلوم المكتسبة جزئية، وقوانينه كذلك جزئية لأنها تعبر عن حقيقة محددة. ومن طبيعة العلوم المكتسبة النمو المطرد مع استمرار مجاهدة العلماء في توضيح ما سبقت معرفته دون إلغائه.

١٣ ـ **ضرورة التمييز بين المحقق لدلالة النص القرآني والناقل له** مع مراعاة التخصص الدقيق في مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمي في الآية القرآنية الكريمة (**التحقيق العلمي**)؛ لأن هذا مجال تخصصي على أعلى مراحل التخصص لا يجوز أن يخوض فيه كل خائض، كما لا يمكن لفرد واحد أن يغطي كل جوانب الإعجاز العلمي في أكثر من ألف آية قرآنية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة؛ خاصة وأن هذه الآيات تغطي مساحة هائلة من العلوم المكتسبة تمتد من علم الأجنة إلى علم الفلك وما بينهما من مختلف مجالات العلوم والمعارف المكتسبة: العلمية منها والإنسانية. **وعلى ذلك فإن من الواجب رد كل قضية إلى محققيها من المتخصصين بوضوح وإثبات كاملين.**

١٤ ـ التأكيد على أن ما توصل إليه المحقق العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة ليس منتهى الفهم لها؛ لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

١٥ ـ اليقين بأن النص القرآني الكريم قد ينطبق على حقيقة علمية ثابتة، ولكن ذلك لا ينفي مجازاً مقصوداً، كما أن الآية القرآنية الكريمة قد تأتي في مقام التشبيه أو المجاز وتبقى صياغة الآية دقيقة دقة فائقة من الناحية العلمية وإن لم تكن تلك الناحية مقصودة لذاتها؛ لأن كلام الله الخالق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١٦ ـ الأخذ في الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية الكريمة للوصول إلى

حقيقة كونية لم يتوصل العلم المكتسب إلى شيء منها بعد، انطلاقاً من الإيمان الكامل بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، وأنه كله حق مطلق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

١٧ ـ عدم التقليل من جهود العلماء السابقين في محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة الآيات الكونية في حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في زمانهم؛ وذلك لأن الآية الكونية الواردة في كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد حتى يظل القرآن الكريم مهيمناً على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها. وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

١٨ ـ ضرورة التفريق بين قضيتي «**الإعجاز العلمي**» و«**التفسير العلمي**» للقرآن الكريم، فالإعجاز العلمي يقصد به «إثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون. وفي زمن لم يكن لأي من البشر إمكانية الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق العلوم المكتسبة أبداً».

وأما التفسير فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية إن أصاب فيها المفسر فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، والمُعَوَّل عليه في ذلك هو نيته. وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ في التفسير ينسحب على المفسر، ولا يمس جلال القرآن الكريم.

١٩ ـ اليقين في صحة كل ما جاء بالقرآن المجيد؛ لأنه كلام الله الخالق، المحفوظ بحفظ الله على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية وإلى أن يشاء الله، والمحفوظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وعلى ذلك فلا يمكن لحقيقة كونية أن تصطدم بحق قرآني أبداً، فإذا حدث وبدا لدارس القرآن شيء من ذلك فلا بد من وجود خلل ما؛ إما في صياغة الحقيقة العلمية أو في فهم الدارس للنص القرآني الكريم.

٢٠ ـ يجب تحري الدقة المتناهية في التعامل مع كتاب الله، وإخلاص النية في ذلك والتجرد له من كل غاية، وتذكر قول المصطفى ﷺ: «**من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار**»[١].

## ثالثاً: مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

من مبررات الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما يلي:

١ ـ إن القرآن الكريم أنزل إلينا لنفهمه، والآيات الكونية فيه لا يمكن فهمها فهماً صحيحاً في إطار اللغة وحدها ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ، انطلاقاً من شمول الدلالة القرآنية، ومن كلية المعرفة التي لا تتجزأ.

٢ ـ إن الدعوة بالإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هي الوسيلة المناسبة لأهل عصرنا ـ عصر العلم والتقنية ـ وقد فتن الناس فيه بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، ونبذ أغلب أهل الأرض الدين وراء ظهورهم ونسوه، وأنكروا الخلق والخالق، كما أنكروا البعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك من الغيبيات؛ لأن هذه الأصول قد شوهت في معتقداتهم تشويهاً كبيراً ولم تعد مقنعة لهم، أو دفعت بالبعض منهم إلى التعصب الأعمى دون أدنى بصيرة، والانطلاق بهذه العصبية العمياء لمحاربة الحق وأهله متمثلاً في الإسلام العظيم كما تكامل وحفظ في بعثة الرسول الخاتم ﷺ، وعلى ذلك فلم يبق أمام أهل عصرنا من وسيلة مقنعة بالدين الإسلامي الحنيف قدر إقناع الإعجاز العلمي في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ.

٣ ـ الأصل في الحضارات أنها تتكامل فيما بينها ولا تتصارع، ولكن في زمن العولمة الذي نعيشه تحاول الحضارة المادية الغالبة ـ بما فيها من كفر بواح أو شرك صراح ـ أن تفرض من قيمها الهابطة، وممارساتها الساقطة،

---

(١) الترمذي (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥١)، وأحمد (١/ ٢٣٣).

ومادياتها الجارفة على غيرها من الحضارات، وتوظف في ذلك كل ما توفر لها من وسائل الغلبة المادية وأسبابها. وليس احتلال شراذم الصهاينة المجرمين لأرض فلسطين، وتجبرهم في تعذيب وإذلال أهل الأرض الأصليين، ومحاولات القضاء عليهم، وليس الغزو الغربي الأنجلو/أمريكي الجائر لكل من أفغانستان والعراق، ولا جرائم كل من الصرب والكروات على أرض البلقان، ولا الدعوات الباطلة بحتمية الصراع بين الحضارات، أو تبرير العديد من الجرائم والاعتداءات على حقوق الإنسان وعلى أراضي دول أعضاء في هيئة الأمم تحت مظلة الدعوى الباطلة المسماة «بالحرب ضد الإرهاب»، أو الدعاوى الكاذبة تحت مسمى «الخوف من الإسلام» ليس كل ذلك إلا حلقات في هذا المخطط الشيطاني اللعين. وقد أسقط الأعداء من أيدي المسلمين في هذه الأيام كل الوسائل المادية التي يمكن لهم الدفاع بها عن دمائهم وأعراضهم وأراضيهم وممتلكاتهم ودينهم ومقدساتهم، وذلك في سلسلة طويلة من المؤامرات التي بدأت باحتلال أراضي غالبية الدول المسلمة، والعمل على تغريبها، ثم السعي الدءوب من أجل إلغاء دولة الخلافة الإسلامية بعد إنهاكها وإضعافها حتى تم إسقاطها في الربع الأول من القرن العشرين (سنة ١٩٢٤م)، ثم العمل على تمزيق الأمة الإسلامية إلى أكثر من خمس وخمسين دولة ودويلة، ونهب كل خيراتها وثرواتها، وتنصيب أنماط من الحكومات المتعارضة عليها للحيلولة دون إمكانية توحدها، بل العمل الدءوب من أجل المزيد من تفتيتها في زمن التكتلات البشرية الكبيرة الذي نعيشه، ثم غرس كيان صهيوني غريب من حثالات الأمم ونفايات الشعوب في قلب الأمة لإفسادها، وإثارة الحروب والقلاقل والفتن بين أبنائها، ولترسيخ العداوات بين الأشقاء للحيلولة دون توحدهم، وإشاعة الأفكار الهدامة والسلوكيات المنحطة والأخلاقيات المنهارة لإخراج الأمة عن دينها وأخلاقها وقيمها وأعرافها، والعمل على المزيد من تغريبها لتيسير الهيمنة عليها.

ولم يبق بأيدي أمة الإسلام من طوق للنجاة في زمن الغربة الذي نعيشه إلا المحافظة على دينها؛ هذا الدين الخاتم الذي لا يرتضي ربنا ﷻ من عباده ديناً سواه وهو وسيلة الدفاع الوحيدة التي بقيت بين أيدى مسلمي اليوم لحماية أنفسهم ولإنقاذ غيرهم من الأمم الضائعة من حولهم، والتي تهدد العالم كله بالدمار.

٤ ـ إن كلًّا من الإسلام والمسلمين يتعرض اليوم لهجوم شرس في كافة وسائل الإعلام بغير حق. والقائمون على تلك الوسائل من غلاة الصهاينة وغلاة الصليبيين، وأعداء الدين، ومن الشواذ جنسياً وسلوكياً والداعين إلى ذلك علناً بلا أدنى حياء أو خجل، هؤلاء جميعاً ينكرون سماوية الإسلام، وربانية القرآن الكريم، ونبوة خاتم المرسلين ﷺ أو ينكرون الدين كلية في وقاحة سافرة. وأهم الوسائل وأنجعها للرد على هذا الهجوم هو إثبات الإعجاز العلمي في كل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة البالغة والمنطق السوي.

٥ ـ إن العالم اليوم يتحرك في اتجاه كارثة كبرى، وقودها تطور علمي وتقني مذهل، يُطْغِي أصحابه ويغريهم بإفناء وإبادة غيرهم في غيبة الوعي الديني الصحيح والالتزام الأخلاقي والسلوكي اللذين يرعيان حق الله وحقوق الأخوة الإنسانية حق رعايتها. والمخرج من ذلك هو الدعوة للدين الحق، ومن أوضح وسائل الدعوة إليه هو ما في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة رسوله ﷺ من إعجاز علمي واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. يقنع المنبهرين بالعلم ومعطياته في زمن تفجر المعارف العلمية الذي نعيشه كما قد لا يقنعهم أي أسلوب آخر.

٦ ـ إننا ـ معشر المسلمين ـ قصرنا كثيراً في التبليغ عن الله ـ تعالى ـ وعن رسوله ﷺ، وقد كلفنا بالتبليغ عنهما. ونحن اليوم نجني ثمار ذلك التقصير كله: حروباً طاحنة على كل أرض إسلامية من فلسطين والعراق إلى البلقان، ومنها إلى أرض الشيشان، وكشمير، وأفغانستان، وجنوب الفلبين،

وأراكان، والصومال، والسودان وغيرها من أراضي المسلمين الغارقة في بحار من الدماء والأشلاء والخراب والدمار (وإنا لله وإنا إليه راجعون). هذا بالإضافة إلى حصار لأكثر من دولة مسلمة، ومصادرة لبلايين الدولارات من أموال المسلمين، واحتلال عسكري مقنع لكل دولة من دول الجزيرة العربية وغالبية بلاد الشام والعراق، وأفغانستان، ومن الأراضي المغربية سبتة ومليلية وجزيرة ليلى، والعديد من الجزر الآسيوية.

وفي غمرة هذه المؤامرات الغربية لا ننسى مطاردة المسلمين في كل مكان من أماكن العالم، ومحاولة اعتقالهم وتجريمهم وإذلالهم، وتشويه سمعتهم بوصفهم بالإرهاب تارة وبالتخلف أخرى، وليس ببعيد عن الأذهان ما يجري للمسلمين اليوم من إذلال وامتهان وتجاوزات لكل حقوق الإنسان في معتقلات وسجون كل من الولايات المتحدة والبحر الكاريبي من مثل (معتقل جوانتانامو)، والعراق من مثل (سجن أبو غريب) وأفغانستان وغيرها.

٧ - إن في إثارة قضية الإعجاز العلمي بكل من القرآن الكريم، وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ استنهاضاً لعقول المسلمين، واستثارة للتفكير الإبداعي فيها، وتشجيعاً على استعادة الاهتمام بقضية العلوم والتقنية التي تخلفت فيها الأمة مؤخراً تخلفاً كبيراً، في الوقت الذي تقدمت فيه دول العالم الصناعية تقدماً مذهلاً حتى أصبح كم المعارف المتاح يتضاعف كل خمس سنوات، وتتجدد تقنياته مرة كل ثلاث سنوات تقريباً، وبذلك أخذت الهوة الفاصلة بيننا وبينهم في مجال العلوم والتقنية تزداد اتساعاً وعمقاً يوماً بعد يوم، وأصبحت مخاطر ذلك علينا تتضاعف مع تزايد تلك الهوة عمقاً واتساعاً.

هذا بالإضافة إلى حاجة العلوم المكتسبة اليوم إلى **التأصيل الإسلامي الدقيق** إنصافاً لكل من العلم والدين، وذلك لأن هذه المعارف لم تنطلق في بدء عصر النهضة إلا بعد معارك شرسة بين الكنيسة وطلاب العلم، وقد انتهت

هذه المعارك بهزيمة منكرة للكنيسة فانطلقت العلوم المكتسبة كلها في الغرب من منطلقات مادية بحتة، منكرة أو متجاهلة كل القضايا الغيبية، فأنكرت الدين والروح والأخلاق والقيم، وتقدمت علمياً وتقنياً تقدماً مذهلاً دون فهم لرسالة الإنسان في هذه الحياة مما يشكل واحدة من أكبر الكوارث التي تواجه عالم اليوم، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١﴾ [البينة: ١].

٨ ـ إن القرآن الكريم نزل للناس كافة: عربهم وعجمهم وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ومعنى الآية الكريمة أن القرآن الكريم بلاغ لكل الناس في كل مكان وزمان. ويؤكد ربنا ـ عز من قائل ـ هذا المعنى الكريم بقوله الجليل مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ آمراً إياه بأمره:

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وإذا كان جانب الإعجاز اللغوي ميسراً للعرب كي يفهموه، فلا بد وأن يكون في القرآن الكريم من الجوانب الأخرى الميسرة لغير العرب كي يؤمنوا به. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

# الفصل السادس

## الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: الحاضر والآفاق

في العقود الأربعة الماضية نشط المشتغلون بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نشاطاً غير مسبوق، وتأسس العديد من المنظمات والجمعيات العلمية التي اهتمت بهذه القضية، وكان منها ما يلي:

### أولاً: في مصر:

#### ١ ـ لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

في الستينات من القرن العشرين تشكل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، واهتمت إحدى لجانه بالقرآن الكريم، وقامت هذه اللجنة بإعداد «**المنتخب في تفسير القرآن الكريم**» وهو تفسير تميز بإيجازه، وأسلوبه العصري السهل المبسط الواضح العبارة البعيد عن الخلافات المذهبية، والمصطلحات الفقهية المتخصصة حتى تسهل ترجمته إلى اللغات الأجنبية. وكانت أبرز مميزات هذا «المنتخب» وفرة التعليق العلمي على عدد غير قليل من الآيات الكونية في الهامش، وذلك لأن «لجنة القرآن والسنة» ضمت إليها عدداً من الخبراء في مختلف العلوم المكتسبة كان منهم علماء الفلك، والحياة، والطب، والهندسة، والمتخصصين في غير ذلك من العلوم والفنون بالإضافة إلى جهابذة علماء التفسير والفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة والتاريخ، فجاء «المنتخب» تلبية لحاجة ملحة في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، وفاتحة خير لتجدد الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

وفي سنة ١٤١٨هجرية (١٩٩٧م) صدر قرار وزير الأوقاف المصري ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإنشاء لجنة خاصة بالإعجاز العلمي في القرآن

الكريم والسنة النبوية المطهرة عرفت باسم: «لجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة» وعقدت اللجنة جلستها الأولى في ٢٧ من رجب ١٤١٨هجرية (الموافق ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩٩٧ ميلادية).

وقد قامت اللجنة بمراجعة التفسير العلمي للآيات الكونية في كتاب الله، وتعد الآن لنشر كتاب بتفسير هذه الآيات قبل إعادة طباعة «المنتخب» في طبعة جديدة تضم هذه الإضافات.

هذا، وقد جاء في مقدمة الطبعة الأولى من «**المنتخب في تفسير القرآن الكريم**» ما يلي: «وسوف يتلو هذا التفسير **الوجيز** تفسير آخر **وسيط** في شيء من البسط يعنى فيه بمزيد من البحث والنظر، واستخلاص العبر والآداب والتعاليم، والتوجيهات التي تأخذ بيد المسلمين لينهضوا ويكيفوا حياتهم على ما تقتضيه آيات هذا الذكر الحكيم من أخذ بأسباب القوة والعزة والكرامة، ويشار فيه إلى ما ترشد إليه الآيات من نواميس الحياة وأسرار الكون ووقائعه العلمية التي لم تعرف في العصور الأخيرة ـ عصور الكشف العلمي ـ ولا يمكن أن يكون القرآن الكريم قد أشار إليها إلا لأنه ليس من كلام البشر ولكنه من كلام خلاق القوى والقدر، الذي وعد بذلك في محكم هذا الكتاب فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ والله ولي التوفيق».

ولعل ما تعده لجنة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة الآن بالتعاون مع «لجنة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة» بالمجلس هو ما سوف يتبلور قريباً إن شاء الله ـ تعالى ـ فيما اقترحته اللجنة باسم «**التفسير الوسيط**».

### ٢ ـ وقف الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

في أوائل سنة ١٤١٩ هجرية (١٩٩٨ ميلادية) أوقف المستشار الدكتور محمد شوقي الفنجري مبلغ أربعمائة ألف جنيه مصري لخدمة بحوث القرآن الكريم خاصة في مجال إعجازه العلمي بالمشاركة مع بنك فيصل الإسلامي المصري، والذي التزم باستثمار هذا المبلغ، وبالمشاركة الوقفية بتقديم عائد

مدعوم قدره خمسة وسبعون ألف جنيه مصري في أول ديسمبر من كل عام، بالإضافة إلى التزامات أخرى منصوص عليها في حجة الوقف التي صدر بقبولها وبيان أحكامها قرار شيخ الأزهر رقم ٣٠٤ لسنة ١٤١٩ هجرية (١٩٩٨ميلادية)، ورقم ١٥٥٥ لسنة ١٤٢٢ هجرية (٢٠٠١ ميلادية).

وقد قامت اللجنة بعمل «كشاف لمؤلفات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» كقاعدة بيانات تعين العاملين في هذا المجال، و«الكشاف» تحت الطبع الآن ويشمل ملخصات لقرابة المئتين وخمسين كتاباً في مختلف مجالات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

كذلك قامت اللجنة بالإعلان عن عدد من الجوائز المالية في صورة مسابقات محلية وعالمية تعقد في مجال خدمة بحوث القرآن الكريم وخاصة في مجال الإعجاز العلمي، أو في صورة منح دراسية لدرجتي الماجستير والدكتوراه، أو على هيئة إعانات لنشر بعض البحوث، أو في أي صورة أخرى تراها لجنة بحوث القرآن الكريم بمجمع البحوث الإسلامية.

**٣ ـ جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:**

أنشئت هذه الجمعية في سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٨م) للعمل على تنشيط البحث في الإعجاز العلمي لكتاب الله ولسنة خاتم أنبيائه ورسله، وتشكيل اللجان اللازمة لذلك، وعقد المحاضرات والندوات، واللقاءات الفكرية في هذين المجالين، والاتصال بمختلف الجمعيات والهيئات المناظرة في الداخل والخارج.

وقد قامت الجمعية بنشر سلسلة كتب بعنوان (**كتاب الإعجاز في القرآن والسنة**) تضم أعداداً من المحاضرات والندوات التي ألقيت أو أديرت في الجمعية. وقد صدر من هذه السلسلة إلى الآن سبعة أعداد.

كذلك تقيم الجمعية مسابقة سنوية في قضية من قضايا الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عقد منها حتى الآن خمس مسابقات.

**٤ ـ نقابة أطباء مصر:**

وقد عقدت العديد من المؤتمرات الطبية التي ناقشت قضايا الإعجاز في كل من القرآن والسنة، واستضافت أول مؤتمر دولي لتلك القضايا.

**٥ ـ رابطة الجامعات الإسلامية:**

وقد عقدت عدداً من المؤتمرات تحت عنوان «التوجيه الإسلامي للعلوم» بدءاً من أكتوبر١٩٩٢م إلى اليوم، وقامت بنشر أعمال تلك المؤتمرات.

**٦ ـ الجمعية الخيرية الإسلامية:**

وقد عقدت العديد من المحاضرات والندوات في موضوع الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وقامت بنشر أعمال تلك الندوات.

**٧ ـ مشروع (الإعجاز الهندسي في القرآن الكريم):**

ويقوم على هذا المشروع المهندس مجد مدبولي غريب والذي أقام العديد من المسابقات في هذا المجال بدءاً من سنة ١٤١٠ هجرية (١٩٩٠م) وإلى اليوم.

## ثانياً: في المملكة العربية السعودية:

**١ ـ الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن الكريم:**

تأسست هذه الهيئة سنة ١٤٠٦هجرية (١٩٨٥م) بناءً على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد والتابع لرابطة العالم الإسلامي، واتخذت مبنى الرابطة بمكة المكرمة مقراً لها. وقد أقامت الهيئة فروعاً لها في داخل المملكة وخارجها تحقيقاً لأهدافها المتمثلة في نشر أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وذلك بوضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في هذه القضية، وتعمل على إعداد جيل من العلماء والباحثين فيها وعلى عقد المؤتمرات والندوات بالتعاون مع الجامعات والهيئات العلمية من أجل تحقيق ذلك، والقيام بنشر نتائج هذا النشاط بكل الوسائل الإعلامية الممكنة.

وقد تحولت هذه الهيئة من هيئة سعودية إلى هيئة عالمية في سنة ١٤٢٣

هجرية (٢٠٠١م). وعقدت الهيئة سبعة مؤتمرات دولية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (في إسلام أباد ١٤٠٨هجرية/ ١٩٨٧م، وفي داكار/ السنغال ١٤١٢ هجرية/ ١٩٩١م، وفي موسكو سنة ١٤١٤ هجرية/ ١٩٩٣م، وفي ناندونج/ أندونسيا ١٤١٥ هجرية/ ١٩٩٤م، وفي موريتانيا سنة ١٤١٩ هجرية/ ١٩٩٩م، وفي لبنان ١٤٢١ هجرية/ ٢٠٠١م، وفي دبي غرة صفر سنة ١٤٢٥ هجرية/ ٢٢ مارس ٢٠٠٤م).

كذلك شاركت الهيئة في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والطبية المحلية والدولية، وأصدرت أكثر من (٢٨) كتيباً وعشرات النشرات، وعشرين عدداً من مجلتها الفصلية «الإعجاز العلمي»، وأعدت موقعاً لها على شبكة المعلومات الدولية (الشبكة العنكبوتية) وأصدرت عدداً من الأقراص المدمجة وأشرطة الفيديو. وللهيئة لجنة نسائية نشطة، وفروع عديدة في داخل المملكة وخارجها أهمها فروع: القاهرة، لبنان، وتركيا.

**٢ ـ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (المدينة المنورة):**

وقد عقد عدة ندوات عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وله عدد من النشرات في هذين المجالين.

## ثالثاً: في السودان:

نشط عدد من أساتذة الجامعات السودانية بإجراء بحوث متميزة في قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وذلك من خلال «**المركز العالمي لأبحاث الإيمان**» والذي دعا لاجتماع عقد بالخرطوم في ٣، ٤ من شعبان ١٤٢٣ هجرية (الموافق ٢٠، ٢١ من أكتوبر ٢٠٠١م) لبحث التنسيق فيما بين الجهات العاملة في مجال الإعجاز العلمي في القرآن الكريم حضره ممثلون عن الجمعيات والمنظمات السعودية والمصرية والسودانية. وقد تم في هذا الاجتماع وضع ميثاق للتنسيق والتكامل بين مختلف الهيئات والمنظمات والمراكز المهتمة بقضية الإعجاز العلمي في كل من القرآن والسنة. كذلك تقوم مجلة «**تفكر**» نصف السنوية

والمنبثقة عن معهد إسلامية المعرفة بجامعة الجزيرة والتي بدأت في الصدور ابتداءاً من ١٤٢٠ هجرية/ ١٩٩٩ ميلادية بنشر عدد من بحوث الإعجاز العلمي في القرآن.

**رابعاً: في الأردن:**

١ ـ **الجمعية الأردنية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة:** انبثاقاً من جمعية المحافظة على القرآن الكريم تم تأسيس الجمعية الأردنية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في سنة ١٤٢٩ هجرية (٢٠٠٨ ميلادية) وكانت جمعية المحافظة على القرآن الكريم قد بدأت الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في كتاب الله منذ عدة سنوات، وعقدت لذلك عدة ندوات ومحاضرات وجلسات نقاشية، كما نشرت العديد من المقالات في مجلتها «الفرقان»، وهي مجلة شهرية تقوم على خدمة القرآن وعلومه.

٢ ـ **جامعة الزرقاء الأهلية:** دعت جامعة الزرقاء الأهلية إلى عقد مؤتمر عالمي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم في الفترة من ١٨ ـ ٢٠ رجب ١٤٢٦ هجرية (الموافق ٢٣ ـ ٢٥ من أغسطس، سنة ٢٠٠٥ ميلادية)، وتبنّت تدريس مقرر اختياري لطلابها في هذا المجال.

وكذلك تنوي جامعة اليرموك وعدد من الجامعات الأردنية الأخرى تبني برنامج دراسي يطرح لجميع طلاب الجامعة كوسيلة من وسائل نشر هذا الفكر واكتشاف المواهب الشابة القادرة على الاستمرار فيه في مستوى الدراسات العليا.

٣ ـ المعهد العالي للإعجاز القرآني: وقد تم افتتاحه رسمياً في يوم السبت ٢١ من ربيع الأول سنة ١٤٢٦ هجرية (الموافق ٣٠ أبريل سنة ٢٠٠٥ ميلادية).

والمعهد يعد دورات تدريبية في الإعجاز القرآني ذات ثلاثة مستويات: (ابتدائية، ومتقدمة، ومتخصصة)، ويصدر مجلة بعنوان «آيات» للعناية بقضية الإعجاز العلمي في كل من القرآن والسنة.

## خامساً: العراق:

عقد المؤتمر الأول للإعجاز القرآني ببغداد في الفترة من ٢١ ـ ٢٦ رمضان ١٤١٠هـ (١٦ ـ ٢١/ نيسان ١٩٩٠م) تحت رعاية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالجمهورية العراقية، ثم توقف هذا النشاط بعد الغزو الأنجلو/أمريكي الغاشم لأراضي العراق، وهي دولة عضو في الأمم المتحدة دون أدنى مبرر مشروع.

## سادساً: في المغرب:

١ ـ الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

تأسست الهيئة المغربية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة في سنة ١٤٢٥ هجرية (الموافق ٢٠٠٤ ميلادية)، ونظمت الندوة الوطنية الأولى للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمدينة الدار البيضاء وذلك في يومي ٢٧، ٢٨، نوفمبر سنة ٢٠٠٤ ميلادية. كما عقدت عدداً من المحاضرات في العامين ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م، في مدن: الدار البيضاء، الرباط، القنيطرة، طنجة، فاس، ومكناس.

٢ ـ شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة محمد الخامس ـ الرباط: تهتم هذه الشعبة بالدراسات القرآنية وعقدت ندوات بهذا الخصوص كان من أحدثها الندوة العلمية المعنونة: «**القرآن الكريم وأبعاده التربوية والحضارية**» والتي عقدت في أيام ٧ ـ ٩ من شهر صفر سنة ١٤٢٦ هجرية (الموافق ١٧ ـ ١٩ من شهر مارس سنة ٢٠٠٥ ميلادية)، وسبق ذلك عقد ندوة «**القرآن الكريم ومناهج تدريسه**» على عدة حلقات، كانت حلقتها الثامنة بمدينة طنجة في الفترة من ١٣ إلى ١٦ رمضان سنة ١٤١٤ هجرية (الموافق ٢٤ ـ ٢٧ من فبراير سنة ١٩٩٤ ميلادية).

٣ ـ شعبة الفيزياء بجامعة عبد الملك السعدي بمدينة تطوان: وقد دعت هذه الشعبة لعقد المؤتمر الوطني الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة،

والذي عُقد في يومي ١٩، ١٨ من جمادى الأول سنة ١٤٢٦ هجرية (الموافق ٢٦، ٢٥ من شهر يونيو سنة ٢٠٠٥ ميلادية).

٤ ـ جمعية الدراسات القرآنية (طنجة): عقدت هذه الجمعية عدة ندوات للعناية بالقرآن الكريم، منها: «**ندوة القرآن الكريم ومناهج تدريسه**» والتي عقدت في شهر يوليو سنة ١٩٩١م، وندوة «**مناهج تدريس العلوم الإسلامية في المراكز العلمية العتيقة ودور القرآن الحديثة: الواقع والآفاق**» والتي عقدت في شهر رمضان المبارك عام ١٤١٤هجرية (فبراير ١٩٩٤م) وأوصت بإنشاء معهد عال للدراسات القرآنية بمدينة طنجة.

٥ ـ ملتقى أساتذة شعب الدراسات الإسلامية بكليات الآداب والعلوم الإنسانية وجامعة القرويين والمدارس العليا: والذي دعا إلى عدد من الاجتماعات والندوات، منها ما عقد بمدينة تطوان أيام ١٥ ـ ١٧ يوليو سنة ١٩٩٣م، وفي أيام ١٣ ـ ١٦ من رمضان المبارك سنة ١٤١٤هجرية (الموافق ٢٤ ـ ٢٧ من فبراير سنة ١٩٩٤م).

## سابعاً: في الكويت:

١ ـ يوجد بالكويت جمعيتان إسلاميتان مهتمتان بالقرآن والسنة، هما: «جمعية الإصلاح الاجتماعي» وصوتها مجلة «المجتمع» الأسبوعية، وذراعها الأيمن «بيت القرآن»، و«جمعية إحياء التراث الإسلامي» وكلًّا من الجمعيتين يفكر في إنشاء لجنة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٢ ـ المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية: وقد عقدت العديد من المؤتمرات الطبية التي ناقشت عدداً من قضايا الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

## ثامناً: في دولة الإمارات العربية المتحدة:

يهتم العديد من «جمعيات القرآن الكريم» بدولة الإمارات العربية المتحدة، وفي مقدمتها مؤسسة «جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم»، و«شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا» بقضية الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة

النبوية المطهرة، وقد أنشأت شبكة جامعة عجمان كرسيّاً لهذا التخصص يُعرف باسم «**كرسي الإعجاز العلمي**» وهي بذلك تعتبر أول جامعة في العالمين العربي والإسلامي تحقق هذا الأمل للمسلمين.

## تاسعاً: في اليمن:

أنشئت جامعة «الإيمان» في صنعاء، وهي جامعة إسلامية تهتم في مناهجها بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

## عاشراً: في لبنان:

أطلقت جامعة الجنان بمدينة طرابلس في يوم ٨/ ١١/ ١٤٢٩هـ (الموافق ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م) إنشاء «**دبلوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة**» من أجل تحقيق النهضة العلمية الإيمانية المرجوة للدفاع عن الإسلام بلغة العصر.

## حادي عشر: في العالم الغربي:

هناك بدايات للاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في العديد من دول العالم الغربي من أبرزها:

١ - مشروع المعهد الثقافي الإسلامي بسويسرا (A.C.F.M.S)، ويهدف لإقامة متحف باسم «**متحف التواصل الحضاري للتعريف بالإسلام**» يركز على قضيتي: «الإعجاز العلمي في القرآن والسنة» و«إسهام علماء المسلمين الأوائل في تطور العلوم والتقنية» وذلك بمدينة (لا شو دي فوند) وعنوان المعهد كما يلي: (A.C.F.M.S. 109, Avenue Leopold Robert, 2300 La chaux - de Fonds, Suisse).

٢ - جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بولاية كاليفورنيا: أنشئت هذه الجمعية في سنة ١٩٩٤ ميلادية بمدينة (أورانج كاونتي) بولاية كاليفورنيا بواسطة عدد من العلماء والأطباء المسلمين العاملين بالولاية، ومنذ تأسيسها تقوم الجمعية بعقد الندوات والمحاضرات العلمية بطريقة دورية، وتخطط

لإصدار مجلة ناطقة باسمها وإنشاء معهد للدراسات القرآنية، ولكن تعثرت هذه المشروعات نتيجة للتضييق على العمل الإسلامي بالغرب بعد أحداث ١١/٩/٢٠٠١م.

**آفاق قضية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:**

من الآمال المعقودة على بدء الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يلي:

١ ـ الدعوة إلى تنسيق الجهود بين مختلف الهيئات والجمعيات والمنظمات العاملة في هذا المجال، وذلك في توزيع الأدوار، وعقد الندوات والمؤتمرات، وإصدار المجلات والنشرات والكتب، وفي إنتاج البرامج الإعلامية المختلفة.

٢ ـ العمل على وضع مناهج لتدريس مادة الإعجاز العلمي في مختلف مستويات ومراحل التعليم (من المرحلة الابتدائية إلى مراحل الدراسات العليا).

٣ ـ تشجيع الدارسين للدرجات العلمية العليا والباحثين على اتخاذ الآيات الكونية في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ منطلقاً لبحوثهم البحتة والتطبيقية.

٤ ـ دعوة كل من الباحثين وطلاب الدراسات العليا على الانطلاق من كل من آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ في محاولة جادة للوصول إلى حقائق علمية جديدة.

٥ ـ العمل على ترجمة النتائج المتميزة من بحوث الإعجاز العلمي في كل من القرآن والسنة إلى عدد من اللغات الأجنبية.

٦ ـ الدعوة إلى عقد المؤتمرات والندوات الدولية والمحلية حول قضايا الإعجاز العلمي في كل من القرآن والسنة في مختلف دول العالم.

٧ ـ التعاون من أجل إصدار تفسير جديد للقرآن الكريم يوفي الآيات الكونية حقها، ثم إصدار تراجم لهذا التفسير مع معاني القرآن الكريم من أجل

تصحيح الأخطاء الواردة في التراجم القديمة بخصوص هذه الآيات الكونية، وتكرار هذا العمل بالنسبة لأحاديث رسول الله ﷺ.

٨ ـ التنسيق بين المواقع المتعددة لقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنيت) وتقليل التكرار، وتصحيح الأخطاء، وإلغاء الضعيف من القضايا.

٩ ـ التعاون من أجل إصدار سلاسل من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للأطفال على مستوى عالٍ من حسن الإخراج والجودة في الطباعة وحسن اختيار الصور.



# الفصل السابع

## نماذج من آيات الإعجاز العلمي والتشريعي والتاريخي في القرآن الكريم

### أولاً: من آيات الإعجاز العلمي:

**(١) ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]**

جاءت هذه الآية الكريمة في مطلع الربع الأخير من سورة «النازعات»، وهي سورة مكية، تعنى كغيرها من سور القرآن المكي بقضية العقيدة، ومن أسسها الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وغالبية الناس منشغلون عن الآخرة وأحوالها، والساعة وأهوالها، وعن قضايا البعث، والحساب، والجنة، والنار وهي محور هذه السورة.

وتبدأ السورة الكريمة بقسم من الله ـ تعالى ـ بعدد من طوائف ملائكته الكرام، وبالمهام الجسام المُكلَّفين بها، أو بعدد من آياته الكونية المُبهِرة، على أن الآخرة حق واقع، وأن البعث والحساب أمر جازم، وربنا ـ تبارك وتعالى ـ غني عن القسم لعباده، ولكن الآيات القرآنية تأتي في صيغة القسم لتنبيه الناس إلى خطورة الأمر المُقسم به، وأهميته أو حتميته.

ثم تعرض الآيات لشيء من أهوال الآخرة مثل (الراجفة والرادفة) ـ وهما الأرض والسماء ـ وكل منهما يُدمَّر في الآخرة، أو النفختان الأولى التي يموت على إثرها كل حي، والثانية التي يحيا على إثرها كل ميت بإذن الله. وتنتقل الآيات بعد ذلك إلى وصف حال الكفار، والمشركين، والملاحدة المتشككين،

والعاصين لأوامر رب العالمين في ذلك اليوم الرهيب، وقلوبهم خائفة وجلة، وأبصارهم خاشعة ذليلة، بعد أن كانوا ينكرون البعث في الدنيا، ويتساءلون عنه استبعاداً له، واستهزاءً به قائلين: هل في الإمكان أن نُبعث من جديد بعد أن تبلى الأجساد، وتُنخَر العظام؟ وترد الآيات عليهم حاسمة قاطعة بقرار الله الخالق، أن الأمر بالبعث صيحة واحدة، فإذا بكافة الخلائق قيام يبعثون من قبورهم ليواجهوا الحساب، أو كأنهم حين يبعثون يظنون أنهم عائدون للدنيا مرة ثانية فيفاجئون بالآخرة...!

ثم تلمح الآيات إلى قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه، وذلك من قبيل مواساة رسولنا ﷺ في الشدائد التي كان يلقاها من الكفار، ومن أجل تحذيرهم مما حل بفرعون وبالمُكذِّبين من قومه من عذاب، وجعل ذلك عبرة لكل عاقل يخشى الله ـ تعالى ـ ويخاف حسابه.

وبعد ذلك تتوجه الآيات بالخطاب إلى منكري البعث من كفار قريش، وإلى الناس عامة بسؤال تقريعي توبيخي: هل خلق الناس ـ على ضآلة أحجامهم، ومحدودية قدراتهم، وأعمارهم، وأماكنهم من الكون ـ أشد من خلق السماء وبنائها، ورفعها بلا عمد مرئية إلى هذا العلو الشاهق؟ مع ضخامة أبعادها، وتعدد أجرامها، ودقة المسافات بينها، وإحكام حركاتها، وتعاظم القوى الممسكة بها وإظلام ليلها، وإنارة نهارها؟ وهل خلق الإنسان أشد من دحو الأرض، وإخراج كل من مائها ومرعاها منها بعد ذلك، وإرساء الجبال عليها، وإرساء الأرض بها؛ تحقيقاً لسلامتهم وأمنهم على سطح الأرض، ولسلامة أنعامهم ومواشيهم؟

وبعد الإشارة إلى بديع صنع الله في خلق السمٰوات والأرض كدليل قاطع على إمكانية البعث، عاودت الآيات الحديث عن القيامة وسمتها «بالطامة الكبرى»؛ لأنها داهية عظمى؛ تعم بأهوالها كل شيء، وتغطي على كل مصيبة مهما عَظُمت، وفي ذلك اليوم يتذكر الإنسان أعماله من الخير والشر، ويراه مُدوَّناً في صحيفة أعماله، وبُرِّزَت جهنم للناظرين، فرآها كل إنسان عياناً بياناً، وحينئذٍ

ينقسم الناس إلى شقي وسعيد، فالشقي هو الذي جاوز الحد في الكفر والعصيان، وفضل الدنيا على الآخرة، وهذا مأواه جهنم وبئس المصير، والسعيد هو الذي نهى نفسه عن اتباع هواها انطلاقاً من مخافة مقامه بين يدَيْ ربه يوم الحساب، وهذا مأواه ومصيره إلى جنات النعيم بإذن الله.

وتختتم هذه السورة الكريمة بخطاب إلى رسول الله ﷺ مُتعلّق بسؤال كفار قريش له عن الساعة متى قيامها؟ وترد الآيات بأن علمها عند الله الذي استأثر به، دون كافة خلقه، فمردُّها ومرجعها إلى الله وحده، وتقول لخاتم الأنبياء والمرسلين ـ ﷺ ـ: وأما دورك أيها النبي الخاتم والرسول الخاتم فهو إنذار من يخشاها، وهؤلاء الكفار والمشركون يوم يشاهدون قيامها، فإن هول المفاجأة سوف يمحو من الذاكرة معيشتهم على الأرض، فيرونها كأنها كانت ساعة من ليل أو نهار، بمقدار عشية أو ضحاها، احتقاراً للحياة الدنيا، واستهانة بشأنها أمام الآخرة. ويأتي ختام السورة مُتوافقاً مع مطلعها الذي أقسم فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على حقيقة البعث وحتميته، وأهواله وخطورته، لزيادة التأكيد على أنه أخطر حقائق الكون وأهم أحداثه؛ لكي يتم تناسق البدء مع الختام، وهذا من صفات العديد من سور القرآن الكريم.

وهنا يبرز التساؤل عن معنى دحو الأرض، وعلاقته بإخراج مائها ومرعاها، ووضعه في مقابلة مع بناء السماء ورفعها ـ على عظم شأن هذا البناء ـ، وعظم أمر ذلك الرفع كصورة واقعة لطلاقة القدرة المُبدِعة في الخلق، وقبل التعرض لذلك لا بد من استعراض الدلالة اللغوية للفظة «الدحو» الواردة في الآية الكريمة:

### الدلالة اللغوية لدحو الأرض:

(الدَّحَو) في اللغة العربية هو: المد والبسط والإلقاء، يقال: (دَحا) الشيء (يَدْحُوه) (دَحْواً) أي بسطه ومدَّه، أو ألقاه ودحرجه، ويقال: (دَحا) المطرُ الحصى عن وجه الأرض أي دحرجه وجرفه، ويقال: مر الفرس (يَدْحُو) (دَحْواً)

إذا جر يده على وجه الأرض، فيدحو ترابها و(مَدْحَى) النعامة هو موضع بيضها، و(أُدْحيها) موضعها الذي تفرخ فيه.

**من شروح المفسرين للآية الكريمة:**

- في شرح قوله ـ تعالى ـ: «﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ ذكر ابن كثير ـ يرحمه الله ـ ما نصه: «فسَّره بقوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾، وقد تقدم في سورة فصلت أن الأرض خُلقت قبل خلق السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل، عن ابن عباس: دَحَاهَا ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقَّق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال، والسبل والآكام، فذلك قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾».

- وذكر صاحبا تفسير الجلالين ـ رحمهما الله ـ: «﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: بسطها ومهَّدها لتكون صالحة للحياة، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو. أَخْرَجَ حالٌ بإضمار (قد) أي: دحاها مُخرِجاً ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير عيونها، و﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾ ما ترعاه الأنعام من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة».

- وذكر صاحب الظلال ـ يرحمه الله ـ: «ودحو الأرض تمهيدها وبسط قشرتها، بحيث تصبح صالحة للسير عليها، وتكوين تربة تصلح للإنبات. . . ، والله أخرج من الأرض ماءها سواء ما يتفجر من الينابيع، أو ما ينزل من السماء، فهو أصلاً من مائها الذي تبخر ثم نزل في صورة مطر، وأخرج من الأرض مرعاها، وهو النبات الذي يأكله الناس والأنعام، وتعيش عليه الأحياء مباشرة أو بالواسطة».

- وجاء في (صفوة البيان لمعاني القرآن): «ودحا الأرض ـ بمعنى بسطها وأوسعها ـ، بعد ذكر ذلك الذي ذكره من بناء السماء، ورفع سمكها، وتسويتها، وإغطاش ليلها، وإظهار نهارها، وقد بين الله الدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير العيون، وإجراء الأنهار والبحار العظام. وَمَرْعَاهَا أي جميع

ما يقتات به الناس والدواب بقرينة قوله بعد: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾. وأخبرنا بعد ذلك بأنه هو الذي بسط الأرض، ومهدها لسكنى أهلها ومعيشتهم فيها. وقدم الخبر الأول لأنه أدل على القدرة الباهرة لعظم السماء، وانطوائها على الأعاجيب التي تحار فيها العقول. فبعدية الدحو إنما هي في الذكر لا في الإيجاد، وبجعل المشار إليه هو ذكر المذكورات من البناء وما عطف عليها لا أنفسها، لا يكون في الآية دليل على تأخر الدحو عن خلق السمٰوات وما فيها».

- وجاء في (صفوة التفاسير): «﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهدها لسكنى أهلها، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ أي: أخرج من الأرض عيون الماء المُتفجِّرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام».
- وجاء في (المنتخب في تفسير القرآن الكريم): «والأرض بعد ذلك بسطها ومهدها لسكنى أهلها، وأخرج منها ماءها بتفجير عيونها، وإجراء أنهارها، وإنبات نباتها ليقتات به الناس والدواب..».

وهذا الاستعراض يدل على أن المفسرين السابقين يجمعون على أن من معاني دحو الأرض، هو إخراج الماء والمرعى من داخلها، على هيئة العيون وإنبات النبات.

### دحو الأرض في العلوم الكونية:

#### أولاً: إخراج كل ماء الأرض من داخلها:

كوكب الأرض هو أغنى كواكب مجموعتنا الشمسية في الماء، ولذلك يطلق عليه اسم (الكوكب المائي)، أو (الكوكب الأزرق)، وتغطي المياه نحو ٧١٪ من مساحة الأرض، بينما تشغل اليابسة نحو ٢٩٪ فقط من مساحة سطحها، وتُقدَّر كمية المياه على سطح الأرض بنحو ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب (١,٣٦ × ١٠$^{٩}$). وقد حار العلماء منذ القدم في تفسير كيفية تجمع هذا الكم الهائل من المياه على سطح الأرض، من أين أتى؟ وكيف نشأ؟

وقد وُضعت نظريات عديدة لتفسير نشأة الغلاف المائي للأرض، تقترح إحداها نشأته في المراحل الأولى من خلق الأرض، وذلك بتفاعل كلٍّ من غازي الأيدروجين والأوكسجين في حالتهما الذرية في الغلاف الغازي المحيط بالأرض، وتقترح ثانية أن ماء الأرض أصله من جليد المُذنَّبات، وترى ثالثة أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلاً من داخل الأرض، وهو ما تؤكده الشواهد العديدة التي تجمَّعت لدى العلماء في زمن التقدم العلمي الذي نعيشه اليوم، ولا يزال خروجه مُستمِراً من داخل الأرض عبر الثورات البركانية.

**ثانياً: إخراج الغلاف الغازي للأرض من داخلها:**

بتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من الأرض، اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلى أكثر من ٧٠٪ من مجموع تلك الغازات والأبخرة البركانية، بينما يتكون الباقي من أخلاط مختلفة من الغازات التي تترتب حسب نسبة كل منها على النحو التالي: ثاني أكسيد الكربون، الإيدروجين، أبخرة حمض الإيدروكلوريك، حمض الكلور، النيتروجين، فلوريد الإيدروجين، ثاني أكسيد الكبريت، كبريتيد الإيدروجين، غازات الميثان والأمونيا وغيرها.

ويصعب تقدير كمية المياه المُندفِعة على هيئة بخار الماء إلى الغلاف الغازي للأرض من فوهات البراكين الثائرة، علماً بأن هناك نحو عشرين ثورة بركانية عارمة في المتوسط تحدث في خلال حياة كل فرد منا، ولكن مع التسليم بأن الثورات البركانية في بدء خلق الأرض كانت أشد تكراراً وعنفاً من معدلاتها الراهنة، فإن الحسابات التي أُجريت بضرب متوسط ما تنتجه الثورة البركانية الواحدة من بخار الماء من فوهة واحدة، في متوسط مرات ثورانها في عمر البركان، في عدد الفوهات والشقوق البركانية النشيطة والخامدة الموجودة اليوم على سطح الأرض، أعطت رقماً قريباً جداً من الرقم المحسوب بكمية المياه على سطح الأرض.

**ثالثاً: الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي هي مصدر مياه وغازات الأرض:**

ثبت أخيراً أن المياه تحت سطح الأرض توجد على أعماق تفوق كثيراً جميع التقديرات السابقة، كما ثبت أن بعض مياه البحار والمحيطات تتحرك مع رسوبيات قيعانها الزاحفة إلى داخل الغلاف الصخري للأرض بتحرك تلك القيعان تحت كتل القارات، ويتسرب الماء إلى داخل الغلاف الصخري للأرض عبر شبكة هائلة من الصدوع والشقوق التي تمزق ذلك الغلاف في مختلف الاتجاهات، وتحيط بالأرض إحاطة كاملة بعمق يتراوح بين ٦٥ و١٥٠ كيلومتراً. ويبدو أن الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي هي مصدر رئيس للمياه الأرضية، وتلعب دوراً مهماً في حركة المياه من داخل الأرض إلى السطح وبالعكس؛ وذلك لأنه لولا امتصاصها للمياه ما انخفضت درجة حرارة انصهار الصخور، وهي إذا لم تنصهر لتوقفت ديناميكية الأرض، بما في ذلك الثورات البركانية، وقد ثبت أنها المصدر الرئيس للغلاف المائي والغازي للأرض. وعلى ذلك فقد أصبح من المقبول عند علماء الأرض أن النشاط البركاني الذي صاحب تكوين الغلاف الصخري للأرض في بدء خلقها هو المسؤول عن تكون كلٍ من غلافيها المائي والغازي، ولا تزال ثورات البراكين تلعب دوراً مهماً في إثراء الأرض بالمياه، وفي تغيير التركيب الكيميائي لغلافيها الغازي والصخري، وهو المقصود بدحو الأرض. وذلك نابع من حقيقة أن الماء هو السائل الغالب في الصهارات الصخرية على الرغم من أن نسبته المئوية إلى كتلة الصهارة قليلة بصفة عامة، فنسبة عدد جزيئات الماء إلى عدد جزيئات مادة الصهارة تصل إلى نحو ١٥٪، ولكن عندما تتبرد الصهارة الصخرية تبدأ مركباتها في التبَلْوُر بالتدريج، وتتضاغط الغازات الموجودة فيها إلى حجم أقل، وتتزايد ضغوطها حتى تفجر الغلاف الصخري للأرض بقوة تصل إلى مائة مليون طن على الفوهة البركانية الواحدة، فتشق ذلك الغلاف وتبدأ الغازات في التمدد، والانفلات من الذوبان في الصهارة الصخرية، ويندفع كلٌ من بخار الماء والغازات المُصاحِبة له والصهارة الصخرية إلى خارج فوهة البركان أو الشقوق المُتصاعِدة منها، مرتفعة إلى عدة كيلومترات لتصل إلى

كل أجزاء نطاق التغيرات المناخية (٨ ـ ١٨ كيلومتراً فوق مستوى سطح البحر)، وقد تصل هذه النواتج البركانية في بعض الثورات البركانية العنيفة إلى نطاق التطبق (٣٠ ـ ٨٠ كيلومتراً فوق مستوى سطح البحر). وغالبية مادة السحاب الحار الذي تتراوح درجة حرارته بين ٢٥٠ ـ ٥٠٠ درجة مئوية يعاود الهبوط إلى الأرض بسرعات تصل إلى ٢٠٠ كيلومتر في الساعة؛ لأن كثافته أعلى من كثافة الغلاف الغازي للأرض. والماء المُتكثِّف من هذا السحاب البركاني الحار الذي يقطر مطراً من بين ذرات الرماد التي تبقى عالقة بالغلاف الغازي للأرض لفترات طويلة، يجرف معه كميات هائلة من الرماد والحصى البركاني مُكوِّناً تدفُّقاً للطين البركاني الحار على سطح الأرض في صورة من صور الدحو. ومنذ أيام ثار بركان في إحدى جزر الفلبين، فغمرت المياه المُتكوِّنة أثناء ثورته بالكامل قرية مجاورة آهلة بالسكان. وقد يصاحب الثورات البركانية خروج عدد من الينابيع والنافورات الحارة، وهي ثورات دورية للمياه والأبخرة، شديدة الحرارة، تندفع إلى خارج الأرض بفعل الطاقة الحرارية العالية المخزونة في أعماق القشرة الأرضية. ويعتقد علماء الأرض أن وشاح كوكبنا كان في بدء خلقه مُنصهِراً انصهاراً كاملاً أو جزئياً، وكانت هذه الصهارة هي المصدر الرئيس لبخار الماء وعدد من الغازات التي اندفعت من داخل الأرض. وقد لعبت الأبخرة والغازات التي تصاعدت عبر كلٍ من فوهات البراكين وشقوق الأرض ـ ولا تزال تلعب ـ دوراً مهماً في تكوين وإثراء كلٍ من الغلافين المائي والغازي للأرض، كما لعبت الصهارة الصخرية المندفعة من فوهات البراكين دوراً هاماً في تكوين الغلاف الصخري للأرض، ومجموع ذلك هو المقصود بالدحو.

**رابعاً: دورة الماء حول الأرض:**

شاءت إرادة الخالق العظيم أن يسكن في الأرض هذا القدر الهائل من الماء الذي يكفي جميع متطلبات الحياة على هذا الكوكب، ويحفظ التوازن الحراري على سطحه، كما يقلل من فروق درجة الحرارة بين كلٍ من الصيف والشتاء صوناً للحياة بمختلف أشكالها ومستوياتها.

وهذا القدر الذي يكوِّن الغلاف المائي للأرض قدر موزون بدقة بالغة، فلو زاد قليلاً لغطَّى كل سطحها، ولو قلَّ قليلاً لقَصُرَ دون الوفاء بمتطلبات الحياة عليها.

ولكي يحفظ ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الماء من التعفن والفساد حرَّكه في دورة مُعجِزة تُعرف باسم: دورة المياه الأرضية، تحمل في كل سنة ٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب من الماء بين الأرض وغلافها الغازي، ولما كانت نسبة بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض ثابتة، فإن معدل سقوط الأمطار سنوياً على الأرض يبقى مُساوياً لمعدل البخر من على سطحها، وإن تباينت أماكن وكميات السقوط في كل منطقة حسب الإرادة الإلهية. ويبلغ متوسط سقوط الأمطار على الأرض اليوم ٨٥,٧ سنتيمتراً مكعباً في السنة، ويتراوح بين ١١,٤٥ متراً مكعباً في جزر هاواي وصفر في كثير من صحاري الأرض.

وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**ما من عام بأقل مطراً من عام**»(١).

وإذ يقول: «**قال ربكم: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**»(٢).

وتُبَخِّر أشعة الشمس من أسطح البحار والمحيطات ٣٢٠،٠٠٠ كيلومتراً مكعباً من الماء في كل عام، وأغلب هذا التبخر من المناطق الاستوائية حيث تصل درجة الحرارة في المتوسط إلى ٢٥ درجة مئوية، بينما تسقط على البحار والمحيطات سنوياً من مياه المطر ٢٨٤،٠٠٠ كيلومتراً مكعباً. ولما كان منسوب المياه في البحار والمحيطات يبقى ثابتاً في كل فترة زمنية محددة كالفترة الحالية فإن الفرق بين كمية التبخر من أسطح البحار والمحيطات وكمية ما يسقط عليها من مطر لا بد وأن يفيض إليها من القارات. وبالفعل فإن التبخر من أسطح

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (الحديث: ٦٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (الحديث: ٩٩١).

القارات يُقدَّر بستين ألف كيلومتر مكعب، بينما يسقط عليها سنوياً ستة وتسعون ألفاً من الكيلومترات المكعبة من ماء المطر، والفارق بين الرقمين بالإيجاب هو نفس الفارق بالسلب بين كمية التبخر وكمية المطر في البحار والمحيطات (٣٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب). فسبحان الذي ضبط دورة المياه حول الأرض بهذه الدقة الفائقة.

ويتم التبخر على اليابسة من أسطح البحيرات والمستنقعات، والبرك، والأنهار، وغيرها من المجاري المائية، ومن أسطح تجمعات الجليد، وبطريقة غير مباشرة من أسطح المياه تحت سطح الأرض، ومن عمليات تنفس وعرق كل من الإنسان والحيوان، ونتح النباتات، ومن فوهات البراكين.

ولما كان متوسط ارتفاع اليابسة هو ٨٢٣ متراً فوق مستوى سطح البحر، ومتوسط عمق المحيطات ٣٨٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر، فإن ماء المطر الذي يفيض سنوياً من اليابسة إلى البحار والمحيطات ـ ويُقدَّر بستة وثلاثين ألفاً من الكيلومترات المكعبة ـ ينحدر مُولِّداً طاقة ميكانيكية هائلة، تشق الفجاج والسبل، وتفتت صخور الأرض، وتتكون منها الرسوبيات والصخور الرسوبية بما يتركز فيها من ثروات أرضية، ومُكوِّنة التربة الزراعية اللازمة لإنبات الأرض، ولو أنفقت البشرية كل ما تملك من ثروات مادية ما استطاعت أن تدفع قيمة هذه الطاقة التي سخرها لنا ربنا ـ ﷻ ـ من أجل تهيئة الأرض لكي تكون صالحة للعمران!!!.

**خامساً: توزيع الماء على سطح الأرض:**

تُقدَّر كمية المياه على سطح الأرض بنحو ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب، أغلبها على هيئة ماء مالح في البحار والمحيطات (٩٧,٢٠٪)، بينما يتجمع الباقي (٢,٨٪) على هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة الصلبة، والسائلة، والغازية؛ منها (٢,١٥٪ من مجموع مياه الأرض) على هيئة سُمْك هائل من الجليد يغطي المنطقتين القطبيتين الجنوبية والشمالية بسُمْك يقترب من الأربعة كيلومترات، كما

يغطي جميع القمم الجبلية العالية، والباقي يقدر بنحو ٠,٦٥٪ فقط من مجموع مياه الأرض يختزن أغلبه في صخور القشرة الأرضية على هيئة مياه تحت سطح الأرض، تليها في الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة، ثم رطوبة التربة الأرضية، ثم رطوبة الغلاف الغازي للأرض، ثم المياه الجارية في الأنهار وتفرعاتها.

وحينما يرتفع بخار الماء من الأرض إلى غلافها الغازي فإن أغلبه يتكثف في «**نطاق الرجع** وهو نطاق الطقس أو نطاق التغيرات المناخية»، الذي يمتد من سطح البحر إلى ارتفاع يتراوح بين (١٦) و(١٧) كيلومتراً فوق خط الاستواء، وبين (٦) و(٨) كيلومترات فوق القطبين، ويختلف سُمْكه فوق خطوط العرض الوسطى باختلاف ظروفها الجوية، فينكمش إلى ما هو دون السبعة كيلومترات في مناطق الضغط المُنخفِض، ويمتد إلى نحو الثلاثة عشر كيلومتراً في مناطق الضغط المُرتَفع. وعندما تتحرك كتل الهواء الحار في نطاق الرجع من المناطق الاستوائية في اتجاه القطبين، فإنها تضطرب فوق خطوط العرض الوسطى فتزداد سرعة الهواء في اتجاه الشرق مُتأثِّراً باتجاه دوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق.

ويضم **نطاق الرجع** ٦٦٪ من كتلة الغلاف الغازي للأرض، وتتناقص درجة الحرارة والضغط فيه باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى نحو ٦٠ درجة مئوية تحت الصفر في قمته المعروفة باسم **مستوى الركود الجوي**، وإلى عشر الضغط الجوي العادي عند سطح البحر فوق خط الاستواء؛ وذلك لتناقص الضغط بشكل ملحوظ عنده.

ونظراً لهذا الانخفاض الملحوظ في كلٍ من درجة الحرارة والضغط الجوي، وإلى الوفرة النسبية لنوى التكثف في هذا النطاق، فإن بخار الماء الصاعد من الأرض يتمدد تمدداً ملحوظاً مما يزيد من فقدانه لطاقته، وتبرده تبرداً شديداً، ويساعد على تكثفه وعودته إلى الأرض مطراً أو بَرَداً أو ثلجاً، وبدرجة أقل على هيئة ضباب وندى في المناطق القريبة من سطح الأرض.

**سادساً: دحو الأرض معناه إخراج غلافيها المائي والغازي من داخلها:**

ثبت أن كل ماء الأرض قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من داخل الأرض عن طريق الأنشطة البركانية المختلفة المُصاحِبة لتحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض. كذلك فإن ثانيَ أكثر الغازات اندفاعاً من فوهات البراكين بعد بخار الماء هو ثاني أكسيد الكربون، وهو لازمة من لوازم عملية التمثيل الضوئي التي تقوم بتنفيذها النباتات الخضراء مُستخدِمة هذا الغاز مع الماء وعدداً من عناصر الأرض لبناء خلايا النبات وأنسجته، وزهوره، وثماره. ومن هنا عبر القرآن الكريم عن إخراج هذا الغاز المهم وغيره من الغازات اللازمة لإنبات الأرض من داخلها تعبيراً مجازياً بإخراج المرعى، لأنه لولا ثاني أكسيد الكربون ما أنبتت الأرض، ولا كستها الخضرة.

**سابعاً: من معجزات القرآن: الإشارة إلى تلك الحقائق العلمية بلغة سهلة جزلة:**

على عادة القرآن الكريم فإنه عبر عن تلك الحقائق الكونية المُتضمِّنة إخراج كلٍ من الغلافين المائي والغازي للأرض من داخل الأرض بأسلوب لا يفزع العقلية البدوية في صحراء الجزيرة العربية وقت تنزله، فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾، والعرب في قلب الجزيرة العربية كانوا يرون الأرض تتفجر منها عيون الماء، ويرون الأرض تُكسى بالعشب الأخضر بمجرد سقوط المطر، ففهموا هذا المعنى الصحيح الجميل من هاتين الآيتين الكريمتين، ثم نأتي نحن اليوم فنرى في نفس الآيتين رؤية جديدة مفادها أن الله تعالى يمن على الأرض وأهلها وعلى جميع من يحيا على سطحها، أنه ﷻ قد هيأها لهذا العمران بإخراج كلٍ من أغلفتها الصخرية والمائية والغازية من جوفها، حيث تصل درجات الحرارة إلى آلاف الدرجات المئوية مما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وببديع الصنعة، وبكمال العلم، وتمام الحكمة، كما يشهد للنبي الخاتم والرسول الخاتم الذي تلقى هذا الوحي الخاتم بأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومُعلَّماً من قِبَل خالق السمٰوات والأرض.

## (٢) ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]

ضمن قسم بخمس من آيات الله في الخلق على حتمية وقوع العذاب بالمُكذِّبين بالدين الخاتم، وعلى أنه لا دافع أبداً لهذا العذاب عنهم، جاء هذا القسم القرآني العجيب في مطلع سورة «الطور»، وهي سورة مكية، شأنها شأن كل السور التي أُنزلت بمكة المكرمة، تدور محاورها الأساسية حول قضية العقيدة بأبعادها المُختلِفة من الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، وبملائكته، وكتبه، ورسله، وبالبعث والجزاء، وبالخلود في الآخرة، إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً.

وتبدأ السورة بعد هذا القسم بمشهد من مشاهد الآخرة فيه استعراض لحال المكذبين برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهم يُدفعون من ظهورهم إلى نار جهنم دفعاً، وقد كانوا من المُكذِّبين بها!!

ثم تنتقل الآيات إلى استعراض حال المتقين، وهم يرفلون في جنات النعيم ثواباً لهم على الإيمان بالله، والخوف من عذابه!!

وتنتهي السورة بخطاب إلى النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ يحثه على المضي في دعوته إلى عبادة الله الخالق وحده (بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبة ولا ولد) مهما صادفه في ذلك من مصاعب في مواجهة الكم الهائل من مؤامرات المُتآمِرين، وكيد المُكذِّبين وعنتهم، الذين يتهددهم الله ـ تعالى ـ بما سوف يلقونه من صنوف العذاب يوم القيامة، بل بعذاب قبل ذلك في الحياة الدنيا. ويأتي مسك الختام بمواساة وتعضيد لرسول الله ﷺ في صورة تكريم لم يسبق لنبي من الأنبياء ولا لرسول من الرسل أن نال من الله تعالى تكريماً مثله، وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مُوجهاً الخطاب إليه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٨، ٤٩].

والآيات الست التي سبق بها القسم في مطلع سورة «الطور» هي على

التوالي: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ وهو الجبل المَكسو بالأشجار (والجبل غير المكسو بالخضرة لا يقال له طور، إنما يقال له جبل إذا كان شاهق الارتفاع بالنسبة للتضاريس حوله، ويسمى تَلًّا إذا كان دون ذلك، وتليه الأَكْمَة أو الرَّبْوَة أو النتوء الأرضي، ويليه النَّجْد أو الهَضَبَة، ويليه السَّهْل، من تضاريس الأرض) والمقصود في القسم القرآني هنا ـ على الأرجح ـ هو طور سيناء، الذي كلم الله ـ تعالى ـ عنده موسى عليه السلام، والذي نزلت عليه الألواح. وأقسم الله تعالى بطور سيناء هنا تكريماً له، وتذكيراً للناس بما فيه من الآيات، والأنوار، والتجليات، والفيوضات الإلٰهية، مما جعله بقعة مُشرَّفة من بقاع الأرض لاختياره بإرادة الله ـ تعالى ـ وتجليه له.

والآية الثانية التي جاء بها القسم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ وقيل فيه: إنه اللوح المحفوظ، وقيل: إنه القرآن الكريم الذي ختم الله تعالى به وحي السماء، وقيل: هو التوراة التي تلقاها نبي الله موسى عليه السلام في الألواح التي أُنزلت على جبل الطور، وقيل: هو إشارة إلى جميع الكتب السماوية التي أنزلها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على فترة من الرسل بلغ عددهم ثلاثمائة وبضعة عشر كما أخبرنا المصطفى ﷺ، لأن أصلها واحد، ورسالتها واحدة؛ كما قيل إنها صحائف أعمال العباد.

والقسم الثالث جاء بـ ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ والرق: هو جلد رقيق يُكتب فيه، وقد يشير إلى الورق الذي يكتب عليه، وإلى الألواح التي ينقش فيها؛ لأن الرق هو كل ما يُكتب فيه. والمنشور ـ أي المبسوط ـ غير المطوي، وغير المختوم عليه، بمعنى أنه مفتوح أمام الجميع، يستطيعون قراءته أو الاستماع إليه بغير حجر أو منع، فالقرآن الكريم يقرأه الخلق جميعهم، ويستمعون إليه بغير قيود أو حدود من أي نوع، وهكذا كانت الكتب السماوية التي سبقته بالنزول قبل ضياعها أو تحريفها، وفي النشر إشارة إلى سلامة الكتب السماوية من كل نقص وعيب.

وجاء القسم الرابع بصياغة ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ وهو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة ـ أي مقابلتها إلى أعلى على استقامتها ـ، وهو أيضاً حيال العرش

إلى أسفل منه وعلى استقامته، تعمِّره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً منهم، ثم لا يعودون إليه كما روى ابن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، وهو لأهل السماء كالكعبة المُشرَّفة لأهل الأرض، ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لأصحابه: «**هل تدرون ما البيت المعمور؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: «**فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم**»(١).

ويروى عنه ﷺ وصفاً مُشابِهاً للبيت المعمور في حديث الإسراء والمعراج، كما جاء في الصحيحين.

وجاء القسم الخامس بصياغة ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾، وفيه قيل: هو السماء القائمة بغير عمد مرئية، كما جاء على لسان الإمام علي ـ كرم الله تعالى وجهه ـ ووافقه على ذلك كثير من المفسرين، وإن قال الربيع بن أنس: «إنه العرش الذي هو سقف لجميع المخلوقات».

أما القسم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ فقد تعددت آراء المفسرين فيه، كما سنرى في الأسطر القليلة التالية، ولكن قبل التعرض لذلك لا بد لنا من استعراض الدلالة اللغوية للفظي: البحر والمسجور.

### المدلول اللغوي للبحر المسجور:

(البحر) في اللغة ضد البر، وقيل: إنه سمي بهذا الاسم لعمقه واتساعه، والجمع (أَبْحُر) و(بِحَار) و(بُحُور)، وكل نهر عظيم يسمى بحراً؛ لأن أصل البحر هو كل مكان واسع جامع للماء الكثير، وإن كانت لفظة (البحر) تُطلق في الأصل على الماء المالح دون العذب، كذلك سمت العرب كل مُتوسِّع في شيء (بحراً) حتى قالوا: للمتوسع في علمه (بحراً)، وللتوسع في العلم (تَبَحُّر)، وقالوا: فرس (بحر) أي واسع الخُطَى، سريع الجري، وقيل: ماء بحر، أي ملح (مالح)،

---

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر.

و(أَبْحَرَ) الماء أي ملح، و(أَبْحَرَ) الرجل أي ركب البحر، و(بَحَرَ) أذن الناقة، أي شقها شقاً واسعاً فشبهها بسعة البحر على وجه المجاز والمُبالَغة، ومنها سميت البَحِيْرَة: وهي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن شقوا أذنها، وتُطلق، فلا تُركب ولا يُحمل عليها، والبَحِيْرَة ابنة السائبة، وحكمها حكم أمها عند العرب في الجاهلية.

أما وصف البحر بصفة (المسجور) فالصفة مستمدة من الفعل (سَجَرَ) و(السَّجْرُ) تهييج النار، يقال: (سجر) التنور أي أوقد عليه حتى أحماه، و(السجور) هو ما يُسجر به التنور من أنواع الوقود، كما يقال: (سَجرَ) الماء النهر أي ملأه، ومنه (البحر المسجور) أي المملوء بالماء، المكفوف عن اليابسة، و(الساجور) خشبة تُجعل في عنق الكلب فيقال له كلب (مسوجر) أي محكوم، والمسوجر المُغلق المُحكم الإغلاق من كل شيء.

## من شروح المفسرين للآية الكريمة:

في تفسير القسم القرآني بالبحر المسجور أشار ابن كثير ـ يرحمه الله ـ إلى قول الربيع بن أنس أنه: هو الماء الذي تحت العرش الذي يُنزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها أي أنه بحر من ماء خاص محبوس عند رب العالمين، ينزله ﷻ يوم البعث فينبت كل مخلوق بواسطة هذا الماء من عجب ذنبه كما تنبت البقلة من حبتها على ما روي عن رسول الله ﷺ، وأضاف ابن كثير: وقال الجمهور هو هذا البحر، واختلف في معنى المسجور فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف، كما روي عن كل من الإمامين علي وابن عباس؛ وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يُشرب منه ماء، ولا يُسقى به زرع، وكذلك البحار يوم القيامة.

وعن سعيد بن جبير: أن القسم بـ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ يعني المُرسل، وقال قتادة: المسجور: «المملوء»، واختاره ابن جرير، وقيل: المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيغرق أهلها، قاله ابن عباس وبه يقول

السدي وغيره، وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل**»[١].

وذكر صاحبا تفسير الجلالين ـ رحمهما الله ـ في شرح دلالة القسم القرآني ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ أي المملوء، وذكرا أنه قول قتادة، وقالا: قال مجاهد: المُوقد أي الذي سيسجر يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦].

وقال صاحب الظلال ـ يرحمه الله ـ كلاماً مُشابِهاً يشير إلى أن البحر المسجور هو المملوء بالماء في الدنيا، أو المُتَّقد بالنار في الآخرة، أو أن هذا التعبير يسير إلى خلق آخر كالبيت المعمور يعلمه الله.

وذكر صاحب صفوة البيان لمعاني القرآن ـ غفر الله له ـ في تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ ما نصه: «أي المملوء ماء» يقال: سجر النهر، ملأه، وهو البحر المحيط، والمراد الجنس، وقيل الموقد ناراً عند قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]، أي أوقدت ناراً، من سجر التنور يسجره سجراً، أحماه، وُصف البحر بذلك إعلاماً بأن البحار عند فناء الدنيا تحمى بنار من تحتها فتتبخر مياهها، وتندلع النار في تجاويفها وتصير كلها حمماً.

وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم: «إن البحر المسجور هو المملوء»، وذكر صاحب صفوة التفاسير أنه الموقد ناراً يوم القيامة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي: أُضرمت حتى تصير ناراً ملتهبة تتأجج وتحيط بأهل الموقف.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

### البحر المسجور في منظور العلوم الحديثة:

من المعاني اللغوية للبحر المسجور هو المملوء بالماء، والمكفوف عن اليابسة، وهو معنى صحيح من الناحية العلمية صحة كاملة، كما أثبتته الدراسات العلمية في القرن العشرين، ومن المعاني اللغوية لهذا القسم القرآني المُبهِر أيضاً أن البحر قد أُوقد عليه حتى حمي قاعه فأصبح مسجوراً، وهو كذلك من الحقائق العلمية التي اكتشفها الإنسان في العقود المُتأخِّرة من القرن العشرين، والتي لم يكن لبشر إلمام بها قبل ذلك أبداً، وهذا ما نفصِّله في الأسطر التالية:

### أولاً: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ بمعنى المملوء بالماء والمكفوف عن اليابسة:

الأرض هي أغنى كواكب المجموعة الشمسية بالماء الذي تقدر كميته بحوالي١٣٦٠ إلى ١٣٨٥ مليون كيلومتر مكعب. وهذا الماء قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كله من داخل الأرض على هيئة بخار ماء اندفع من فوهات البراكين، وعبر صدوع الأرض العميقة ليصادف الطبقات العليا الباردة من نطاق التغيرات الجوية، والذي يمتد من سطح البحر إلى ارتفاع حوالي ستة عشر كيلو متراً فوق خط الاستواء، وحوالي العشرة كيلومترات فوق قطبي الأرض، وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمته. وهذا النطاق يحوي حوالي ثلثي كتلة الغلاف الغازي للأرض (٦٦٪) والمُقدَّرة بأكثر قليلاً من خمسة آلاف مليون مليون طن، وهو النطاق الذي يتكثف فيه بخار الماء الصاعد من الأرض، والذي تتكون فيه السحب، وينزل منه كل من المطر، والبَرَد، والثلج، وتتم فيه ظواهر الرعد والبرق، وتتكون العواصف والدوَّامات الهوائية وغير ذلك من الظواهر الجوية، ولولا تبرد هذا النطاق مع الارتفاع ما عاد إلينا بخار الماء الصاعد من الأرض أبداً. وحينما عاد إلينا بخار الماء مطراً، وثلجاً، وبَرَداً، انحدر على سطح الأرض ليشق له عدداً من المجاري المائية، ثم فاض إلى منخفضات الأرض الواسعة ليكوِّن البحار والمحيطات، وبتكرار عملية البخر من أسطح تلك البحار

والمحيطات، ومن أسطح اليابسة بما عليها من مختلف صور التجمعات المائية والكائنات الحية، بدأت دورة المياه حول الأرض من أجل التنقية المُستمِرَّة لهذا الماء ولكي يتم تلطيف الجو، وشق الفجاج والسبل، وتفتيت الصخور، وتسوية سطح الأرض، وتكوين التربة، وتركيز عدد من الثروات المعدنية، وغير ذلك من المهام التي أوكلها الخالق لتلك الدورة المُعجِزة التي تحمل ٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب من ماء الأرض إلى غلافها الجوي سنوياً، لتردَّها إلى الأرض ماءً طهوراً، منها ٣٢٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب تتبخر من أسطح البحار المحيطات، ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب من أسطح اليابسة، يعود منها ٢٨٤,٠٠٠ كيلومتر مكعب إلى البحار والمحيطات، و٩٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب إلى اليابسة التي يفيض منها ٣٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب من الماء إلى البحار والمحيطات، وهو نفس مقدار الفارق بين البخر والمطر من وإلى البحار والمحيطات.

هذه الدورة المُحكَمة للمياه حول الأرض أدَّت إلى خزن أغلب ماء الأرض في بحارها ومحيطاتها (حوالي ٩٧,٢٪)، وإبقاء أقله على اليابسة (حوالي ٢,٨٪)، وبهذه الدورة للماء حول الأرض تملح ماء البحار والمحيطات، وبقيت نسبة ضئيلة على هيئة ماء عذب على اليابسة، وحتى هذه النسبة الضئيلة من ماء الأرض العذب قد حُبس أغلبها (من ٢,٠٥٢ ٪ إلى ٢,١٥٪) على هيئة سُمْك هائل من الجليد فوق قطبي الأرض، وفي قمم الجبال، والباقي مُختزَن في الطبقات المسامية والمُنفذة من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء تحت سطحي (حوالي ٠,٢٧٪ إلى ٠,٥٠٪)، وفي بحيرات الماء العذب (حوالي ٠,٣٣٪)، وعلى هيئة رطوبة في تربة الأرض (من ٠,١١٪ إلى ٠,١٨٪)، ورطوبة في الغلاف الغازي للأرض تتراوح بين (٠,٠٠١٪ إلى ٠,٠٣٦٪)، وما يجري في الأنهار والجداول (حوالي ٠,٠٤٧٪).

وتوزيع ماء الأرض بهذه النسب التي اقتضتها حكمة الله الخالق قد تم بدقة بالغة بين البيئات المختلفة بالقدر الكافي لمُتطلَّبات الحياة في كل بيئة من تلك البيئات، وبالأقدار الموزونة التي لو اختلَّت قليلاً بزيادة أو نقص لغمرت الأرض

وغطَّت سطحها بالكامل، أو انحسرت تاركة مساحات هائلة من اليابسة، ولقصرت دون متطلبات الحياة عليها.

ومن هذا القبيل يحسب العلماء أن الجليد المُتجمِّع فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال المُرتفِعة فوق سطحها إذا بدأ في الانصهار ـ وهذا لا يحتاج إلا إلى مجرد الارتفاع في درجة حرارة صيف تلك المناطق بحوالي ٦,- درجة مئوية ـ، وإذا حدث ذلك فإن كم الماء الناتج سوف يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى الحد الذي يغرق أغلب المناطق الآهلة بالسكان والمُمتدَّة في دالات الأنهار وحول شواطئ تلك البحار والمحيطات. وليس هذا من قبيل الخيال العلمي، فقد مرت بالأرض فترات كانت مياه البحار فيها أكثر غمراً لليابسة من حدود شواطئها الحالية، كما مرت فترات أخرى كان منسوب الماء في البحار والمحيطات أكثر انخفاضاً من منسوبها الحالي مما أدى إلى انحسار مساحة البحار والمحيطات، وزيادة مساحة اليابسة، والضابط في الحالين كان كم الجليد المُتجمِّع فوق اليابسة، فكلما زاد كم الجليد انخفض منسوب الماء في البحار والمحيطات فانحسرت عن اليابسة التي تزيد مساحتها زيادة ملحوظة، وكلما قل كم الجليد ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات وطغت على اليابسة التي تتضاءل مساحتها تضاؤلاً ملحوظاً.

من هنا كان تفسير القسم القرآني بـ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ۝٦﴾ بأن الله تعالى يمن علينا ـ وهو صاحب الفضل والمنة ـ بأنه ملأ منخفضات الأرض بماء البحار والمحيطات، وحجز هذا الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة منذ خلق الإنسان، وذلك بحبس كميات من هذا الماء في هيئات مُتعدِّدة أهمها ذلك السُمْك الهائل من الجليد المُتجمِّع فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال، والذي يصل إلى أربعة كيلومترات في قطب الأرض الجنوبي، وإلى ثلاثة آلاف وثمانمائة من الأمتار في القطب الشمالي، ولولا ذلك لغطى ماء الأرض أغلب سطحها، ولما بقيت مساحة كافية من اليابسة للحياة بمختلف أشكالها الإنسانية، والحيوانية، والنباتية، وهي إحدى آيات الله البالغة في الأرض وفي إعدادها لكي تكون صالحة للعمران.

من هنا كان تفسير القسم بـ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ بمعنى المملوء بالماء، المكفوف عن اليابسة، ينطبق مع عدد من الحقائق العلمية الثابتة التي تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وتشهد لسيدنا محمد ﷺ بالنبوة وبالرسالة.

**ثانياً: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ بمعنى القائم على قاع أحمته الصهارة الصخرية المُندفِعة من داخل الأرض فجعلته شديد الحرارة:**

في العقود المُتأخِّرة من القرن العشرين تم اكتشاف حقيقة تمزُّق الغلاف الصخري للأرض بشبكة هائلة من الصدوع العملاقة المزدوجة، والتي تكوِّن فيما بينها ما يعرف باسم أودية الخسف أو الأغوار، وأن هذه الأغوار العميقة تحيط بالكرة الأرضية إحاطة كاملة، ويشبهها العلماء باللحام على كرة التنس ـ مع فارق التشبيه ـ، وتمتد هذه الأغوار في كافة الاتجاهات لعشرات الآلاف من الكيلومترات، ولكنها تنتشر أكثر ما تنتشر في قيعان محيطات الأرض، وفي قيعان عدد من بحارها، ويتراوح عمق الصدوع المُشكِّلة لتلك الأغوار بين ٦٥ كيلومتراً، و٧٠ كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات، وبين ١٠٠ و١٥٠ كيلومتراً على اليابسة ـ أي في صخور القارات ـ، وتعمل هذه الشبكة المتصلة من الصدوع على تمزيق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتقطيعه إلى عدد من الألواح الصخرية التي تطفو فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسميه العلماء باسم: **نطاق الضعف الأرضي**، وهو نطاق لدن، عالي الكثافة واللزوجة، تتحرك بداخله تيارات الحمل من أسفل إلى أعلى حيث تتبرد وتعاود النزول إلى أسفل، وهي بتلك الحركة الدائبة تدفع بكل لوح من ألواح الغلاف الصخري للأرض إلى التباعد عن اللوح المجاور في أحد جوانبه (في ظاهرة تسمى **ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات**)، ومُصطدِماً في الجانب المُقابِل باللوح الصخري المُجاوِر ليكوِّن سلسلة من السلاسل الجبلية، ومُنزلقاً عن الألواح المُجاوِرة في الجانبين الآخرين.

وباستمرار تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض تتسع قيعان البحار والمحيطات باستمرار عند خطوط التباعد بينها، وتندفع الصهارة الصخرية بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية لتساعد على دفع جانبي

المحيط يمنة ويسرة، وتملأ المسافات الناتجة بالصهارة الصخرية المُندفِعة من نطاق الضعف الأرضي على هيئة ثورات بركانية عارمة تحت الماء، تسجر قيعان جميع محيطات الأرض، وقيعان أعداد من بحارها، وتجدد مادتها الصخرية باستمرار.

وقد أدى هذا النشاط البركاني فوق قيعان كل المحيطات، وفوق قيعان عدد من البحار النشطة إلى تكون سلاسل من الجبال في أواسط المحيطات تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية، وقد ترتفع قممها في بعض الأماكن فوق مستوى سطح الماء على هيئة أعداد من الجزر البركانية مثل جزر كل من إندونيسيا، ماليزيا، الفلبين، اليابان، هاواي وغيرها، وفي المقابل تصطدم ألواح الغلاف الصخري عند حدودها المُقابِلة لمناطق اتساع قيعان البحار والمحيطات، ويؤدي هذا التصادم إلى اندفاع قيعان المحيطات تحت كتل القارات وانصهارها بالتدريج مما يؤدي إلى تكون جيوب عميقة عند التقاء قاع المحيط بالكتلة القارية تتجمع فيها كميات هائلة من الصخور الرسوبية والنارية والمُتحوِّلة التي تطوى وتتكسر لترتفع على هيئة السلاسل الجبلية على حواف القارات مثل سلسلة جبال «الأنديز» في غربي أمريكا الجنوبية، وهنا يستهلك قاع المحيط بالتدريج تحت الكتلة القارية. وإذا استمرت عملية توسع قاع المحيط فإن هذا القاع قد يستهلك بأكمله تحت القارة مما يؤدي إلى تصادم قارتين ببعضهما، وينشأ عن هذا التصادم أعلى السلاسل الجبلية من مثل جبال «الهيمالايا» التي نتجت عن اصطدام الهند بالقارة الآسيوية بعد استهلاك قاع المحيط الذي كان يفصل بينهما بالكامل في أزمنة قديمة.

ويصاحب كلٌ من عمليتي توسع قاع المحيط في محوره الوسطي، واصطدامه عند أطرافه بعدد من الهزات الأرضية، والثورات والطفوح البركانية. ويبلغ طول جبال أواسط المحيطات أكثر من أربعة وستين ألفاً من الكيلومترات في الطول، بينما يبلغ طول الصدوع العميقة التي اندفعت منها الطفوح البركانية لتكوِّن تلك السلاسل الجبلية في أواسط المحيطات أضعاف هذا الرقم، وتتكون

هذه السلاسل أساساً من الصخور البركانية المُختلِطة بالقليل من الرسوبيات البحرية، وتحيط كل سلسلة من هذه السلاسل المُندفِعة من قاع المحيط بواد خسيف (غور) مُكوَّن بفعل الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بعمق يتراوح بين خمسة وستين كيلومتراً وسبعين كيلومتراً ليخترق الغلاف الصخري للأرض بالكامل ويصل إلى نطاق الضعف الأرضي الذي تندفع منه الصهارة الصخرية بملايين الأطنان في درجة حرارة تزيد عن الألف درجة مئوية لتسجر قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان عدد من بحارها النشطة باستمرار، ومع تجدد اندفاع الصهارة الصخرية عبر مستويات هذه الصدوع العملاقة يتسع قاع المحيط باستمرار، وتتجدد مادته بدفع الصخور القديمة في اتجاه شاطئ المحيط يمنة ويسرة، ليحل محلها أحزمة أحدث عمراً تتكون من تجمد تلك الصهارة الجديدة، وتترتب بصورة مُتوازِية على جانبي أغوار المحيطات والبحار، ويهبط كل جانب من جانبي قاع المحيط المُتسِع بنصف معدل اتساعه الكلي تحت كل قارة من القارتين أو القارات المحيطة بشاطئيه، وبذلك يمتلئ محور المحيط بالصهارة الصخرية الحديثة المُندفِعة عبر مستويات الصدوع المُمزِّقة لقاعه فتسجره، بينما تندفع الصخور الأقدم بالتدريج في اتجاه الشاطئين، حيث توجد أقدم صخور ذلك القاع، والتي تستهلك باستمرار تحت القارات المحيطة.

وهذه الصدوع العملاقة التي تمزق قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان عدد من بحارها ـ مثل البحر الأحمر ـ توجد أيضاً على اليابسة ولكن بنسب أقل منها فوق قيعان البحار والمحيطات، وتعمل على تكوين عدد من الأغوار ـ الأودية الخسيفة ـ، والبحار الطولية ـ مثل أغوار شرقي أفريقيا والبحر الأحمر ـ التي تعمل على تفتيت الكتل القارية باتساعها التدريجي لتتحول تلك البحار الطولية مثل البحر الأحمر إلى بحار أكبر، ثم إلى محيطات تفصل بين الكتلة القارية التي كانت متصلة على هيئة قارة واحدة. وتُحاط تلك الخسوف القارية العملاقة بعدد من القمم البركانية السامقة مثل جبل «أرارات» في شرقي تركيا (٥١٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر)، ومخروط بركان «إتنا» في شمال شرقي صقلية (٣٣٠٠

متر)، ومخروط بركان «فيزوف» في خليج نابولي بإيطاليا (١٣٠٠ متر)، وجبل (كيليمنجارو) في تنجانيقا (٥٩٠٠ متر)، وجبل كينيا في جمهورية كينيا (٥١٠٠ متراً فوق مستوى سطح البحر).

بذلك ثبت لكل من علماء الأرض والبحار ـ بالأدلة المادية الملموسة ـ أن كل محيطات الأرض ـ بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي ـ، وأن أعداداً من بحارها ـ مثل البحر الأحمر ـ، قيعانها مسجرة تسجيراً حقيقياً بالصهارة الصخرية المُندفِعة بملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي. وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساساً في قيعان البحار والمحيطات، وأن كم المياه في تلك الأحواض العملاقة ـ على ضخامته ـ (والذي يغطي ثلاثة أرباع سطح الأرض بعمق متوسط في المحيطات يصل إلى أربعة كيلومترات) لا يستطيع أن يطفئ جذوة الصهارة الصخرية المُندفِعة من داخل الأرض إطفاءً كاملاً، وأن هذه الجذوة ـ على شدة حرارتها ـ (حوالي ألف درجة مئوية) لا تستطيع أن تبخر هذا الماء بالكامل، وأن هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية هو من أكثر ظواهر الأرض إبهاراً للعلماء في زماننا، وهي حقيقة لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين.

ومن الغريب أن رسول الله ﷺ هذا النبي الأمي ـ الذي لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فضلاً عن الغوص إلى أعماق البحار ـ قال في حديث شريف أخرجه كل من الأئمة أبو داود في سننه، والبيهقي في سننه، وابن شيبة في مصنفه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ما نصه: «**لا يركب البحر إلا حاج، أو معتمر، أو غازٍ في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**»[1].

(١) رواه أبو داود في سننه والبيهقي.

وجاء الحديث في مصنف ابن شيبة بالنص التالي: «**إن تحت البحر ناراً، ثم ماء، ثم نار**».

ويعجب الإنسان المُتبصِّر لهذا السبق في كلٍ من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الأرض التي لم يتوصل الإنسان إلى إدراكها إلا في نهايات القرن العشرين. هذا السبق الذي لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق، الذي أنزل هذا القرآن الكريم بعلمه، على خاتم أنبيائه ورسله، وعلَّم هذا الرسول الخاتم ﷺ من حقائق هذا الكون ما لم يكن لأحد من الخلق إلمام به قبل العقود الثلاثة المُتأخِّرة من القرن العشرين، لكي تبقى هذه الومضات النورانية في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ شهادات مادية ملموسة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي حفظه ـ تعالى ـ على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، في نفس لغة الوحي ـ اللغة العربية ـ، وحفظه كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في صفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، دون أدنى تغيير أو تبديل أو تحريف، وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه تعهداً مطلقاً حتى يبقى إلى أن يشاء الله شاهداً على الخلق أجمعين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للرسول الخاتم ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ بأنه كان موصولاً بالوحي، ومُعلَّماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. فسبحان الذي أنزل في مُحكَم كتابه من قبل ألف وأربعمائة من السنين هذا القسم القرآني بالبحر المسجور، وسبحان الذي علَّم خاتم أنبيائه ورسله بهذه الحقيقة فقال قولته الصادقة: «**إن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**». وسبحان الذي أكد على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق هذا النبي الخاتم في كل ما رواه عن ربه، فأنزل في محكم كتابه قوله الحق: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

وقوله ﷻ مُخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبإ: ٦].

وقوله ﷻ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [صٓ: ٨٧، ٨٨].

وقوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وقوله ـ تبارك اسمه ـ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

* * *

## (٣) ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ...﴾ [النور: ٤٠]

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في أواخر الثلث الثاني من سورة «النور»، وهي سورة مدنية، وآياتها أربع وستون، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة فيها إلى أن الله ـ تعالى ـ هو نور السمٰوات والأرض. وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذي يهدي لنوره من يشاء، وأن «. . .من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور».

ويدور المحور الرئيس للسورة حول عدد من التشريعات الإلٰهية الضابطة لسلوك المسلم في كل من حياته الخاصة والعامة، والحاكمة للعلاقات في داخل الأسرة المسلمة صوناً لحرماتها.

### الدلالة العلمية للآية الكريمة:

تشير هذه الآية الكريمة إلى الظلمة التامة فوق قيعان البحار العميقة والمحيطات، مؤكدة أنها ظلمة مركبة، يلعب كل من السحب، والأمواج

السطحية، والأمواج الداخلية دوراً أساسياً في إحداثها، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا في مطلع القرن العشرين.

ولما كانت الشمس هي مصدر الحرارة والضوء ومختلف صور الطاقة الأخرى (فيما عدا الطاقة النووية) على سطح الأرض وعلى أسطح غيرها من أجرام المجموعة الشمسية، كان لزاماً علينا الرجوع إلى المسافة الفاصلة بين الأرض والشمس للتعرف على الحواجز التي يمكن أن تعترض أشعة الشمس في طريق وصولها إلى الأرض ومن أهمها الغلاف الغازي للأرض، خاصة جزأه السفلي (نطاق المتغيرات المناخية أو نطاق الرجع) وما به من سحب.

## الظلمات فوق قيعان كل من البحار العميقة والمحيطات

### (١) الظلمة الأولى تسببها السحب:

تتكون الأشعة الصادرة من الشمس من كل الموجات الكهرومغناطيسية ابتداء من الأشعة الراديوية إلى الأشعة السينية إلا أن الغالب عليها هو الضوء المرئي وكل من الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية، بالإضافة إلى بعض الجسيمات الأولية المتسارعة مثل الإلكترونات، وأغلب الأشعة فوق البنفسجية يردها إلى الخارج نطاق الأوزون. وعند وصول بقية أشعة الشمس إلى الجزء السفلي من الغلاف الغازي للأرض فإن السحب تعكس وتشتت نحو (٣٠٪) منها.

وتمتص السحب وما بها من بخار الماء وجزيئات الهواء وهباءات الغبار وغيرها من نوى التكثيف الأخرى حوالي (١٩٪) من تلك الأشعة الشمسية المارة من خلالها، وعلى ذلك فإن السحب تحجب بالانعكاس والتشتيت والامتصاص حوالي (٤٩٪) من أشعة الشمس، فتحدث قدراً من الظلمة النسبية على سطح الأرض بما في ذلك اليابسة وأسطح البحار والمحيطات.

**(٢) الأمواج السطحية في كل من البحار والمحيطات تسبب الظلمة الثانية:**

عند وصول ما تبقى من أشعة الشمس إلى أسطح البحار والمحيطات فإن حوالي ٣٥٪ من الأشعة تحت الحمراء فيها تستهلك في تبخير الماء، من أجل تكوين السحب، وفي عمليات التمثيل الضوئي. التي تقوم بها النباتات البحرية.

أما ما يصل إلى سطح البحار والمحيطات مما تبقى من الأشعة المرئية (أو الضوء الأبيض). فإن الأمواج السطحية للبحار تعكس ٥٪ أخرى منها، فتحدث قدراً آخر من الظلمة النسبية في البحار والمحيطات.

**توهن (ضعف) ضوء الشمس المرئي بمروره في ماء البحار والمحيطات:**

الجزء المرئي من أشعة الشمس الذي ينفذ إلى كتل الماء في البحار والمحيطات يتعرض لعمليات كثيرة من الانكسار، والتحلل إلى الأطياف المختلفة والامتصاص بواسطة كل من جزيئات الماء، وجزيئات الأملاح المذابة فيه، وبواسطة المواد الصلبة العالقة به، وبما يحيا فيه من مختلف صور الأحياء، وبما تفرزه تلك الأحياء من مواد عضوية، ولذلك يضعف الضوء المار في الماء بالتدريج مع العمق.

والطيف الأحمر هو أول ما يمتص من أطياف الضوء الأبيض ويتم امتصاصه بالكامل على عمق لا يكاد يتجاوز عشرة أمتار، ويليه في الامتصاص الطيف البرتقالي ثم الطيف الأصفر والذي يتم امتصاصه بالكامل على عمق لا يتجاوز الخمسين متراً، ويلي ذلك الطيف الأخضر والذي يتم امتصاصه بالكامل على عمق مائة متر في المتوسط، ويستمر الطيف الأزرق بعد ذلك ليتم امتصاصه على عمق يزيد قليلاً على المائتي متر، ولذلك يبدو ماء البحار والمحيطات باللون الأزرق لتشتت هذا الطيف من أطياف الضوء الأبيض في المائتي متر العليا من تلك الكتل المائية.

وبذلك فإن معظم موجات الضوء المرئي تمتص على عمق مائة متر تقريباً من مستوى سطح الماء في البحار والمحيطات، ويستمر ١٪ منها إلى عمق ١٥٠

متراً، و١٠,٠ ٪ إلى عمق ٢٠٠ متر في الماء الصافي الخالي من العوالق.

وعلى الرغم من السرعة الفائقة للضوء (حوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية في الفراغ، وحوالي (٢٢٥,٠٠٠) كيلومتر في الثانية في الأوساط المائية)، فإنه لا يستطيع أن يستمر في ماء البحار والمحيطات لعمق يزيد على الألف متر، فبعد مائتي متر من أسطح تلك الأوساط المائية يبدأ الإظلام شبه الكامل حيث لا ينفذ بعد هذا العمق سوى أقل من ١٠,٠٪ من ضوء الشمس، ويظل هذا القدر الضئيل من الضوء المرئي يتعرض للانكسار والتشتت والامتصاص حتى يتلاشى تماماً على عمق لا يكاد يصل إلى كيلومتر واحد تحت مستوى سطح البحر. حيث لا يبقى من أشعة الشمس الساقطة على ذلك السطح سوى واحد من عشرة تريليون جزء منها، ولما كان متوسط أعماق المحيطات يقدر بنحو ٣٧٩٥ متراً، وأن أقصاها عمقاً يتجاوز الأحد عشر كيلومتراً بقليل (١١,٤٣٠ متراً) وبين هذين الحدين تتراوح أعماق البحار والمحيطات بين أربعة وخمسة كيلومترات في المتوسط، وبين ثمانية وعشرة كيلومترات في أكثرها عمقاً. فإن معنى ذلك أن أعماق تلك المحيطات تغرق في ظلام دامس.

**(٣) الأمواج الداخلية هي سبب الظلمة الثالثة فوق قيعان كل من البحار العميقة والمحيطات:**

بالإضافة إلى تحلل الضوء الأبيض عند مروره في ماء البحار والمحيطات فإن السبب الرئيس في إحداث الإظلام التام فوق قيعان البحار اللجية (أي الغزيرة الماء لعمقها حتى لا يكاد يدرك لها قاع، والمتلاطمة الأمواج لقول العرب: التج البحر أي: تلاطمت أمواجه) هي الأمواج الداخلية في تلك البحار العميقة وغير المتجانسة.

وتتكون هذه الأمواج الداخلية بين كتل الماء ذات الكثافات المختلفة، وتختلف كثافة الماء في البحار العميقة والمحيطات باختلاف كل من درجة حرارته، ونسبة الأملاح المذابة فيه، وتتمايز كتل الماء في تلك المسطحات

المائية الكبيرة اختلافاً أفقياً بتمايز مناطقها المناخية، ورأسياً بتمايز كثافتها. وتتحرك التيارات المائية أفقياً بين مساحات شاسعة من خطوط العرض فتكتسب صفات طبيعية جديدة من درجات الحرارة والملوحة بسبب تغير معدلات التسخين أو التبريد، ومعدلات البخر أو سقوط الأمطار، مما يضطرها إلى التحرك رأسياً كذلك.

وتمايز الماء في البحار العميقة والمحيطات تمايزاً رأسياً إلى كتل سطحية، وكتل متوسطة العمق، وكتل عميقة شبه قطبية، وكتل شديدة العمق حول قطبية، ولا يتمايز الماء إلى تلك الكتل إلا في البحار شديدة العمق، ومن هنا فإن الأمواج الداخلية لا تتكون إلا في مثل تلك البحار العميقة، ومن هنا أيضاً كان التحديد القرآني بالوصف «بحر لجي» إعجازاً غير مسبوق.

وتتكون الأمواج الداخلية عند الحدود الفاصلة بين كل كتلتين مائيتين مختلفتين في الكثافة، وهي أمواج ذات أطوال وارتفاعات تفوق أطوال وارتفاعات الأمواج السطحية بمعدلات كبيرة، حيث تتراوح أطوالها بين عشرات ومئات الكيلومترات، وتصل سعتها (أي ارتفاع الموجة) إلى مائتي متر، وتتحرك بسرعات تتراوح بين ٥٠ و١٠٠ سنتيمتر في الثانية لمدد تتراوح بين أربع دقائق وخمس وعشرين ساعة.

وعلى الرغم من ذلك فهي أمواج لا يمكن رؤيتها بطريقة مباشرة، وإن أمكن إدراك حركتها بأجهزة ميكانيكية وذلك بواسطة عدد من القياسات للاضطرابات التي تحدثها تلك الأمواج الداخلية، وهذا أيضاً مما يجعل الإشارة القرآنية إليها إعجازاً لا ينكره إلا جاحد.

ويبدأ تكون الأمواج الداخلية على عمق٤٠ متراً تقريباً من مستوى سطح الماء في المحيطات حيث تبدأ صفات الماء فجأة في التغير من حيث كثافتها ودرجة حرارتها، وقد تتكرر على أعماق أخرى كلما تكرر التباين بين كتل الماء في الكثافة، وعجز الإنسان في زمن الوحي ولقرون متطاولة من بعده عن الغوص

إلى هذا العمق الذي يحتاج إلى أجهزة مساعدة خاصة مما يقطع بإعجاز علمي في هذه الآية الكريمة بإشارتها إلى تلك الأمواج الداخلية، وهي أمواج لم يدركها الإنسان إلا في مطلع القرن العشرين (سنة ١٩٠٤م).

ومن فوق هذه الأمواج الداخلية تأتي الأمواج السطحية وما يصاحبها من العواصف البحرية والتي يحركها كل من الرياح والجاذبية والهزات الأرضية، ودوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق، وحركات المد والجزر الناتجة عن جاذبية كل من الشمس والقمر، وغير ذلك من العوامل المعروفة وغير المعروفة. وهذه الأمواج السطحية هي أحد العوائق أمام مرور كل أشعة الشمس الساقطة على أسطح البحار والمحيطات، في مائها والوصول إلى أعماقها، ولذلك فهي أحد أسباب ظلمة تلك الأعماق، بالإضافة إلى تحلل تلك الأشعة إلى أطيافها وامتصاصها بالتدريج في الماء.

ومن فوق هذه الأمواج السطحية تأتي السحب التي تمتص وتشتت وترد إلى صفحة السماء حوالي ٤٩٪ من مجموع أشعة الشمس الواصلة إلى نطاق التغييرات المناخية فتحدث قدراً من الظلمة النسبية التي تحتاجها الحياة على سطح الأرض.

فسبحان الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والآية الكريمة جاءت في مقام التشبيه، ولكنها على الرغم من ذلك جاءت في صياغة علمية دقيقة غاية الدقة، ومحكمة غاية الإحكام، شأن كل الآيات القرآنية، ونزلت هذه الآية الكريمة في زمن لم يكن لأحد من الناس إلمام بتلك الحقائق العلمية ولا بطرف منها، وظلت أجيال الناس جاهلة بها لقرون متطاولة بعد زمن الوحي حتى تم الإلمام بشيء منها في مطلع القرن العشرين.

ومع افتراض أن أحداً من الناس قد أدرك في القديم دور السحب في إحداث شيء من الظلمة على الأرض، ودور الأمواج السطحية في إحداث شيء

من ذلك على قيعان البحار والمحيطات (وهو افتراض مستبعد جداً) فإن من أوضح جوانب الإعجاز العلمي (أي: السبق العلمي) في هذه الآية الكريمة هو تلك الإشارة المبهرة إلى الأمواج الداخلية (Internal Waves) وهي أمواج لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة أبداً، ولكن يمكن إدراكها بعدد من القياسات غير المباشرة.

ومن جوانب السبق العلمي في هذه الآية الكريمة أيضاً الإشارة إلى الحقيقة المعنوية الكبرى التي تصفها الآية بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثم تفاجئنا البحوث العلمية أخيراً بواقع مادي ملموس لتلك الحقيقة بالإضافة إلى مضمونها المعنوي الجميل، فقد كان العلماء إلى عهد قريب جداً لا يتصورون إمكانية وجود حياة في أغوار المحيطات العميقة، أولاً للظلمة التامة فيها، وثانياً للبرودة الشديدة لمائها، وثالثاً للضغوط الهائلة الواقعة عليها (وزن عمود الماء بسمك يصل إلى أربعة كيلومترات في المتوسط)، ورابعاً للملوحة المرتفعة أحياناً لذلك الماء، ولكن بعد تطوير غواصات خاصة لدراسة تلك الأعماق فوجئ دارسو الأحياء البحرية بوجود بلايين الكائنات الحية التي تنتشر في تلك الظلمة الحالكة وقد زودها خالقها بوسائل إنارة ذاتية في صميم بنائها الجسدي تعرف باسم **الإنارة الحيوية** (**Bioluminescence**)، وتنتج هذه الإنارة العجيبة عن طريق تفاعل فريد من نوعه بين جزيء لمركب كيميائي عضوي اسمه ليوسيفيرين (Luciferin) وجزيء الأوكسجين في وجود إنزيم خاص اسمه ليوسيفيريز (Luciferase)، ويمثل هذا التفاعل الفريد عملية الأكسدة الوحيدة المعروفة لنا في أجساد الكائنات الحية التي لا يصاحبها إنتاج قدر مدرك من الحرارة. ومن العجيب أن كل نوع من أنواع هذه الأحياء الخاصة والتي تحيا في بيئات من الظلمة التامة له أنواع خاصة من المركبات الكيميائية المنتجة للضوء، وله إنزيماته الخاصة أيضاً، والسؤال الذي يفرض نفسه: من غير الله الخالق يمكنه أن يعطي كل نوع من أنواع تلك الأحياء البحرية العميقة، هذا النور الذاتي؟ وهنا

يتضح البعد المادي الملموس لهذا النص القرآني المعجز، كما يتضح بعده المعنوي الرفيع: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فسبحان الذي أنزل القرآن الكريم، أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه لنا بلغة وحيه (اللغة العربية) حفظاً كاملاً بكل حرف، وكل كلمة، وكل آية وكل سورة، فجاء ذلك كله معجزاً غاية الإعجاز.

* * *

## (٤) ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا...﴾ [النمل: ٦١]

هذا النص القرآني الكريم جاء في أوائل الثلث الأخير من سورة «النمل» وهي سورة مكية، وآياتها ثلاث وتسعون (٩٣) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود الإشارة في خُمسها الأول إلى النملة التي تعرفت على نبي الله سليمان عليه السلام وجنوده، وحذّرت رفاقها من إمكانية الدهس بواسطة هذا الجيش العظيم العدد وهم لا يشعرون، وطلبت من رفاقها الدخول إلى مساكنهم، وتبسم نبي الله سليمان عليه السلام ضاحكاً من قولها.

### من أقوال المفسرين في تفسير هذا النص الكريم:

ذكر ابن كثير ما نصه: «أي جعل بين المياه العذبة والمالحة (حاجزاً) أي مانعاً يمنعها من الاختلاط». وجاء في «صفوة البيان لمعاني القرآن» ما نصه: «برزخاً فاصلاً من الأرض بين العذب والملح، حتى لا يبغي أحدهما على الآخر». وذكر أصحاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ جزاهم الله خيراً ـ ما نصه: «وجعل بين الماء العذب والماء المالح فاصلاً يمنع امتزاج أحدهما بالآخر». وجاء في «صفوة التفاسير» ما نصه: «أي وجعل بين المياه العذبة والمالحة فاصلاً يمنعهما من الاختلاط لئلا يفسد ماء البحار المياه العذبة».

وواضح من هذا الاستعراض إجماع المفسرين ـ قدامى ومعاصرين ـ على

أن المقصود بالبحرين هنا هما النهر العذب الفرات، والبحر الملح الأجاج، ولكن قد يُقصد بالبحرين البحر المَلِح ونظيره الملح عندما يختلفان في صفاتهما الطبيعية والكيميائية وذلك في قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٠].

## مبررات تفسير لفظة (البحرين) المطلقة في القرآن الكريم بالبحرين الملحين (المالحين) من خلال آيات سورتي النمل والرحمن:

في كلٍ من الآية رقم (٦١) من سورة «النمل»، والآيتين رقم (١٩، ٢٠) من سورة الرحمٰن تفسر لفظة (البحرين) التي جاءت مطلقة في الحالتين بالبحرين الملحين، وذلك للمبررات التالية:

**أولاً**: أن لفظة (البحر) في اللغة العربية تطلق على كلٍ من البحر المالح، والبحر العذب (أي النهر)، ولكنها إذا أطلقت دون تقييد فإنها تدل على البحر المالح فقط، وإذا قيدت فإنها تدل على ما قيدت به، وقد جاءت لفظة (البحرين) مطلقة في الحالتين المذكورتين.

**ثانياً**: أورد القرآن الكريم لفظة (البحر) بالإطلاق في (٣٩) موضعاً، منها (٣٣) بالإفراد، و(٣) بالتثنية، و(٣) أخرى بصيغة الجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ [إبراهيم: ٣٢]

وفي المقابل نلاحظ أن القرآن الكريم أورد لفظة (البحر) بالتقييد المحدد مرتين فقط بصيغة التثنية يقول فيهما ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

(١) ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

(٢) ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

**ثالثاً**: في وصف لفظة (البحرين) المطلقة جاء في سورة الرحمٰن قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٢].

وكل من اللؤلؤ والمرجان لا يحيا إلا في الماء المالح وإن كانت بعض أصداف اللؤلؤ قد استزرعت صناعياً في الماء العذب، وعلى ذلك فإن جمع اللؤلؤ والمرجان معاً في الآية (رقم ٢٢) من سورة «الرحمن» يؤكد على أن المقصود بالبحرين هنا هما البحر الملح والبحر الملح، وهو أمر أكبر إعجازاً من التقاء النهر العذب بالبحر المالح، على أهمية ذلك العظمى وضرورته القصوى لاستقامة الحياة على سطح الأرض، وعلى ما فيه من إعجاز في الخلق يعجز البيان عن تصويره.

**رابعاً**: الإشارة القرآنية الكريمة إلى تعظيم الفاصل بين البحرين العذب والملح بكلٍ من البرزخ والحجر المحجور، وذلك لوجود الدلتا ومقدماتها، وما حولهما من حواجز ترسيبية، بالإضافة إلى الماء الوسطي بين العذب والملح (الماء المويلح أي قليل الملوحة) على حواف الماء العذب عند التقاء الماءين، ووجود الشحنات الكهربية المتشابهة والمتنافرة في أيونات الأملاح المذابة في الماء. وفي المقابل فإن الإشارة القرآنية إلى الفاصل بين البحرين ـ بغير تخصيص ـ بتعبير البرزخ فقط، أو الحاجز فقط، وهو الحاجز من الماء الوسطي بين ماءين مختلفين في صفاتهما الطبيعية والكيميائية، كالبحرين الملحين المختلفين أفقياً أو رأسياً وذلك لأن مثل هذا الحاجز لا يمنع تحرك الكائنات البحرية من كتلة مائية إلى كتلة مائية أخرى مجاورة إلا إذا تباينت الصفات بينهما تبايناً صارخاً، فهو لا يحجر الكائنات البحرية حجراً كاملاً، كما أنه يصعب إدراكه على غير المتخصصين حتى في زمن التقدم العلمي الذي نعيشه.

**خامساً**: ثبت أن التنوع بين كتل الماء المتجاورة أفقياً ورأسياً بين البحار المتجاورة، وفي داخل البحر الواحد من البحار العميقة والمحيطات هو ضرورة

من ضرورات التنوع البيئي في البحار الذي لولاه لتقلصت الحياة البحرية تقلصاً شديداً.

وتتجاور تلك الكتل المائية وتختلط دون امتزاج كامل على الرغم من محاولة التيارات والأمواج البحرية خلط كل كتلتين مائيتين متجاورتين بأنشطتها المختلفة، ولكن كل الذي يحققه ذلك هو تكوين حزام أو جبهة أو برزخ أو حاجز من ماء وسطي في صفاته، وفي كل حالة يعمل هذا البرزخ على إبقاء تلك الكتل المائية المتجاورة مفصولة فصلاً كاملاً عن بعضها البعض، وكأن كلاً منها عبارة عن بحر مستقل بذاته.

وتتباين الكتل المائية المتجاورة في صفاتها بين البحار المتجاورة وفي البحر الواحد ـ على الرغم من وجود كتل مائية متجانسة في صفاتها الطبيعية والكيميائية تغطي مساحات كبيرة من محيطات الأرض وبحارها الكبيرة ـ وذلك لأن قياس عدد من الصفات الطبيعية والكيميائية مثل كلٍ من درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، والكثافة، ونسبة الأوكسجين المذاب في الماء قد أثبتت وجود تباين ملحوظ في تلك الصفات من كتلة إلى أخرى ـ أي من بحر إلى آخر ـ وحتى في البحر الواحد، ومع تباين تلك الصفات تتباين التجمعات الحياتية في كل منها. كما تتباين أنواع الرسوبيات التي تترسب منها.

وهذه الحقيقة لم تدرك إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي أثناء رحلة باخرة الأبحاث البحرية البريطانية المسماة باسم رحلة التحدي (The Challenger Expedition)، والتي تمت في الفترة من ١٨٧٢م إلى ١٨٧٦م، وأثبتت أبحاثها أن الماء في بحار ومحيطات الأرض ينقسم إلى عدد من الكتل المتجاورة أفقياً ورأسياً. ولما كانت التغيرات الرأسية في صفات ماء البحار والمحيطات أسرع من التغيرات الأفقية، فإن التمايز الرأسي في صفات ماء البحار والمحيطات كان دائماً أوضح من تمايزه الأفقي، وعلى سبيل المثال فإن درجة حرارة الماء عند خط الاستواء تنخفض من ٢٥ درجة مئوية عند مستوى سطح البحر أو المحيط إلى ٥ درجات مئوية على عمق كيلومتر واحد، بينما لا تنخفض

أفقياً إلى نفس الدرجة إلا على بعد حوالي ٥٠٠٠ كيلومتر شمالاً أو جنوباً من خط الاستواء. وعلى الرغم من ذلك فإن التغيرات الأفقية في الصفات الطبيعية والكيميائية قائمة بالفعل، وبإضافتها إلى التغيرات الرأسية نلاحظ أن الكتل المائية في البحار والمحيطات تتغير صفاتها في الأبعاد المكانية الثلاثة، كما تتغير مع الفصول المناخية، ومع كلٍ من الليل والنهار ـ أي مع الزمن.

**طبيعة الحاجز بين البحرين:**

مع التغير في الصفات الطبيعية والكيميائية لكتل الماء المتجاورة فإنها تتحرك في الاتجاهات الرأسية والأفقية، وتختلط وتتداخل أحياناً دون امتزاج كامل، وتتبادل درجات الحرارة والملوحة إلا أنها تظل دائماً مفصولة عن بعضها البعض بحواجز غير مرئية بطريقة مباشرة على هيئة حدود من الماء ذي الطبيعة الوسطية.

وتمتد الكتل المائية في المحيطات والبحار المفتوحة لمسافات طويلة بمحاذاة خطوط العرض ـ أي في الاتجاه من الشرق إلى الغرب ـ ولكنها تتغير أفقياً بسرعة في الاتجاه المتعامد ـ أي من خط الاستواء شمالاً وجنوباً ـ ولذلك تتمايز إلى الكتل الاستوائية، والكتل المدارية والكتل شبه المدارية، والتي تجمع أحياناً تحت مسمى «**الكتل المائية في خطوط العرض الدنيا**» في مقابلة «**الكتل المائية في خطوط العرض العليا**»، والتي تمتد شمالاً وجنوباً حتى القطبين.

وتتباين الصفات الطبيعية والكيميائية للكتل المائية بتباين أوضاعها على سطح الكرة الأرضية، وبتباين مناسيبها من سطح البحر، وبتباين هذه الصفات تنقسم الكتل المائية بصفة عامة إلى ما يلي:

**أولاً: الكتل المائية السطحية:**

وتمتد من مستوى سطح الماء في البحار والمحيطات إلى أعماق تتراوح بين ٤٠٠ متر عند خط الاستواء و٩٠٠ متر عند خط عرض٣٠ شمالاً وجنوباً، عندما يبدأ الانخفاض الفجائي في المنحنى الحراري ـ أي: في درجات الحرارة ـ وإن

كان الحد الأسفل للنشاط السطحي للماء في البحار والمحيطات يوضع عادة بين ٢٠٠، ٣٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر، حيث يظهر تغير ملحوظ في كثافة الماء أو ما يعرف باسم «**منحنى الكثافة**»، وينقسم الماء السطحي في البحار والمحيطات إلى عدد من الكتل الكبرى التي منها:

(١) **الكتلة السطحية المتوسطة جغرافياً**: وتمتد بين خطي العرض ٣٥ ـ ٣٠ شمالاً وجنوباً، وتتراوح درجة حرارة الماء في هذه الكتلة من ٦ إلى ١٩ درجة مئوية، وتتراوح نسبة ملوحتها بين ٣,٤٪، ٣,٦٥٪، وتنقسم هذه الكتلة المائية الكبيرة إلى عدد من الكتل الأصغر التي لها نفس الكثافة تقريباً، ولكنها تختلف في بقية صفاتها الطبيعية، وذلك باختلاف مواقعها الجغرافية.

(٢) **كتل الماء السطحي في خطوط العرض العليا**: وتمتد في المناطق المناخية المعتدلة شمالاً وجنوباً، وتتميز بدرجات حرارة ونسبة ملوحة منخفضة عن الماء في الكتلة المتوسطة، وذلك لوجودها في مناطق باردة وغزيرة الأمطار.

(٣) **كتل الماء السطحي في المناطق القطبية وحول القطبية**: وتشمل المحيطين القطبيين الشمالي والجنوبي والمناطق المحيطة بهما، وأضخمها المنطقة حول القطب الجنوبي، ويمتد الماء السطحي فيها إلى أعماق تصل إلى ٣٥٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر، في درجات حرارة مئوية تبلغ الدرجتين، ونسبة ملوحة تتراوح بين ٣,٤٦٪ و٣,٤٧٪.

**ثانياً: كتل الماء متوسط العمق:**

وتمتد إلى عمق يصل إلى ١٥٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر، في تباين واضح لدرجات الحرارة ونسب الملوحة؛ وذلك نظراً لتحرك هذا الماء من مصادر سطحية مختلفة. وعلى ذلك يقسَّم هذا الماء إلى العديد من الكتل على أساس من صفاته الطبيعية والمصادر التي جاء منها.

وتوجد هذه الكتل المائية متوسطة العمق في كل أحواض المحيطات تقريباً،

خاصة في المنطقة حول القطب الجنوبي، ويتدفق منها الماء البارد، في اتجاه الشمال حتى يصل إلى خط عرض٢٠ درجة شمالاً في المحيط الأطلسي، وحتى خط عرض ١٠ درجات جنوب خط الاستواء في كلٍ من المحيطين الهندي والهادي، ويمتد هذا الماء البارد من القطب الشمالي إلى شمال كلٍ من المحيط الأطلسي والهادي متمركزاً في أجزائهما الغربية، وتزداد ملوحته نسبياً بسبب تجمد الماء وتحرك الركازة الملحية إلى تلك المناطق.

**ثالثاً: كتل الماء العميق:**

وأوضح نموذج لها يوجد في الجزء الشمالي الغربي من المحيط الأطلسي، حيث يتكون هذا الماء من اختلاط ماء شديد الملوحة مندفع بواسطة تيار خليج فلوريدا، والماء القادم من المنطقة شبه المتجمدة الشمالية، وهو ماء شديد البرودة خاصة في فصل الشتاء، وتسمى هذه الكتلة المائية باسم «**كتلة ماء المحيط الأطلسي العميقة**»، وهي تملأ قاع هذا المحيط إلى خط عرض٣٠ درجة شمالاً، ولكنها كلما اتجهت جنوباً تتطابق بين كتلتي الماء متوسط العمق وشديد العمق لطفوها فوق ماء القطب الجنوبي البارد العالي الكثافة والملوحة، وتبقى كل كتلتين من تلك الكتل المائية المتجاورة رأسياً وأفقياً محتفظة بصفاتها الطبيعية والكيميائية وسط أطر من الماء المتوسط الصفات بينهما، وينتج هذا الماء الوسطي عن الاختلاط الجزئي بينهما، وذلك بفعل التيارات والأمواج البحرية التي تعمل على خلطهما خلطاً جزئياً.

وتبلغ درجة حرارة كتل هذا الماء العميق في قاع المحيط الأطلسي حوالي ثلاث درجات مئوية، ولا توجد كتل عميقة من الماء في كلٍ من المحيطين الهندي والهادي، باستثناء بعض الجيوب الصغيرة في كلٍ منهما.

**رابعاً: كتل الماء شديدة العمق:**

وتنتشر أساساً فوق قاع المحيط القطبي الجنوبي، ويعتبر ماؤها أعلى ماء الأرض كثافة، ويتركز حول القارة القطبية الجنوبية، ويتحرك هذا الماء الشديد

البرودة والملوحة والكثافة من هناك شمالاً إلى قيعان المحيطات الرئيسة الثلاثة ـ الهادي، والهندي، والأطلسي ـ حتى يصل إلى خط العرض ٣٠ درجة شمالاً.

وهذه الكتل من ماء قاع القطب الجنوبي تتكون أساساً من تجمد الماء بكميات كبيرة فوق الرصيف القاري تاركاً وراءه كميات مهولة من الركازات الملحية التي تندفع عبر منحدرات الجرف القاري لتختلط مع أقدار مساوية تقريباً من كتل الماء السطحي حول القطب الجنوبي، فينشأ هذا الماء الذي يتميز ببرودة شديدة، وكثافة مائية عالية، ونسبة ملوحة عالية نسبياً (في حدود ٣,٤٧٪).

من ذلك الاستعراض يتضح أن الماء في جميع البحار المفتوحة والمحيطات يترتب أفقياً ورأسياً في كتل متمايزة مفصولة بماء وسطي يفصل كل كتلتين عن بعضهما البعض كأن كل واحدة منهما بحر مستقل بذاته، وذلك على الرغم من نشاط كلٍ من الأمواج والتيارات البحرية. وتبدأ هذه الكتل المائية عند مستوى سطح البحر في المناطق ذات خطوط العرض العليا، وتمتد إلى الأعماق بالتدريج حتى تصل إلى قاع المحيط في المناطق الاستوائية، ويبقى الترتيب الأفقي لتلك الكتل المائية حسب مناطقها المناخية يعكس الترتيب الرأسي في المنطقة الواحدة حسب العمق بصفة عامة.

والماء يتحرك أفقياً في البحار والمحيطات بفعل الرياح والتيارات البحرية، وبكلٍ من الأمواج السطحية والداخلية، ويتحرك رأسياً بازدياد الكثافة أو نقصها الناتج عن الاختلاف في أي من درجات الحرارة أو نسبة الأملاح المذابة أو فيهما معاً نتيجة لتعرض الماء السطحي للبخر أو للأمطار، أو تعرض الماء العميق للأنشطة البركانية فوق قيعان البحار والمحيطات، أو لشيء من الاختلاف في نسبة الأملاح المذابة بالاختلاط مع غيره من كتل الماء، وإذا زادت كثافة الماء فإنه يتحرك من أعلى إلى أسفل، وإذا قلت فإنه يتحرك بالعكس من أسفل إلى أعلى.

وقد ثبت بدراسة النظائر المشعة أن اختلاط كتلتين من الماء فوق قاع المحيط الهادي يحتاج في المتوسط إلى فترة زمنية بين الألف والألف وستمائة

سنة، وإلى نصف هذه المدة تقريباً في كلٍ من المحيطين الهندي والأطلسي، ولذلك فإن ماء المحيط الهادي يمثل أقدم ماء المحيطات على الإطلاق. وعلى العكس من ذلك فإن الماء السطحي لا يكاد يبقى في مكانه لأكثر من ١٠ إلى ٢٠ سنة، ولذلك يمثل أحدث ماء المحيطات عمراً.

**التمايز بين ماء البحار شبه المغلقة والمفتوحة:**

ويظهر التمايز بين كتل الماء المتجاورة أكثر ما يظهر بين البحار شبه المغلقة والمحيطات، وذلك مثل البحر الأبيض المتوسط عند اتصاله بالمحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق، والبحر الأحمر عند اتصاله مع خليج عدن عبر باب المندب، والخليج العربي عند اتصاله مع خليج عمان عبر مضيق هرمز، والبحر الأسود عند اتصاله ببحر إيجه عبر مضيق البوسفور (الدردنيل).

فالماء في البحر الأبيض المتوسط تزداد ملوحته بالتدريج؛ لأن مجموع ما يتبخر منه سنوياً يبلغ ثلاثة أضعاف ما يسقط عليه من مطر، وما يفيض إليه من ماء الأنهار خاصة بعد إتمام مشروع السد العالي في سنة ١٩٧٠م، ويعوض ذلك بتيار ماء سطحي من المحيط الأطلسي يدخل عبر مضيق جبل طارق بمحاذاة السواحل الشمالية للقارة الإفريقية، ثم يتحرك شرقاً في عكس اتجاه عقارب الساعة مكوناً الثمانين متراً العليا من الماء في البحر الأبيض المتوسط ليجدد ماءه باستمرار، وكذلك يتلقى البحر الأبيض المتوسط تياراً سطحياً متواضعاً من البحر الأسود عبر مضيق الدردنيل.

ومع ازدياد البخر في الصيف تزداد نسبة الأملاح في الماء السطحي للبحر الأبيض المتوسط فتزداد كثافته ويهبط إلى القاع، ومع الرياح الباردة التي تهب عليه في الشتاء يبرد الماء السطحي في هذا البحر فتزداد كثافته أيضاً ويهبط إلى القاع، ويفيض هذا الماء العميق البارد، ذو الملوحة النسبية والكثافة العاليتين عبر مضيق جبل طارق ليفيض من فوق كتلة الصخر المكونة للمضيق منحدراً بشدة إلى أعماق الجزء الشرقي من المحيط الأطلسي على هيئة لسان من الماء عالي الكثافة

والملوحة يمكن إدراكه على عمق ألف متر تقريباً ممتداً لآلاف الكيلومترات غرباً.

وكل كتلة من هذه الكتل المائية الداخلة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأبيض المتوسط، والخارجة من ذلك البحر إلى المحيط، والكائنة في الأجزاء المختلفة من كلٍ منهما تختلط بالكتل الأخرى، ولا تمتزج بها امتزاجاً كاملاً، وذلك بتكون نطق من ماء ذي طبيعة وسطية بين كل كتلتين متجاورتين.

وكذلك الحال بالنسبة للبحر الأحمر، وهو بحر طولي عميق، يبلغ طوله حوالي الألفي كيلومتر، ويتراوح عرضه بين ١٤٥كم و٣٠٦كم، وتقدر مساحته بحوالي ٤٣٨,٠٠٠ كيلومتر مربع، ويصل عمقه إلى٢٩٢٠ متراً، وماؤه دافئ، عالي الملوحة؛ لأن متوسط البخر من هذا البحر يقدر بحوالي٢٠٠ سنتيمتر في السنة تقريباً.

وينقسم هذا البحر الطولي إلى غور خسيف شديد العمق في وسط حوض محوري عميق يحيط به رصيف قاري ضحل نسبياً، يتدرج في العمق باتجاه المحور المركزي بواسطة سلسلة من الصدوع السُلَّمية.

والماء في عمق هذا البحر ـ في الخمسين متراً السفلي منه ـ تتراوح درجة حرارته بين الخمسين والمائة درجة مئوية، وتبلغ ملوحته ثمانية أضعاف متوسط ملوحة البحار والمحيطات ـ أي حوالي ٢٧,٢٪.

ويندفع الماء الدافئ المالح الكثيف نسبياً من البحر الأحمر إلى خليج عدن عبر باب المندب، فينساب تحت ماء المحيط الهندي على عمق ثمانمائة متر تقريباً تحت مستوى سطح البحر، ويندفع تيار مائي معاكس من خليج عدن إلى داخل البحر الأحمر يحمل إليه ماءً أقل كثافة وحرارة وملوحة، وأعلى في الأوكسجين المذاب.

وبالنسبة للخليج العربي فإن ماءه الدافئ المالح يندفع كذلك إلى خليج عمان عبر مضيق هرمز ويتم إدراكه على عمق ثلاثمائة متر تقريباً تحت سطح الماء

في الجزء الشمالي من المحيط الهندي، ويندفع تيار معاكس من خليج عمان إلى الخليج العربي.

وفي هذه الحالات الثلاث وأمثالها يتكون بين كل كتلتين مائيتين متجاورتين حزام من ماء ذي طبيعة وسطية يعرف باسم «**الماء المختلط**» أو «**الجبهة المائية الفاصلة بين كتلتين متجاورتين**»، ويتحرك هذا الحزام بهيئة رأسية أولاً ليفصل بين الكتلتين المائيتين المتجاورتين أفقياً، ثم ينحني بالتدريج حتى يصير في وضع مائل ثم أفقي ليفصل بين كتلتين مائيتين تعلو إحداهما الأخرى.

وهذه الجبهة عبَّر عنها القرآن الكريم بتعبير «**البرزخ**» مرة، وبتعبير «**الحاجز**» في الآية الكريمة التي نحن بصددها، وهو حاجز حقيقي وإن كان لا يُرى بطريقة مباشرة؛ لأنه يفصل بين الكتلتين المائيتين المتجاورتين فصلاً كاملاً على الرغم من نشاط التيارات والأمواج البحرية التي تعمل على خلط أنواع الماء المتباينة في صفاتها مع بعضها البعض، وبذلك يتكون هذا الحاجز الذي يزداد سعة أو ينقص حتى يتلاشى ليتكون من جديد بين كتلتين مائيتين أخريين.

وتبدو كتل الماء المتجاورة في البحر الواحد متجانسة، ولكن بالتحليل الكيميائي الدقيق، وبالتصوير من الفضاء بواسطة الأشعة تحت الحمراء يتضح تمايزها إلى كتل متجاورة مفصولة فصلاً كاملاً بحواجز غير مرئية، تحول دون امتزاج كامل لتلك الكتل المتجاورة من الماء أفقياً أو رأسياً.

فسبحان الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق: ﴿.... وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا.....﴾ [النمل: ٦١]. وهي حقيقة لم يدركها العلم المكتسب إلا في صورة بدائية جداً، وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (١٨٧٢ - ١٨٧٦م)، ولم تتم بلورتها وقبولها من العلماء المتخصصين إلا في منتصف الأربعينيات من القرن العشرين.

* * *

**(٥) ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]**

هذه الحقيقة الكونية جاء ذكرها بهذا النص القرآني الكريم في ختام الآية الخامسة من سورة «الحج»، وهي سورة مدنية، ومجموع آياتها ثمان وسبعون.

**من أقوال المفسرين في تفسير النص القرآني الكريم:**

ذكر ابن كثير ـ يرحمه الله ـ ما نصه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة، وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء. وقال قتادة: غبراء متهشمة، وقال السدي: ميتة. ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾: أي فإذا أنزل الله عليها المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها، (وربت) أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من ثمار وزروع، وأشتات النبات في اختلاف ألوانها وطعومها، وروائحها وأشكالها ومنافعها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ أي حسن المنظر، طيب الريح.

- وجاء في تفسير الجلالين ما نصه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي يابسة، ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت، ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت، ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾، ﴿مِن﴾ زائدة، ﴿كُلِّ زَوْجٍۭ﴾ صنف، ﴿بَهِيجٍ﴾ حسن.

- وذكر صاحب الظلال ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ما نصه: والهمود درجة بين الحياة والموت، وهكذا تكون الأرض قبل الماء، وهو العنصر الأصيل في الحياة والأحياء، فإذا نزل عليها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ وهي حركة عجيبة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز وهي تتشرب الماء، وتنتفخ فتربو، ثم تتفتح بالحياة عن النبات من كل زوج بهيج، وهل أبهج من الحياة وهي

تتفتح بعد الكمون، وتنتفض بعد الهمود؟ وهكذا يتحدث القرآن عن القرابة بين أبناء الحياة جميعاً، فيسلكهم في آية واحدة من آياته، وإنها للفتة عجيبة إلى هذه القرابة الوثيقة، وإنها لدليل على وحدة عنصر الحياة، وعلى وحدة الإرادة الدافعة لها هنا وهناك في الأرض والنبات والحيوان والإنسان.

**الدلالة العلمية للنص القرآني الكريم:**

ترد لفظة «الأرض» في القرآن الكريم بثلاثة معان محددة تُفهم من سياق الآية القرآنية، وهي إما الكوكب ككل، أو الغلاف الصخري المكون لكتل القارات التي نحيا عليها، أو قطاع التربة الذي يغطي صخور ذلك الغلاف الصخري للأرض. وواضح الأمر أن المقصود بالأرض في النص القرآني الذي نتعامل معه هنا هو قطاع التربة الذي يحمل الكساء الخضري للأرض، والذي يهتز ويربو بسقوط الماء عليه.

**أولاً: قطاع التربة الأرضية:**

تتكون تربة الأرض بواسطة التحلل الكيميائي والحيوي لصخورها، كما تتكون نتيجة تفكك تلك الصخور بواسطة عوامل التعرية المختلفة التي تؤدي في النهاية إلى تكون غطاء رقيق لصخور الغلاف الصخري للأرض من فتات وبسيس الصخور على هيئة حطام مفروط يعرف باسم عادم الصخور.

وعلى ذلك فإن تربة الأرض تمثل الطبقة الرقيقة من عادم الصخور الناتج عن تحلل أجزاء من الغلاف الصخري للأرض، والذي يغطي صخور ذلك الغلاف في كثير من الأحوال، سواء كان ناتجاً عن تحللها مباشرة، أو منقولاً إليها ليغطيها. والتربة بذلك تمثل الحلقة الوسطى بين الغلاف الصخري للأرض وكلاً من غلافيها الهوائي والمائي، ولذلك فهي خليط من المعادن التي تفككت من صخور الأرض بفعل عوامل التعرية المختلفة، ومن المركبات العضوية وغير العضوية الناتجة عن التفاعل والصراع بين تلك النطق الثلاث من نطق الأرض، أو المتبقية عن الكائنات الحية التي تعمر قطاع التربة، وهي كثيرة مثل البكتيريا،

والطحالب، والفطريات، والنباتات بمختلف هيئاتها ومراتبها. فالتربة هي مصدر كل الغذاء والماء لحياة النباتات الأرضية؛ لأنها وسط تتراكم فيه بقايا كلٍ من العمليات الأرضية، والسلاسل الغذائية، والتي تتحلل بواسطة الكائنات الدقيقة التي تزخر بها التربة، والتي تجهز بنشاطاتها كل العناصر اللازمة لنمو النباتات الأرضية.

وتتكون التربة الأرضية أساساً من معادن الصلصال، والرمال، وأكاسيد الحديد، وكربونات كلٍ من الكالسيوم والمغنسيوم. وبالإضافة إلى التركيب الكيميائي والمعدني لتربة الأرض، فإن حجم حبيباتها ونسيجها الداخلي له دور مهم في تصنيفها إلى أنواع عديدة، وتقسم التربة حسب حجم حبيباتها إلى: التربة الصلصالية، والطميية، والرملية، والحصوية، وأكثر أنواع التربة انتشاراً هي خليط من تلك الأحجام.

ويقسم قطاع التربة من سطح الأرض إلى الداخل إلى النطق الأربع التالية:

(١) **نطاق السطح الأرضي**: وهو غني بالمواد العضوية، مثل أوراق الأشجار وفتات زهورها، وثمارها، وأخشابها، وتزداد فيها نسبة المواد الدبالية (Humus) أي العضوية المتحللة من أعلى إلى أسفل.

(٢) **نطاق التربة العليا**: وتتكون أساساً من فتات المعادن الخشن نسبياً، ولكنها تزخر بالنشاط العضوي، مما يزيد من محتواها في المواد الدبالية، والتي تصل إلى٣٠٪ من مكوناتها في بعض الحالات.

(٣) **نطاق ما تحت التربة العليا**: وهو نطاق يتجمع فيه كثير من العناصر والمركبات التي تحملها المياه الهابطة من السطح إلى أسفل من النطاقين العلويين، ولذا يعرف باسم «**نطاق التجمع**»، ومع كثرة هبوط حبيبات الصلصال الدقيقة من النطاقين العلويين إلى نطاق ما تحت التربة أو نطاق التجمع هذا، فإنه يحتفظ بالماء الهابط إليه من سطح الأرض.

(٤) **نطاق الغلاف الصخري للأرض**: ويكون عادة متأثراً ببعض عمليات التجوية.

وهذه النطق لا تتمايز بهذا الوضوح إلا بعد تمام نضج قطاع التربة، فكثيراً ما تتكدس كلها في نطاق واحد.

وتمثل مجموعة النباتات الدقيقة ـ مثل البكتيريا، والفطريات، والطحالب ـ أهم أنواع الحياة في تربة الأرض، وتشكل البكتيريا أغلبها (نحو ٩٠٪). وتنقسم بكتيريا التربة إلى ذاتية التغذية، وغير ذاتية التغذية، ومن الصنف الأول بكتيريا العقد الجذرية، وقد أعطاها الله ـ تعالى ـ القدرة على تثبيت غاز النيتروجين وتحويله إلى مركبات نيتروجينية مهمة في التربة، ولذا تعرف باسم «**بكتيريا النيتروجين**»، وهناك «**بكتيريا الإيدروجين**»، و«**بكتيريا الكبريت**»، و«**بكتيريا الحديد**» وغيرها، وهي تلعب دوراً مهماً في تزويد التربة بالأغذية المناسبة للنباتات الأرضية، واستكمالاً لهذا الدور المهم، فإن البكتيريا غير ذاتية التغذية تقوم بتكسير المواد العضوية المعقدة ـ مثل المواد السيليولوزية والكربوهيدراتية، والبروتينية والدهنية ـ وتحويلها إلى مواد يستطيع النبات الاستفادة بها.

### ثانياً: كيف تربو الأرض بإنزال الماء عليها؟

يتكون جزيء الماء من اتحاد ذرة أكسجين واحدة مع ذرتي إيدروجين برابطة قوية لايسهل فكها، وترتبط هذه الذرات مع بعضها البعض بشكل زاوٍ، له قطبية كهربية واضحة؛ لأن كلاً من ذرتي الإيدروجين يحمل شحنة موجبة نسبية، وذرة الأكسجين تحمل شحنة سالبة نسبية، مما يجعل جزيء الماء غير تام التعادل كهربياً، وإلى هذه القطبية الكهربية تعود صفات الماء المميزة له مثل قدرته الفائقة على الإذابة، وعلى التوتر السطحي، وشدة تلاصق جزيئاته، مما يجعل له القدرة على التسلق (الخاصية الشعرية)، وعلى التكور في هيئة قطرات، وعدم امتزاج محاليله امتزاجاً كاملاً. والماء بهذه الصفات الطبيعية المميزة إذا نزل على تربة الأرض أدى إلى إثارتها كهربياً، مما يجعلها تهتز وتتنفس ويزداد حجمها، فتربو وتزداد؛ وذلك لأن تربة الأرض تتكون في غالبيتها من المعادن الصلصالية التي يؤدي تميؤها إلى اهتزاز مكونات التربة، وزيادة حجمها، وارتفاعها إلى أعلى

حتى ترق رقة شديدة فتنشق مفسحة طريقاً سهلاً آمناً لسويقة (ريشة) النبتة الطرية الندية المنبثقة من داخل البذرة النابتة المدفونة بالتربة.

**ومن أسباب اهتزاز التربة وانتفاشها وربوها ما يلي:**

(١) تتكون التربة ـ أساساً ـ من المعادن الصلصالية، ومن صفات تلك المعادن أنها تتشبع بالتميؤ ـ أي بامتصاص الماء ـ مما يؤدي إلى زيادة حجمها زيادة ملحوظة، فيؤدي ذلك إلى اهتزازها بشدة وانتفاضها، فتؤدي إلى اهتزاز التربة بمجرد نزول الماء عليها.

(٢) تتكون المعادن الصلصالية من رقائق من أكاسيد السيليكون والألومنيوم تفصلها مسافات بينية مملوءة بجزيئات الماء والغازات، وعند التسخين تطرد هذه الجزيئات، فتنكمش تلك الرقائق بطرد هذه الجزيئات البينية، وعند إضافة الماء إليها تنتفض، وتهتز وتربو نتيجة لملء المسافات البينية الفاصلة لرقائق المعدن بالمياه.

(٣) نظراً لدقة حجم الحبيبات الصلصالية، (والتي لا يتعدى طول قطرها واحداً على ٢٥٦ من المليمتر أي أقل من ٠,٠٠٤ ـ من المليمتر)، وهي المكون الرئيس لتربة الأرض، فان اختلاط الماء بتلك التربة يحولها إلى الحالة الغروية، وهي حالة تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة، وبأقدار غير متساوية في كل الاتجاهات، وعلى كل المستويات في حركة دائبة تعرف باسم الحركة البراونية ـ نسبة إلى مكتشفها ـ وهي من عوامل اهتزاز التربة بشدة وانتفاضها، وكلما كان الماء المختلط بالتربة وفيراً باعد بين حبيبات التربة لمسافات أكبر، وزاد من سرعة حركتها.

(٤) تتكون المعادن الصلصالية ـ أساساً ـ من سيليكات الألومنيوم المميأة، وهذا المركب الكيميائي له قدرة على إحلال بعض ذرات الألومنيوم بذرات قواعد أخرى ـ مثل المغنيسيوم والكالسيوم ـ وكنتيجة لإحلال ذرات الألومنيوم بذرات غيرها من العناصر ترتبط بعض الأيونات الموجبة الشحنة ـ مثل

الصوديوم والكالسيوم ـ على حواف وأسطح رقاقات الصلصال لمعادلة الشحنات السالبة الناتجة عن إحلال ذرة الألومنيوم الثلاثية التكافؤ بذرة الكالسيوم أو المغنيسيوم الثنائية التكافؤ. والأيونات الموجبة ـ مثل أيونات الصوديوم والكالسيوم ـ سهلة الإحلال بقواعد أخرى، مما يحدث اهتزازاً عنيفاً في مكونات رقائق الصلصال في وجود جزيء الماء القطبي الكهربية.

(٥) إن العمليات المعقدة التي كونت تربة الأرض عبر ملايين السنين أثرتها بالعديد من العناصر والمركبات الكيميائية اللازمة لحياة النباتات الأرضية، كما أن الكائنات الحية الدقيقة والكبيرة التي أسكنها الله تعالى تربة الأرض لعبت ـ ولا تزال تلعب ـ دوراً هاماً في إثرائها بالمركبات العضوية وغير العضوية، وعند نزول جزيئات الماء ذات القطبية الكهربية، وإذابتها لمكونات التربة، فإن ذلك يؤدي إلى تأين تلك المكونات، وإلى تنافر الشحنات المتشابهة على أسطح رقائق الصلصال وفي محاليل المياه، مما يؤدي إلى انتفاض تلك الرقائق واهتزازها بشدة.

(٦) يحمل كل من الرياح، والطيور، والحشرات، والكائنات الدقيقة إلى التربة بذور العديد من النباتات، خاصة مما يسمى بالبذور المجنحة، والأبواغ والجراثيم، وحبوب اللقاح التي تحملها الرياح لمسافاتٍ بعيدة، وعندما ينزل الماء على التربة الأرضية، وتستقي منه تلك البقايا النباتية القابلة للإنبات ـ مثل البذور ـ فتنشط أجنتها، وتتغذى على المواد المذابة في مياه التربة فإنها تنمو، وتندفع جذورها إلى أسفل، مكونة المجموعات الجذرية لتلك النباتات، وتندفع سويقاتها إلى أعلى، مسببة اهتزازات لمكونات التربة.

(٧) مع ازدياد هطول الماء على التربة تنتعش كل صور الحياة فيها من البكتيريا، والفطريات، والطحالب، وغيرها، كما تغلظ المجموعات الجذرية للنباتات القائمة على سطح الأرض، ويؤدي النشاط الحيوي لكل من هذه الكائنات إلى زيادة حجم التربة، وإلى زيادة الأنشطة الكيميائية والفيزيائية فيها، مما

يؤدي إلى انتفاض مكوناتها واهتزازها، وربوها، وكثرة الإنبات فيها، وقد صورت هذه المراحل بالتصوير البطيء وأثبتت الصور صدق القرآن الكريم في كل ما أشار إليه في هذه القضية.

❊ ❊ ❊

**(٦) ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]**

هذه الآيات القرآنية الثلاث جاءت في أواخر النصف الأول من سورة «الطارق»، وهي سورة مكية، وآياتها سبع عشرة (١٧) بعد البسملة، وقد سميت بهذا الاسم لورود القسم في مطلعها بـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن المقصود بالطارق هو النجم الراديوي من مثل النجوم النيوترونية النابضة، وأشباه النجوم، وكل واحد من هذين النوعين من أجرام السماء يطلق كمية هائلة من الأشعات الراديوية التي تطرق صفحة الغلاف الغازي للأرض بطرقات متلاحقة تشبه صوت ضربات الطارق على الباب، وتثقب صمت هذا الغلاف الغازي بنبضاتها السريعة المترددة. وكل من النجوم النيوترونية وأشباه النجوم من مراحل احتضار النجوم وانكدارها التي لم تكتشف إلا في الستينيات من القرن العشرين (١٩٦٣م بالنسبة لأشباه النجوم، ١٩٦٨م بالنسبة للنجوم النيوترونية النابضة). وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلى هذه الطوارق (النجوم الراديوية) من قبل ألف وأربعمائة سنة لهو بحق من الشهادات الناطقة بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ.

**من الدلالات العلمية للآيات القرآنية الثلاث:**

**أولاً: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾:**

جاءت الإشارة إلى خلق الإنسان في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم منها:

(١) خلقه **من تراب** (آل عمران: ٥٩، الحج: ٥، الروم: ٢٠، فاطر: ١١، غافر: ٦٧، الكهف: ٣٧).

(٢) خلقه **من طين** (الأنعام: ٢، السجدة: ٧، الأعراف: ١١، ١٢، الإسراء: ٦١، صٓ: ٧١ ـ ٧٦)،

(٣) خلقه **من سلالة من طين** (المؤمنون: ١٢ ـ ١٤).

(٤) خلقه **من طين لازب** (الصافات: ١١).

(٥) خلقه **من صلصال من حمأ مسنون** (الحجر: ٢٦ ـ ٣٣).

(٦) خلقه **من صلصال كالفخار** (الرحمٰن: ١٤).

(٧) خلقه **من الأرض** (طه: ٥٥، النجم: ٣٣، نوح: ١٧، ١٨، هود: ٦١).

(٨) خلقه **من ماء مهين** (المرسلات: ٢٠).

(٩) خلقه **من ماء دافق** (الطارق: ٦).

(١٠) خلقه **من الماء** (الفرقان: ٥٤).

(١١) خلقه **من نطفة** (النحل: ٤، النجم: ٤٥ ـ ٤٧، القيامة: ٣٧ ـ ٤٠، عبس: ١٧ ـ ١٩).

(١٢) خلقه **من علق** (العلق: ١، ٢).

(١٣) خلقه **من النفس أو الأنفس** (النساء: ١، الأعراف: ١٨٩، الروم: ٢١، الزمر: ٦، لقمان: ٢٨).

وهذه كلها مراحل في الخلق من لدن أبينا آدم ﷺ إلى آخر إنسان، وهي مراحل يتمم بعضها بعضاً، وتشهد لله الخالق ﷻ بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وإحكام الخلق، ولذلك قال ـ تعالى ـ:

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

وهذه المراحل تؤكد في نفس الوقت حقارة نشأة الإنسان الأولى التي لا تزول عنه إلا بالارتباط الصادق بخالقه وعبادته بما أمر، وبالقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بحسن عمارتها وإقامة عدل الله فيها.

وتذكير الإنسان بحقارة نشأته الأولى لجام فطري لغروره واستعلائه ومحاولاته لتجاوز حدوده، بحكم أنه مخلوق ذو إرادة حرة.

وفي تذكير الإنسان بحقارة نشأته الأولى بهذا التفصيل الذي فصله الله تعالى لنا في محكم كتابه، حد من نزغات الشيطان التي تسول للإنسان أحياناً حب الخروج عن حقيقة الخلق والدينونة لله الخالق بالغرق في أوحال الادعاء بالخلق العشوائي كما نادت به فكرة التطور العضوي، أو الشرود بالخيال الجامح كتصور أبوين لآدم ﷺ دون أدنى حجة منطقية. وقضية الخلق بأبعادها الثلاثة: خلق الكون، خلق الحياة، وخلق الإنسان من القضايا الغيبية التي إذا دخلها الإنسان بغير هداية ربانية من القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة فإنه يدخل نفقاً مظلماً لا يخرج منه أبداً مهما كان بيديه من الشواهد الحسية ولذلك قال ربنا ـ جلّ شأنه ـ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

ولذلك أيضاً فصَّل القرآن مراحل خلق الإنسان في أكثر من مائة آية قرآنية، وأمرنا في هذه السورة المباركة بالنظر في مِمَّ خلقنا، وفسره بالماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب، وفسره في مقام آخر بالماء المهين حتى لا يركب الغرور أحداً من المخلوقين.

**ثانياً: في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾:**

في الوقت الذي ساد الاعتقاد بأن الجنين يتخلق من دم الحيض فقط، أو من ماء الرجل فقط، نزل القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مقرراً أن الإنسان ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده: «أن يهودياً مر برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه، فقالت قريش: يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي. فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي، فقال: يا محمد! مم يخلق الإنسان؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا يهودي من كل يخلق، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة**»(١).

ولم تعرف هذه النطف إلا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين، حين علم دورها في تخلق الإنسان.

ومن الواضح أن كلًّا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة قد مايز بين نطف التكاثر والماء الذي يحملها، فيقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه عن الإنسان: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠].

وفي الحديث الشريف جاء قول رسولنا ﷺ: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء**»(٢).

من ذلك كله يتضح أن الماء الدافق الذي يخلق منه الإنسان يقصد به ماء كل من الرجل والمرأة، وسمي دافقاً لأن كلًّا منهما يخرج من مصدره متدفقاً. فماء الرجل يخرج من غدتيه التناسليتين (أي من خصيتيه) وهما الغدتان المسئولتان عن تخلق النطف (الحيوانات المنوية أو الحيامن) وعن إفراز هرمونات الذكورة، وهما في الرجل يوجدان خارج الجسم في كيس الصفن وذلك لأن حرارة الجسم

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

(٢) أخرجه مسلم.

العالية (٣٧ درجة مئوية في المتوسط) لا تسمح بتخلق النطف. والخصية غدة بيضية الشكل، مكونة من مجموعة من الفصوص التي يصل عددها إلى الأربعمائة، وفي كل واحد منها ثلاثة أنابيب منوية دقيقة وملتفة على ذاتها، يبلغ طول كل منها حوالي نصف متر مما يصل بطولها الإجمالي إلى أكثر من خمسمائة متر، وهي مكدسة في حيز لا يزيد على ٦٠ مليمتراً مكعباً. وفي هذه القنوات تتولد النطف وتفرز هرمونات الذكورة، وبتقلصات كل من جدار الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني مع تقلصات عدد من عضلات الجهاز التناسلي بأمر من الجهازين العصبيين الودي واللاودي يندفع السائل المنوي عبر الإحليل، وهو يحوي في كل دفقة أكثر من مائتي مليون حيمن (حيوان منوي)، لا يصل منها إلى البييضة إلا بضع مئات قليلة، ويهلك أغلبها في طريقه إليها ولا يلقحها إلا حيوان منوي واحد. وهذا الاختيار لا يتحكم فيه إلا إرادة الخالق ﷻ من لحظة اختيار الزوجين، إلى لحظة الإخصاب لبييضة محددة بحيوان منوي محدد، يحمل كل منهما صفات محددة قدرها الخالق ﷻ سلفاً بعلمه وحكمته وقدرته.

أما ماء المرأة فهو الماء المحيط بالبييضة في داخل حويصلتها المعروفة باسم «حويصلة جراف»، فإذا انفجرت الحويصلة تدفق هذا الماء ليدفع بالبييضة إلى بوق قناة الرحم التي تعرف أيضاً باسم «قناة فالوب» حيث تلتقي بالحيمن المقسوم لإخصابها وتكوين النطفة الأمشاج.

والغدتان التناسليتان في المرأة هما المبيضان القابعان في حوضها في حفرتين صغيرتين كل واحدة منهما على جانب من جانبي الحوض، وكل مبيض عبارة عن غدة شبه مستديرة (في حدود ٢٥مم$^{3}$) تقع بالقرب من بوق قناة الرحم، ومثبتة في موضعها بعدد من الأربطة، وكل مبيض يتكون من نسيج ليفي غني بأوعيته الدموية يعرف باسم «سداة المبيض»، ويحيط بهذه السداة عدد من الحويصلات المبيضية المعروفة باسم «حويصلات جراف»، تحتوي كل منها على بييضة واحدة محاطة بكمية من الماء الأصفر، وعدد البييضات في مبيض الأنثى يتراوح بين أربعمائة ألف وستة بلايين بييضة، لا يبقى منها عند سن البلوغ سوى

بضعة آلاف قليلة، تنمو منها حويصلة واحدة في كل شهر طوال الفترة التناسلية للأنثى من سن البلوغ إلى سن اليأس بمجموع لا يتعدى الأربعمائة ببيضة على طول هذا العمر. وأكثر من ٥٠٪ من عمليات الإخصاب تسقط قبل أن تعلم المرأة أنها قد حملت، ولا يستمر إلى نهاية فترة الحمل أكثر من حوالي ٢٢٪ من حالات الإخصاب، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: «**إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكاً فقال: يارب مخلقة أم غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دماً**»(١).

ويقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وماء المرأة الدافق يخرج مرة واحدة في كل شهر من الحويصلة الحافظة له عندما يدفع المبيض بتلك الحويصلة من حافته إلى بوق قناة الرحم فتنفجر عند تمام نضجها، ويندفع ماؤها الأصفر اللون متدفقاً بالبييضة إلى داخل قناة الرحم تماماً كما يتدفق ماء الرجل بالحيامن، فكلاهما ماء دافق كما قررت الآية السادسة من سورة «الطارق»، وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان ﷺ: «**... ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر**»(٢).

وهذا الماء الدافق عند المرأة يختلف عن سوائل المهبل، وهي سوائل لزجة، تسيل ولا تتدفق، تفرزها مجموعة من الغدد المتصلة بالمهبل وهي سوائل مطهرة للجهاز التناسلي للأنثى ولا دخل لها بتكوين الجنين.

وقد سألت إحدى النساء المسلمات (واسمها أم سليم) رسول الله ﷺ قائلة: يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال ﷺ: «**نعم إذا رأت الماء**»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) صحيح الإمام مسلم.

(٣) أخرجه كل من الإمامين البخاري ومسلم.

وعلى ذلك فإن في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عن الإنسان: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ سبق علمي للمعارف المكتسبة بأكثر من ثلاثة عشر قرناً، ولا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق ﷻ.

**ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾**

تتكون الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة (الخصيتان والمبيضان) مما يعرف باسم الحدبة التناسلية والتي تقع بين صلب الجنين (أي عظام ظهره الفقارية أو عموده الفقاري)، وترائبه (أي عظام صدره أو ضلوعه) وتنزل الخصيتان بالتدريج حتى تصلا إلى خارج الجسم (كيس الصفن) في أواخر الشهر السابع من عمر الحميل. وينزل المبيضان إلى حوض المرأة في نفس الفترة تقريباً، ويبقيان في داخل الحوض. وتبقى تغذية تلك الغدد التناسلية الذكرية والأنثوية بالدم والسوائل اللمفاوية والأعصاب من مركزي نشأتها من موقع الحدبة التناسلية بين الصلب والترائب طيلة حياة أصحابها، ومن هنا تأتي ومضات الإعجاز العلمي في هذه الآيات الثلاث التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾. في التأكيد على خلق الإنسان من مائي الرجل والمرأة، وأن كلًّا من المائين يخرج دافقاً مندفعاً، وأن كليهما يخرج من بين الصلب والترائب لنشأة الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة من نفس هذا الموقع، واستمرار تغذيتها طيلة حياتها بالدماء والسوائل الليمفاوية والأعصاب من الموقع ذاته، مما يجعل هذا الماء يخرج فعلاً من بين الصلب والترائب.

ورحم الله فضيلة الإمام الشيخ أحمد مصطفى المراغي الذي أدرك ببصيرته هذا السبق القرآني المعجز فكتب في تفسيره الصادر من قبل سبعين سنة تعليقاً على هذه الآيات جاء فيه ما يلي:

«وإذا رجعنا إلى علم الأجنة وجدنا في منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة ما يفسر لنا هذه الآيات التي حيَّرت الألباب، وذهب فيها المفسرون مذاهب شتى

على قدر ما أوتي كل منهم من علم... ذاك أنه في الأسبوع السابع من حياة الجنين في الرحم ينشأ فيه ما يسمى «جسم وولف» وقناته على كل جانب من جانبي العمود الفقري. ومن جزء من هذا تنشأ الكلى وبعض الجهاز البولي... ومن جزء آخر تنشأ الخصية في الرجل والمبيض في المرأة».

فكل من الخصية والمبيض في بدء تكوينهما يجاور الكلى ويقع بين الصلب والترائب، أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً... ومقابل أسفل الضلوع. ومما يفسر لنا ذلك أن الخصية والمبيض يعتمدان في نموهما على الشريان الذي يمدهما بالدم... وهو يتفرع من الشريان الأورطي في مكان يقابل مستوى الكلى الذي يقع بين الصلب والترائب، ويعتمدان على الأعصاب التي تمد كلًّا منهما... وتتصل بالضفيرة الأورطية ثم بالعصب الصدري العاشر وهو يخرج من النخاع من بين الضلع العاشر والحادي عشر... وكل هذه الأشياء تأخذ موضعها في الجسم فيما بين الصلب والترائب. فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتهما وفي إمدادهما بالدم الشرياني.. وفي ضبط شئونهما بالأعصاب، قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب، فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به كلام رب العالمين، ولم يكشفه العلم إلا حديثاً بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول ذلك الكتاب العزيز....

* * *

**ثانياً: من آيات الإعجاز التشريعي:**

(١) ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ **[المائدة: ٣٨]**

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في بدايات الربع الثاني من سورة «المائدة»، وهي سورة مدنية، وآياتها مائة وعشرون (١٢٠) بعد البسملة.

ونستعرض هنا جانباً من جوانب الإعجاز التشريعي في حد السرقة الذي تجرأ عليه كثير من المتغربين باستهجانه، واعتباره حداً موسوماً بالقسوة التي تنتهي بالمجتمع إلى عدد من المعوقين العاجزين عن العمل أو الإنتاج الذين لا بد أن يحيوا عالة على مجتمعاتهم. ولذلك تجرأ هؤلاء المتغربون على الله ـ تعالى ـ بالمطالبة بإلغاء هذا الحد، حتى تم لهم ذلك في غالبية المجتمعات المسلمة بدعوى التحضر ومسايرة العصر، وهي حجة مدحوضة، وإنكار لأمر من أوامر الله معلوم من الدين بالضرورة، ومنكر المعلوم من الدين بالضرورة يخرج نفسه من الملة، وعلى المترخصين في هذا الحد الإلٰهي أن يعلموا ألا رخصة لهم فيه، وأن الله ـ تعالى ـ هو أحكم الحاكمين، وهو خير الحاكمين، وهو ﷻ أعلم بعباده وبما يصلح لهم من دراية العباد بأنفسهم.

والحد هو عقاب على جريمة، والجريمة لا توقف إلا بالعقاب الرادع، لأن العقاب لا يكون عقاباً ولا يكون رادعاً إذا اتصف بالرخاوة والضعف، ولولا أن الله ـ تعالى ـ قد حد الحدود، وأنزل العقوبات الرادعة لفسدت الأرض، وعمتها الفوضى، وضاعت منها نعمة الأمن والأمان، ونهبت الحقوق، وانتهكت الحرمات، وتعطلت مصالح الناس بالكامل.

من أجل ذلك حاربت شريعة الإسلام الجريمة والمجرمين، والإفساد في الأرض والمفسدين، وحرمت العدوان على الآمنين، وشرعت من أجل ذلك الشرائع الرادعة للمعتدين الذين ينشرون الخوف والفزع في ربوع الأرض، ويحرمون أهلها من نعمة الأمن، وكان من ذلك حد السرقة، لأن اللصوص لو تركوا دون عقاب رادع لعم إفسادهم، واستطارت شرورهم، وكثر تخريبهم واعتداءاتهم، ونشروا الخوف والفزع بين الناس، وربنا ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

وعلى ذلك فإن العقوبات في الإسلام ـ ومنها حد السرقة ـ لم تشرع لظلم الناس أو لإذلالهم، وإنما شرعت ردعاً للمعتدين، وزجراً لهم على اعتداءاتهم،

وعبرة للمعتبرين وعظة لهم، وتذكرة للمتذكرين حتى لا يقعوا فيما وقع فيه المعتدون من جرائم، ودعوة للناس أجمعين للمحافظة على أمن مجتمعاتهم من الضياع، والأمن من أعظم نعم الله ـ تعالى ـ على عباده، فإذا فقدوه فقدوا كل شيء في حياتهم الدنيا.

والمعتدي إذا لم يجد من شرائع الله ما يمنعه من اعتدائه وعدوانه على غيره، فإنه يعيث في الأرض فساداً، ويزيد في طغيانه على الآمنين من قومه، وفي إفزاعه لهم، مما يقضي على أمنهم واستقرارهم، وسلامتهم، وينشر بينهم الخوف والفزع والرعب والضياع والاضطراب، وهي من الأمور المهلكة للمجتمعات الإنسانية، والمضيعة لطاقات أبنائها وإبداعاتهم، والمتسببة في انهيار تلك المجتمعات وخرابها بالكامل. من هنا كان على المسلمين ـ حكاماً ومحكومين ـ النزول عند أوامر رب العالمين، والالتزام بحدوده، وإقامة شرعه في كل أمر من الأمور خاصة في محاربة الجريمة والمجرمين كي يتحقق للمجتمعات الإنسانية ما تصبوا إليه من أمن وأمان، وحتى تصان حقوق العباد ومصالحهم من عبث العابثين واستهتار المستهترين، وطمع الطامعين وجشعهم من أصحاب النفوس المريضة.

### من الإعجاز التشريعي في حد السرقة:

تعرف السرقة بأنها أخذ مال الغير المحرز خفية، والسرقة نوعان:

(١) سرقة بالقوة، وتحت تهديد للسلاح (**الحرابة**) عقوبتها حد شرعه الله ـ تعالى ـ وتعرف باسم السرقة الكبرى.

(٢) وسرقة بدون تهديد، تعرف باسم **السرقة الصغرى** وعقوبتها التعزير أو القطع، ومنها الاختلاس، والخطف، والنهب، والغصب الذي لا يصل إلى حد الحرابة. والتعزير يشمل: النصيحة، والزجر والتوبيخ، والجلد والسجن، ويحدد ذلك بما يتناسب وحجم الجريمة.

وحد **السرقة الصغرى** هو قطع اليد اليمنى إلى الرسغ، فإذا عاد إلى السرقة

كان القطع في الرجل اليسرى إلى الكعب، وللفقهاء عند تكرر السرقة بعد ذلك تفاصيل لا يتسع المقام لعرضها.

وحد **السرقة الكبرى** (الحرابة) فصّله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ويستحيل تطبيق حد السرقة حتى يتوافر لكل فرد في المجتمع كل الضروريات اللازمة لحفظ حياته من الطعام والشراب واللباس والمسكن، إما عن طريق العمل ـ الذي تهيئه له الدولة وتيسره له ـ ما دام قادراً عليه ـ، فإذا عجز عن العمل جزئياً أو كلياً، عجزاً مؤقتاً أو دائماً، أو إذا كان كسبه من عمله لا يكفيه لسد ضروريات الحياة، فإن الإسلام العظيم يجعل له الحق في استكمال تلك الضروريات من النفقة التي تفرض له شرعاً على القادرين من أهله، أو من أهل محلته، أو من بيت مال المسلمين كأحد مستحقي الزكاة، فإن لم تكف الزكاة كان للدولة المسلمة الحق في فرض الضرائب على القادرين في المجتمع من أجل سد حاجة المحرومين وتحقيق الكفاية لهم، في غير ضرر ولا ضرار، وهذه المسؤولية من قبل الذين يملكون في المجتمع تجاه الذين لا يملكون تمنع الأحقاد والضغائن والمطامع والرغبة في سلب ما في أيدي الآخرين، وتحد من الجريمة لأن المجتمع يكفل لكل محتاج كفايته، ولا يدعه نهباً للشيطان، ووساوسه.

ورعاية من يملكون لمن لا يملكون توجد تياراً من التآخي، والتعاطف، والحب، والود، والرضا بإرادة الله ـ تعالى ـ في توزيع الأرزاق مما يحول دون وقوع الجرائم بصفة عامة، وجرائم السرقة بصفة خاصة. هذا بالإضافة، إلى أن الإسلام العظيم يعمل دوماً على الارتقاء بالإنسان في معراج الله، كما يعمل على تربيته التربية السليمة، وذلك بتأكيد الإنسان لذاته، وإحياء ضميره، ومراقبته لتصرفاته، وتنشئته على الالتزام بمكارم الأخلاق، وعلى الخوف من المساس

بحقوق الآخرين، مهما كانت الحاجة ملحة، والضرورة قاهرة، وما فرضت العبادات إلا تربية للنفس المسلمة وتطهيراً لها، وإشعاراً بمراقبة الله ـ تعالى ـ لها في كل وقت وفي كل حين.

ولما كان الإسلام العظيم، يحرص على ألا تقوم الملكية الفردية والجماعية إلا من حلال، كما يحرص على أداء حقوق الله من هذه الملكية بالزكوات والصدقات، فإن هذه الملكيات مهما تعاظمت لا تثير أحقاد الذين لا يملكون، ولا تدع للشيطان مجالاً في الوسوسة إليهم من أجل سرقتهم أو سلب شيء مما في أيديهم لأن الإسلام يضمن لهم الكفاية والعدل ولا يتركهم محرومين من أي من ضرورات الحياة. والإسلام الذي جعل من الإنسان مستخلفاً في الأرض، مطالباً بعمارتها، وإقامة عدل الله ـ تعالى ـ فيها يجعل العمل والكسب الحلال فريضة عليه، كما جعل زكاة هذا الكسب الحلال فريضة كذلك.

وفي ظل هذا النظام الإسلامي الذي يكرم الإنسان ويكفله، لا يسرق السارق لسد حاجته، إنما يسرق طمعاً في الثراء العاجل دون أدنى عمل، ودون أدنى مراعاة لحقوق الآخرين فيما اكتسبوه بجد واجتهاد، ولا أدنى تفكير فيما يمكن أن تصيبهم به السرقة من خسارة، وترويع، وفزع وحزن في مجتمع الإسلام، وهو مجتمع طمأنينة وسلام، وهو المجتمع الذي يجب أن يكسب كل فرد فيه رزقه من حلال، بلا أدنى شبهة، ولا خداع أو غش أو احتكار، أو جور على حقوق الآخرين، وهو المجتمع الذي يُخْرَج فيه حق الله من كل كسب حلال، ويؤمن أبناؤه بأن الرزق مقسوم سلفاً لكل فرد قبل أن يخرج إلى هذه الحياة الدنيا، ومجتمع هذا شأنه يصبح من حق كل فرد فيه أن يأمن على ماله الخاص وعلى كل ممتلكاته، ومن هنا كان التشديد الإلٰهي في الحكم على السارق المكفية حاجته، والذي لا عذر له للوقوع في حد من حدود الله، وهنا لا ينبغي لأحد أن يتوسط للرأفة بالجاني، من وقوع حد السرقة عليه متى ثبتت عليه الجريمة باعترافه أو بشهادة الشهود العدل، وثبتت التهمة عليه ثبوتاً لا شك فيه.

أما حين توجد شبهة من حاجة أو غيرها، فالأصل في الإسلام هو درء

الحدود بالشبهات، لذلك فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أوقف حد السرقة في عام **الرمادة** حين عمت المجاعة، وذلك انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: «**لا قطع أو وقف في مجاعة مضطر**»، كما أوقفه في حالة خاصة حين سرق غلمان لابن حاطب بن أبي بلتعة وذلك بعد أن تبين له أن سيدهم يجيعهم فدرأ عنهم الحد، وغرم سيدهم ضعف ثمن ما كانوا قد سرقوه تأديباً له، وتحذيراً لغيره من أصحاب الأموال الأشحاء البخلاء. وهكذا تُفْهَم حدود الشريعة الإسلامية التي يجب أن تؤخذ في ضوء التكامل الإسلامي الذي يتخذ كل أسباب الوقاية قبل تطبيق العقوبة، والذي يدرأ الحدود بالشبهات، فإذا ثبتت الجريمة كان العقاب عليها عقاباً رادعاً لا هوادة فيه ولا رحمة.

يقول صاحب «الظلال» ـ رحمه الله ـ مستشهداً بكتاب «التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي» ـ رحم الله كاتبه رحمة واسعة جزاء ما قدم ـ: «ولا بد أن يكون هذا المال محرزاً، وأن يأخذه السارق من حرزه، ويخرج به عنه.. فلا قطع مثلاً على المؤتمن على مال إذا سرقه، والخادم المأذون له بدخول البيت لا يقطع فيما يسرق لأنه ليس محرزاً منه، ولا على المستعير إذا جحد العارية، ولا على الثمار في الحقل حتى يؤويها الجرين[1]، ولا على المال خارج البيت أو خارج الصندوق المعد لصيانته.. وهكذا.. ولا بد أن يكون هذا المال المحرز للغير.. فلا قطع حين يسرق الشريك من مال شريكه لأن له فيه شراكة، فليس خالصاً للغير، والذي يسرق من بيت مال المسلمين لا يقطع لأن له نصيباً فيه فليس خالصاً للغير كذلك، والعقوبة في هذه الحالات هي التعزير فقط بالقدر المناسب لحجم الجريمة».

وفي تطبيق حد السرقة فإن الشبهة تدرأ الحد لقول رسول الله ﷺ: «**ادرؤوا الحدود بالشبهات**» فشبهة الجوع أو الحاجة، وشبهة الشراكة في المال، أو رجوع الجاني عن اعترافه إذا لم يكن هناك شهود، أو نكول الشهود عن شهادتهم، إذا

---

(١) الجرين: الموضع الذي يجمع فيه التمر إذا صُرم.

ارتدوا عنها، كل ذلك من الشبهات التي تدرأ الحد. فإذا زالت كل الشبهات، وثبتت جريمة السرقة ثبوتاً لا شك فيه وجب تطبيق الحد الشرعي بلا أدنى تردد، وذلك من أجل حماية المجتمع أفراداً وجماعات، وتطهيراً للمذنب من جريمة السرقة التي من دوافعها الرغبة في المال الحرام، والطمع في ثمرة عمل الغير. ولذلك حاربت الشريعة الإسلامية هذه الدوافع الشيطانية، بحرمان السارق من أدوات العمل والكسب وأولها يده، ثم إذا عاد إلى السرقة كانت رجله، لعل في هذه العقوبة، ما يردعه عن جريمته ويكون عبرة لغيره».

«والقوانين الوضعية التي جعلت الحبس عقوبة السارق، قد أخفقت في محاربة هذه الجريمة، لأن الحبس لا يحول بين السارق وبين العمل إلا لمدة محدودة هي مدة الحبس، بل إن من زعماء عصابات السرقة من يزاول إدارة سرقاته من محبسه بطرق شتى حتى لتربو مكاسبه الحرام في محبسه عليها وهو في خارج المحبس، هذا بالإضافة إلى أن هذا المجرم في محبسه مكفي الحاجات، لا حاجة له إلى العمل، فإذا خرج من محبسه استطاع العمل والكسب بالحرام من جديد، واستطاع خداع الناس وغشهم، بمحاولة الظهور أمامهم بمظهر الشرفاء وهو اللص الخسيس. أما عقوبة القطع فتحول بين السارق والعمل، أو تنقص من قدرته على ذلك، كما تحول دون إمكانية خداعه للناس والظهور بغير مظهره الحقيقي لأن آثار جريمته تلازمه في بدنه».

أما دعاوى المتغربين من أن عقوبة القطع تشوه المقطوعين وتزيد من أعداد العاطلين، وتصم الإسلام بالقسوة فكلها دعاوى باطلة لمخالفتها أوامر الله، وإغفالها مصلحة المجتمع، وإنكارها أن القطع عقوبة رادعة تمنع غالبية الناس من الوقوع في جريمة السرقة. والواقع يشهد أن هذه العقوبة لم تطبق في صدر الإسلام إلا في آحاد من الناس. وكذلك في المجتمعات المعاصرة التي تطبق شرع الله، فإن القطع لا يتم إلا في آحاد من الحالات في كل عام إن وجدت، وهذا وحده كاف لإبراز معجزة التشريع في حد السرقة.

* * *

**(٢) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]**

**ومن الدلالات العلمية والتشريعية لهذه الآية الكريمة ما يلي:**

**أولاً: التأكيد على أخطار الخمر:**

أثبتت الدراسات العلمية أن للخمر مخاطر عديدة منها ما يلي:

(١) **الذهاب بكلٍ من العقل والإرادة**: وهما من أعظم نعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان، وبذهابهما يأتي الإنسان بالكثير من التصرفات غير المسؤولة، فيفقد كرامته وإنسانيته لفقده القدرة على التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الصواب والخطأ، وبين اللائق وغير اللائق من الأفعال والأقوال والتصرفات، مما يفقده احترام الآخرين.

فالخمر تشل الحواس، وتجعل المخمور يترنح في مشيته، ويتقيأ بغير إرادته، وتضطرب حركاته، ويفقد انضباطه، فيهيج بعنف شديد حتى يبدو وكأنه أشد اندفاعاً، وأقل حياءً من طبيعته، لا يدري ما يقول، ولا يبالي بما يفعل، يكثر الثرثرة بما لا يفيد، أو يخمد خمود الموتى بعد أن كان كالبركان الثائر، وهذا مما يحط من قدر الإنسان، ويضيع مهابته وكرامته.

(٢) **الذهاب بالعافية والصحة البدنية**: نشرت إحدى المجلات الطبية البريطانية (Lancet, 1987) أن أكثر من مائتي ألف شخص يموتون في بريطانيا سنوياً بسبب الخمور؛ وذلك لما للخمور من أضرار بالغة على جسم الإنسان، منها: تسمم خلايا وأنسجة الجسد، وإعاقتها عن أداء وظائفها، وبالتالي إعاقة العديد من أجهزة الجسم وأعضائه عن القيام بوظائفها بالكفاءة المطلوبة، أو تعطيلها بالكامل عن أداء تلك الوظائف ابتداءً من الفم والمريء إلى المعدة والأمعاء، حيث تنتقل المسكرات إلى الدم ومنه إلى جميع أجزاء الجسم خاصة المخ، فيعطله تأثيرها المسكر تعطيلاً جزئياً أو كلياً.

فالجهاز العصبي في جسم الإنسان هو أكثر الأجهزة تأثراً بالخمور التي تقطع الشعيرات العصبية الواصلة بين خلاياه، وقد تؤدي إلى قتلها، وهي الخلايا الوحيدة في جسم الإنسان التي لم يثبت بعد إمكان تجددها.

والتهاب الأعصاب من أشد الأمراض إيلاماً للإنسان، وقد يؤدي إلى التهيج العصبي، والصرع، وإلى فقد بعض الحواس كالسمع والبصر والذاكرة التي يدمرها إدمان الخمر تدميراً كاملاً، وقد يؤدي كذلك إلى الارتعاش، والهذيان والأوهام، والقلق، والهوس، والهواجس، كما قد يؤدي إلى الشيخوخة المبكرة، أو الشلل، أو الجنون، وقد يقود المدمن إلى القتل، أو الانتحار، أو إلى الموت البطيء.

وبالنسبة إلى الجهاز الهضمي فإن الخمور تلهب كلًّا من: الفم، واللسان، والمريء، والمعدة، والأمعاء بما تحمل من الكحوليات والمواد المضافة، وأغلبها من السموم القاتلة، وتؤدي التهابات الجهاز الهضمي إلى تشققات اللثة والفم واللسان، مما قد ينتج عنه تدمير حاسة التذوق بضمور الحليمات التذوقية في اللسان، وإلى تغطيته بطلاوة بيضاء قد تكون مقدمة لإصابته بالسرطان، أو لإصابة الغدد النكفية بالالتهابات المؤلمة.

كذلك يؤدي إدمان الخمر إلى توسيع الأوعية الدموية بالغشاء المخاطي لكلٍ من المريء، والمعدة، والأمعاء، مما يعين على انتشار التقرحات بها، وإلى النزف، وإلى الإصابة بالسرطان.

وإدمان الخمر قد يؤدي كذلك إلى تلف كل من الكلى والكبد، وتدمير خلاياهما وأنسجتهما، وقد ينتهي الأمر بكبد المدمن إلى التشمع أو التشحم أو التليف، مما يتسبب في توقفه عن أداء وظائفه، وما يصاحب ذلك من اضطرابات وأمراض وآلام مبرحة.

وأخطر من ذلك كله ما ينتج عن إدمان الخمور من اضطرابات في القلب، واعتلال في عضلته وصماماته، وإلى تصلب الشرايين وضيقها، وإلى فقر الدم

واضطراب ضغوطه، مما قد يقعد المدمن عن العمل، ويفضي به إلى الموت. وفوق ذلك كله فإن الخمر تضعف أجهزة المناعة في الجسم، ومن ثم تضعف مقاومته للأمراض.

(٣) **تدمير النسل**: للكحوليات والمواد الملونة والحافظة للخمور أضرار بليغة على الغدد التناسلية في كلٍ من الرجال والنساء، مما يؤدي إلى اضطرابات غير محمودة العواقب فيها، منها الضعف الشديد، أو الهياج الجنسي الشديد، وما لذلك من مخاطره الأسرية والاجتماعية والسلوكية، وإشاعة الطلاق والفواحش والجرائم في المجتمعات، ومنها العجز والبرود الجنسي، ووصول المرأة إلى سن اليأس مبكراً بعد سلسلة من الاضطرابات الحيضية.

وللكحوليات المكونة للخمور آثار مدمرة على الشيفرة الوراثية وعلى الصبغيات الحاملة لها في الخلايا التناسلية بصفة خاصة، مما يؤدي إلى إنتاج نِطَاف مشوهة تؤدي إلى أجنة مشوهة، فيورث كلٌ من المدمن والمدمنة نسله شيفرة وراثية مدمرة بما تحمله من تشوهات قد تؤدي إلى التخلف العقلي، أو القصور الجسدي، أو الأمراض والعلل التي قد تفضي إلى الموت قبل الميلاد أو بعده، وإذا نجا الجنين من الموت، فإن الأعطاب في شيفرته الوراثية قد تستمر في نسله إلى العديد من الأجيال.

كذلك فإن الأم المدمنة للخمور تنقل مرض الإدمان إلى جنينها وهي حامل به عبر المشيمة، وأثناء إرضاعه بعد الميلاد عبر لبنها، وقد أشاع تجار الخمور أن تناولها بواسطة الأم المرضع يساعد على إدرار لبنها، ولكن ثبت بالتجربة بطلان هذا الزعم وأخطاره الصحية على كلٍ من الأم ورضيعها، فالرضيع الذي يتلقى كحوليات الخمور مع لبن أمه المدمنة يضطرب نومه، وتعنف حركاته، ومع تركز كميات من هذه الكحوليات في جسده قد يصاب بالإدمان قبل أن يفطم.

(٤) **إهدار الأموال**: ينفق على تصنيع وتسويق الخمر، وعلى الدعاية لترويجه

آلاف الملايين من الدولارات سنوياً في مختلف دول العالم، كما تنفق مئات الملايين من الدولارات على علاج المدمنين، والخسائر الاقتصادية الناجمة عن الإدمان من إهمال وتغيب عن العمل تقدر بمئات البلايين من الدولارات سنوياً، في الوقت الذي يتضور فيه من الجوع أكثر من نصف سكان الأرض، ولو وجهت هذه المليارات من الدولارات إلى إعمار الأرض ما بقي بها جائع.

(٥) **ازدياد معدلات الجرائم وحوادث الطرق:** يتضاعف أعداد معاقري الخمور في العالم بصورة مطردة، ومع هذا التضاعف تتفاقم معدلات الجريمة وعدد القتلى و العجزة من المصابين في حوادث الطرق، وجرائم الاغتصاب والسرقة بالإكراه، والطلاق، والعنف، والانتحار وغيرها.

وفي دراسة عن الولايات المتحدة الأمريكية جاء أن نصف جرائم الانتحار، و٣٤٪ من جرائم الاغتصاب، و٦٤٪ من حوادث السير المؤدية إلى الوفاة سببها إدمان الخمور، كما جاء بها أن ٩٣٪ من الأمريكيين يشربون الخمر، وأن أكثر من ١٠٪ منهم مدمنون إدماناً مرضياً كاملاً.

## ثانياً: التأكيد على أخطار الميسر:

(الميسر) هو القمار، بمعنى كسب المال أو خسارته بسهولة ويسر، وفي الميسر فساد للمال، وفساد للقلب، وإهدار للوقت، وضياع للعديد من الأخلاق والقيم. والمال وسيلة تقويم جهود وممتلكات الآخرين، فلا يجوز أن يكتسب إلا بإنتاجية حقيقية، ولا أن يضيع إلا بحق مشروع. والميسر هو أحد وسائل انتشار العداوة والبغضاء بين الناس، فالميسر عادة ما ينتهي إلى نزاع أو إلى انتشار الأحقاد والضغائن بين الناس أو إلى خراب البيوت، وإلى حسرة وندامة، وقد أغوى الشيطان الإنسان بالقمار منذ القدم، فوجدت آثار تدل عليه في كل الحضارات القديمة، وثبت أنه لا ينتهي إلا بالمعارك والسباب واللعان، وأنه يدفع بالناس إلى إهدار الوقت والتكاسل عن العمل والإنتاج، كما يشجع على

الخداع والمناورة، وعلى السرقة، وعلى غيرها من الجرائم. وكان القمار محرماً في دولة مثل إنجلترا حتى سنة ١٩٦٠م، وإن كان شياطين الإنس قد بدأوا في التشريع له منذ أوائل الخمسينيات حتى عمَّ شره مختلف أرجاء العالم، وأصبح مرضاً يصيب مقترفه بالإدمان، وأدى إلى خراب كثير من البيوت والمؤسسات، وإلى انتشار الجرائم بمختلف صورها.

**ثالثاً: التأكيد على خطر الشرك بالله:**

تشير كل الدراسات الفلكية إلى وحدة البناء في الكون مما يشهد بالوحدانية المطلقة للخالق ﷻ، وهذه الوحدة في البناء قائمة على الزوجية الكاملة في كل شيء ـ من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان ـ مما يشير إلى تفرد الخالق الواحد الأحد، الفرد الصمد بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

من هنا كان الشرك بالله من أشنع الجرائم التي يمكن أن يقترفها الإنسان، ولذلك وصفت الآية الكريمة التي نحن بصددها كلاً من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام على أنها رجس من عمل الشيطان، وأمرت باجتنابه إذا أراد الإنسان الفلاح في الدنيا والآخرة.

* * *

**(٣) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]**

## من الدلالات العلمية والتشريعية للآية الكريمة

### أولاً: من الأضرار الصحية للزنى:

تعتبر خلايا التناسل أثمن الخلايا في جسم الإنسان؛ لأنها تحمل المخزون الوراثي من لدن أبينا آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، ومن هنا كان واجب المحافظة عليها، وعدم التفريط فيها بوضعها في غير مواضعها الشرعية. ومن هنا أيضاً كانت إرادة الخالق ﷻ في جعل المناطق الجنسية من أكثر مناطق الجسد حساسية

وعرضة للأمراض إذا لم يحافظ عليها بعناية شديدة، ومن أخطر ما يصيبها الصلات غير المشروعة بكل صورها وأشكالها وهيئاتها، وما يتولد عنها من أمراض فتاكة تدمر الجسد تدميراً، ومن هنا كانت حكمة تحريم الزنى وجعله من الكبائر. **ومن الأمراض التي تنتشر بين الزناة ما يلي:**

**(١) مرض الزهري: (Venereal Disease):**

ويظهر على هيئة قروح جلدية خاصة في الأعضاء التناسلية وحولها، وفي الشفاه وبين الأصابع، وفي الأغشية المخاطية بالجسم، ويصاحب ذلك بآلام في المفاصل وبالصداع الشديد خاصة عند النساء اللائي يضطرب عندهن الحيض، ويتساقط الشعر من بقع متفرقة من الرأس والحاجبين، وبتشقق الأظافر. ويتطور هذا المرض ليصل إلى الأجهزة الداخلية بالجسم، مثل الكبد، والجهاز الهضمي، والعقد البلعمية فيلهبها ويؤدي إلى انتشار الأورام المدمرة للأنسجة، وإلى ظهور التدرنات الجلدية المختلفة، والتهابات كل من المفاصل والعضلات، وتشوه العظام، وتدمير الجهاز العصبي والمخ.

وقد يصاب المريض باليرقان والاستسقاء في البطن، وإلى عدد من الالتهابات في أماكن مختلفة من الجسم تنتهي بكوارث، مثل فقد البصر وغيره من الحواس، وتشوهات القلب والأوردة والشرايين التي قد تفضي بالمصاب إلى القبر بعد معاناة وآلام لا تطاق.

وقد تنتقل هذه الأمراض إلى النسل، فليس هناك احتمال لولادة طفل سليم من أم مصابة بمرض الزهري، أو من أب يحمل مسببات هذا المرض.

**(٢) مرض السيلان (Gonorrhea):**

ويصيب هذا المرض الجهاز البولي/ التناسلي بالتهابات شديدة تؤدي إلى إفراز قيح مخاطي مع البول، وقد تنتقل جرثومة المرض بلمس المريض أو لمس بعض ملابسه أو حاجياته.

وهذا المرض قد ينتهي بالمريض إلى العقم الكامل بعد سلسلة من الالتهابات

المؤلمة في الجهاز البولي/ التناسلي، وقد تنتقل هذه الالتهابات إلى بقية أجهزة الجسم، وتعاني المرأة المصابة بهذا المرض من مضاعفاته الجسدية والنفسية أضعاف أضعاف معاناة الرجل خاصة عندما تصل الإصابة إلى الجلد وتؤدي إلى تشوهات عديدة به، أو إلى العينين فتصيبهما بالعمى، أو إلى الأجنة في بطون الأمهات المصابات فيؤدي ذلك إلى تشوهات خلقية عديدة.

ومن أخطار هذا المرض كمونه، بمعنى عدم ظهور الأعراض الخارجية له مباشرة، وجراثيمه كامنة في داخل جسد المصاب ينقلها إلى غيره دون علمه.

**(٣) مرض الحلأ أو التقرحات الفيروسية (Herpes):**

ويعرف هذا المرض أيضاً باسم الحمى الحلئية Herpes virus، ويصيب الجهاز البولي/ التناسلي بالتهابات مصحوبة بنزول سوائل بيضاء أو صفراء كريهة الرائحة، تلطخ الملابس الداخلية للمصابين، وتؤدي إلى زحف البثور الناتجة عن هذه الالتهابات لتنتشر على الجلد وتتحول بالهرش إلى جروح شديدة الإيلام.

وفيروسات المرض تنتقل بالعدوى، ومن أخطارها أنها تهاجم الأعصاب وتتسبب في تدميرها، فإذا وصلت إلى النخاع الشوكي تسببت في التهاب السحايا، وإذا وصلت إلى المخ قد تؤدي إلى الموت، ولا يوجد لهذا المرض علاج ناجع إلى اليوم، حيث إن كل الأدوية المقترحة تخفف من الآلام الناتجة عنه فقط على المدى الطويل من التداوي دون القضاء تماماً على فيروسه الذي يظل كامناً بجسم المصاب، وقد يؤدي إلى سرطانات الجهاز البولي التناسلي/ مثل سرطانات الرحم، البروستاتا (الموثة) وغيرها.

ومن أخطار هذا المرض أنه سريع الانتقال بالعدوى من إنسان لآخر بشكل مباشر؛ لأنه لا يصيب إلا الإنسان، وإذا وصلت فيروساته (HSV1, HSV2) إلى الجلد فإنها تتكاثر بسرعة مذهلة. ومن أخطار هذا المرض أيضاً قدرة فيروساته على الاختباء داخلَ جسم المصاب، فلا يصلها تأثير

المضادات الحيوية بسهولة. وقد تصل هذه الڤيروسات إلى الأجنة في بطون الأمهات المصابات أثناء عبورها لمنطقة عنق الرحم، فيولد المولود فاقد البصر، أو مشوه الخلقة، أو مدمر المخ.

ومع الفوضى الجنسية التي تجتاح عالم اليوم خاصة بين المراهقين من الشبان والشابات تحت مسمى الحرية الشخصية، والتي ساعدت البحوث الطبية على استعارها بتوفير وسائل وأدوية منع الحمل، والسماح بالإجهاض في أغلب الدول غير المسلمة، مما شجع على ممارسة الجنس في سن مبكرة، فلا يكاد الشاب أو الشابة يصل إلى سن العشرين إلا ويكون قد أصيب بأحد الأمراض الجنسية التي استقرت في جسده أو جسدها من الأمراض الجنسية التي انتشرت مؤخراً كانتشار النار في الهشيم، والمصاب بها يدخل في دوامة من العلل الجسدية، ومن أبرزها العقم، وأمراض نقص المناعة والأورام السرطانية العديدة، والأمراض النفسية التي قد يصعب التخلص منها، ومن صورها القلق، والتوتر النفسي، والاضطراب السلوكي، والعوارض العصبية، والانهيارات النفسية، وغيرها.

**(٤) مرض القرح اللين:**

ويظهر على هيئة إصابات موضعية في الجلد والعقد البلعمية المجاورة خاصة في الأعضاء التناسلية، ويظهر على هيئة بثور صغيرة متعددة تتقرح بسرعة وتفرز مواد قيحية نتنة ودماء، وقد تمتد لتصيب مساحات كبيرة من الجلد فتسبب آلاماً مبرحة فيه، وقد تتطور هذه التقرحات إلى التليف والتشوه مما يحتاج أحياناً إلى التدخل الجراحي.

**(٥) أمراض النمو الحبيبي التقرحي:**

ويظهر على هيئة تقرحات حبيبية أو حويصلية تصيب مساحات كبيرة من الجلد وما تحته والأغشية المخاطية وما تحتها خاصة في الأعضاء التناسلية وما حولها إلى أعلى الفخذين وأسفل البطن، ويصاحب هذه التقرحات إفرازات

منتنة من الدماء والصديد، وعند التئام تلك القرح تترك وراءها تليفات وندباً كبيرة مُشَوِّهة للغاية يصعب علاجها حتى بالتدخل الجراحي.

(٦) **أمراض النمو البلعمي الالتهابي:**

ويظهر على هيئة حويصلة أو عدد من الحويصلات في جلد المناطق التناسلية يتجمع داخلها سوائل سرعان ما تتقيح وتتحول إلى تورمات مؤلمة ناتجة عن التهاب وتضخم الغدد البلعمية، ويكون التورم عادة في عقد متفردة تتجمع لتصبح كتلة واحدة تشكل خُرَّاجاً أو عدداً من الخُرَّاجات، تتحول إلى ناسور يفرز صديداً نتناً مختلطاً بالدم، ويصبح مركزاً للآلام الشديدة، وقد يتحول إلى تشوهات خلقية عديدة. ويصاحب هذا المرض عادة بشيء من ارتفاع درجة حرارة الجسم، والتعرق، والغثيان، والرغبة في التقيؤ، وآلام في الظهر والمفاصل، وانسداد في الشهية، ونقص في الوزن، وشعور بالانحلال العام في الجسم، خاصة إذا وصلت الالتهابات إلى السحايا الدماغية، أو تحولت إلى عدد من الأورام السرطانية.

(٧) **أمراض نقص المناعة (الإيدز):**

**[Acquired Immune Deficiency Syndrome (A.I.D.S)]:**

وهو أحدث وأخطر الأمراض التي تنتقل بواسطة العلاقات الجنسية المحرمة، ويسببه ما يعرف باسم فيروس نقص المناعة في الإنسان [Human Immunodeficiency Virus (H.I.V)]:

ويعرف بأنه فيروس انقلابي Retrovirus، وهو من مسببات العديد من الأمراض التي لم تكتشف إلا في سنة ١٩٨٣م. وهذا الفيروس الانقلابي لا يحيا إلا في سوائل الجسم ـ مثل الدم، والإفرازات التناسلية ـ وهو لا يستطيع العيش خارج جسم الإنسان لمدد طويلة؛ ولذلك فإنه لا ينتقل إلا بالممارسات الجنسية غير المشروعة، أو عن طريق نقل الدم.

ومن أخطار فيروس نقص المناعة كمونه داخلَ الجسم، وعدم ظهور أعراضه

إلا بعد فترات قد تطول إلى عشر سنوات، وإن كان بعض المرضى قد يموتون بعد شهور قليلة من بداية ظهور أعراض المرض عليهم.

ومن أخطار هذا الفيروس أنه يدمر الجهاز المناعي للجسم، ويدعه عرضة للإصابة بالأمراض، ويهاجم كلاً من الجهاز الهضمي، والتنفسي، والعصبي، كما يهاجم الأجنة في بطون أمهاتها المصابة بفيروس المرض، ويصيب المريض بالإسهال المزمن الذي يؤدي إلى جفاف الجسم وهزاله.

كما قد ينتقل المرض إلى الجهاز التنفسي فيصيبه بالتهابات عديدة تنتهي بالتدرن الرئوي (السل). ويتسبب مرض نقص المناعة في العديد من سرطانات الجلد وأمراضه، ويهاجم الجهاز العصبي المركزي مما قد يؤدي إلى أمراض عصبية ونفسية مختلفة، وقد يصل إلى المخ فيصيبه بالالتهابات والأورام التي تنتهي بالخرف أو الموت، هذا فضلاً عن الإصابة بالعقم عند الجنسين وبالآلام المبرحة في مختلف أجزاء الجسم.

ولا يوجد علاج حقيقي لهذا المرض، فالولايات المتحدة وحدها أنفقت (١١٨ بليون) دولار على مدى عشرين سنة في محاولة للوصول إلى مصل مضاد لفيروس نقص المناعة أو واقٍ للأجنة في أرحام الأمهات المصابات به دون جدوى، وتقدر منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بهذا المرض العضال في سنة ٢٠٠٠م بما يتراوح بين (٣٠ مليوناً) وَ (٤٠ مليون) فرد، وقد تضاعف هذا العدد في هذه الأيام أضعافاً كثيرة.

وبالإضافة إلى هذه الأمراض السبعة الخطيرة هناك أكثر من سبعين مرضاً وعارضاً مرضياً أُخَر تنقلها العلاقات الجنسية غير المشروعة، وأغلب هذه الأمراض تسببها فيروسات، وأنواع من البكتيريا، والفطريات، والطفيليات التي وهبها الخالق ﷻ القدرة على مقاومة المضادات الحيوية التي يمكن أن تعالج بواسطتها. وصدق الله العظيم إذ يقول في الفاسقين: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢١، ٢٢].

**ثانياً: الأضرار الأخلاقية لجريمة الزنى:**

تدمر جريمة الزنى كل الأخلاق في المجتمعات التي تنتشر فيها، فتغيب الفضائل، وتسود الفواحش، ويتلاشى الحياء، وينتهي الوفاء، وتنقلب الموازين، ويسود الفساد، ويمحى التراحم بين الناس الذين لا يتحاكمون إلا بالكذب والخيانة، والوقاحة والخديعة، والغدر والجريمة، ولا تسيرهم إلا شهواتهم الدونية، ورغباتهم الحيوانية، ونفوسهم الوضيعة، وأفكارهم الساقطة، وعقولهم المنحطة، وقلوبهم الميتة التي يتحكم فيها شياطين الإنس والجن تحكماً كاملاً شاملاً، ومجتمع هذا شأنه مآله إلى الدمار مهما طال به الأجل، وأفراده غارقون في بحار من التعاسة الفردية والجماعية تعجز الألفاظ عن تصويرها.

**ثالثاً: الأضرار الاجتماعية لجريمة الزنى:**

مع انتشار جريمة الزنى تتفكك العلاقات الأسرية، وتهون الأعراض، وتختلط الأنساب، وتشتعل العداوات، وتزداد الخلافات، ويكثر أبناء الحرام، ويتشردون بين الناس، وترتفع معدلات الجريمة، وتضيع الحقوق، وتكثر الأمراض النفسية والعضوية، وتنتشر بين الناس أسباب البغضاء والكراهية، وتتلاشى من قلوبهم الغيرة والحمية، وينمحي الإحساس بالعار والشعور بالذنب، فتكثر المعاصي وتنتشر، ويسود الشعور بالدونية، وتنتشر الأمراض النفسية والاجتماعية المختلفة، وما أتعس المجتمع الذي تنتشر فيه كل هذه الرذائل!

**رابعاً: الأضرار الاقتصادية لجريمة الزنى:**

لجريمة الزنى من الأضرار الاقتصادية على مستوى الأفراد والجماعات ما لا يكاد العقل أن يتصوره، وتكفي في ذلك الإشارة إلى ما ينفقه الزاني من أجل قضاء شهوته في الحرام، وأعداد المومسات ممن لا عمل لهن سوى الغرق في الرذائل والمعاصي في تصاعد مستمر، وهي طاقات معطلة في أي مجتمع تنتشر فيه هذه الجريمة، وتعتمد فيه العاهرات على دخلهن من الحرام.

كما تكفي الإشارة إلى ما تنفقه الدول في علاج المصابين بالأمراض

الجنسية، وعلى اللقطاء من أبناء الزنى، وعلى الأيتام والمقعدين الذين أنتجتهم هذه الجريمة، وهو عبء حقيقي على كواهل الدول الغنية، وتدمير حقيقي لاقتصاد الدول الفقيرة.

وتكفي الإشارة كذلك إلى أعداد المصابين بعاهات تقعد عن العمل ممن وقعوا فريسة للأمراض الجنسية، وهم كذلك عبء حقيقي على ميزانيات دولهم، وعلى دافعي الضرائب في مجتمعاتهم، وعلى ذويهم.

وتكفي الإشارة إلى ظاهرة المساكنة التي انتشرت في الغرب أخيراً بشكل ملحوظ، وفيها يتعايش الصديقان معايشة الزوجية الكاملة بغير أدنى رباط رسمي، وسرعان ما تنفض هذه العلاقة لأدنى الأسباب وأبسطها، بعد أن تكون قد خلفت من التبعات ما يثقل كاهل الدولة.

كما تكفي الإشارة إلى ظاهرة الأطفال الذين ترعاهم أم دون أب، أو أب دون أم، وأعدادهم في تزايد مستمر مع الأيام، وتكاليف إعاشتهم تثقل كاهل الدول الكبرى، وتؤدي إلى كوارث اقتصادية واجتماعية في دول العالم الثالث.

من هنا كانت روعة التشريع الإسلامي بتحريم مجرد الاقتراب من مقدمات الزنى، وقد نجح الإسلام في تطهير مجتمعاته من دنس هذه الجريمة، بينما غرقت الدول غير المسلمة في وحل الزنى إلى آذانها بدعوى الحرية الشخصية.

* * *

## ثالثاً: من آيات الإعجاز التاريخي:

**(١) ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]**

هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت في بداية الثلث الثاني من سورة «هود». وهي سورة مكية وآياتها مئة وثلاث وعشرون بعد البسملة. وقد احتوت على العديد من الإشارات الكونية التي سنتناول منها هنا الكلام عن رسوِّ سفينة نوح عليه السلام فوق جبل (الجودي) في حين تصر معلومات أهل الكتاب على أنها استوت فوق جبال (أرارات) وقد تم كشف بقايا تلك السفينة فعلاً فوق جبل (الجودي) الذي يقع على بعد (٢٥٠) ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبال (أرارات) التي تقع في أقصى الجزء الشمالي الشرقي من تركيا.

وجاء ذكر نبي الله نوح عليه السلام في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم، وجاء ذكر قصته مع قومه في عشرات الآيات التي وردت في ثمان وعشرين سورة من سور هذا الكتاب العزيز، وقد سميت إحدى سوره باسم «نوح»، وهي السورة الحادية والسبعون من بين سور كتاب الله المجيد.

وفي سورة «نوح» نقرأ أنه قد توجه إلى ربه بالدعاء على الكافرين من قومه قائلاً: ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

واستجابة لذلك الدعاء أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام ببناء سفينة تكون أداة لنجاته ومن آمن معه حين إنزال العذاب بالكافرين من قومه. وعندما أتم نوح بناء السفينة ورأى الأمارة التي حددها له ربه ببدء نزول العذاب ركب السفينة هو ومن آمن معه وأهله (إلا زوجه وواحداً من أبنائه) وما حمل من أزواج الحيوان والنبات. فلما استووا على ظهر السفينة فتح الله ـ تعالى ـ أبواب السماء بماء منهمر، وفجر الأرض عيوناً، فالتقى الماء على أمر قد قدر، وحملت المياه سفينة نوح ومن فيها

بينما غرق الكافرون من قومه، واستوت السفينة على جبل الجودي وذلك انطلاقاً من قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

## من الدلالات العلمية للآية القرآنية الكريمة:

### أولاً: في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾:

في هذا النص القرآني الكريم نسب الماء إلى الأرض، وأرضنا هي أغنى الكواكب المعروفة لنا بالماء الذي تقدر كميته عليها بحوالي١,٤٠٠ مليون كيلومتر مكعب، ولذلك سميت الأرض باسم الكوكب المائي أو الكوكب الأزرق.

وقد احتار العلماء منذ القدم في تفسير مصدر هذه الكمية الهائلة من الماء، والتي بدونها لم يكن ممكناً للحياة التي نعرفها أن توجد على الأرض، ووضعت فروض ونظريات عديدة من أجل تفسير ذلك، ومنها فرضية اصطدام المذنبات بالأرض، وانهارت كل هذه النظريات حتى بدأ علماء البراكين في دراسة ما يتصاعد من فوهاتها من غازات وأبخرة، فثبت أن أكثر من٧٠٪ منها يتكون من بخار الماء. وبحسبة رياضية بسيطة لعدد فوهات البراكين على سطح الأرض، ومعدل ثورة كل منها، ومتوسط ما يتصاعد من بخار الماء في كل ثورة، وصل العلماء إلى نفس كمية الماء المتجمعة على سطح الأرض وفي صخور ورسوبيات قشرتها، وفي الغلاف الغازي المحيط بها (أي حوالي١,٤٠٠ مليون كيلو متر مكعب)، وبذلك ثبت أن كل ماء الأرض قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ أصلاً من داخل الأرض وفي ذلك قال عز من قائل: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣١].

وتحدث القرآن الكريم عن دورة الماء حول الأرض في آيات أخرى عديدة. ولكن نسبة الماء إلى الأرض في الآية الرابعة والأربعين من سورة «هود» فيه تأكيد على حقيقة إخراج كل ماء الأرض من داخلها، وهو سبق قرآني واضح حيث لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفة ذلك إلا في العقود المتأخرة من القرن

العشرين، وهو كذلك تأكيد على اشتراك عيون الأرض المتفجرة في إحداث طوفان نوح عليه السلام وهو ما يؤكده القرآن الكريم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٩ ـ ١٧].

## ثانياً: في قوله تعالى: ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾:

يؤكد هذا النص القرآني الكريم كما يؤكد المقطع السابق عليه من نفس الآية رقم (٤٤) من سورة «هود» أن طوفان نوح عليه السلام كان بالماء العذب، تمييزاً له عن العديد من صور الطغيان البحري الذي تعرضت له الأرض عبر تاريخها الطويل.

وعلى الرغم من ذلك يأتي اثنان من علماء فيزياء الأرض الأمريكيين في سنة ١٩٩٨م وهما وليام ريان (William Ryan)، وولتر بتمان (Walter Pitman) ليجزما بأن الطوفان كان بماء البحر، وذلك في كتابهما المعنون «طوفان نوح: الاكتشافات العلمية الجديدة عن الحدث الذي غير مجرى التاريخ»، ويؤكد هذان العالمان أن ما وصفاه من طوفان بحري فوق بحيرة من الماء العذب كان حدثاً طبيعياً لا علاقة له بما جاء من أخبار قوم نوح عليه السلام.

وفي هذا المؤلف يذكر الكاتبان أن هذا الحدث قد تم قبل ٧٦٠٠ سنة حين أدى ارتفاع منسوب الماء في البحار والمحيطات إلى اندفاع هذا الماء المالح من البحر الأبيض المتوسط عبر وادي البوسفور ليدمر كل شيء مر به، ويؤدي إلى عدد من الهجرات البشرية الكبيرة(*) (١).

---

(*) William Ryan, Walter Pitman (1998): «Noahs Flood: The New Scientific Discoveries About the Event that Changed History», Simon Schuster, NewYork, Ny10020, PP.1-.319.

(١) روى الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء =

ولكن الاكتشاف لبقايا سفينة نوح عليه السلام في أعلى قمة جبل الجودي مطمورة وسط سُمْكٍ هائل من رسوبيات الماء العذب التي تمتد من جنوب تركيا إلى رأس الخليج العربي، مروراً بالمساحة الهائلة من أرض ما بين النهرين (دجلة والفرات)، ينفي مزاعم الكاتبين الأمريكيين نفياً قاطعاً، ويؤكد حقيقة أن الطوفان كان بالماء العذب الذي هطلت به الأمطار الشديدة، وتفجرت به عيون الأرض كما وصفت آيات القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة.

**ثالثاً: في قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾:**

في اللغة العربية (غاض) الماء أي: قل ونضب، و(انغاض) الماء مثله، و﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: فعل به ذلك بمعنى (غاضه) أو (أغاضه) الله تعالى، و(الغيضة) هي الأجمة بمعنى مفيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، والجمع (غياض) و(أغياض).

وفي هذا النص القرآني إشارة واضحة إلى انحسار الماء عن اليابسة بابتلاع الأرض لجزء منه ولفيض الباقي إلى البحار والمحيطات وإلى غيرها من منخفضات الأرض، بينما يذكر سفر التكوين ما نصه: وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه.. ولست أدري ما علاقة الريح بانحسار الماء عن الأرض!

وهنا يثار سؤال هام مؤداه: هل عم طوفان نوح جميع الكرة الأرضية، أم كان محدوداً بالمنطقة التي سكنها قوم نوح؟ وهذه المنطقة يجمع الأثريون والمؤرخون على كونها المنطقة الممتدة من جبال جنوب تركيا إلى ما بين نهري دجلة والفرات والسهول المنبسطة من حولهما إلى رأس الخليج العربي.

وهذا السؤال لم يحسم بعد وإن كان كل من اليهود والنصارى يؤمنون

---

= كان أول؟ قال ﷺ: «آدم» قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال «**نعم نبي مكلم**»: قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً**»، وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشراً**» (رواه أحمد).

بعالمية الطوفان (سفر التكوين: ٧: ١٨ ٢٤)، والمنطق ينادي بمحدوديته بأرض قوم نوح حيث كان استقرار جميع بني آدم، ثم تفرق أبناء الناجين من الطوفان بعد ذلك إلى مختلف مناطق الأرض.

وطوفان نوح من معجزات هذا النبي، والأصل في المعجزات أنها لا تعلل لأنها خوارق للسنن، والذي يخرق السنن لا تستطيع السنن تفسيره. ومن هنا كان التوقف عند حدود ما جاء في كتاب الله ـ تعالى ـ واجباً على المؤمنين من العباد، دون الخوض في التفاصيل التي لا طائل من ورائها، وذلك من مثل ما جاء في سفر التكوين (الإصحاح السادس إلى التاسع) وفي السابع من هذا السفر جاء ما قراءته: وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض، وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض. وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض. فكان الفلك يسير على وجه المياه، وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض. فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء. خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه، فتغطت الجبال.

وأنا أعجب كيف أمكن لخمس عشرة ذراعاً من الماء أن تغطي جميع الجبال الشامخة!!؟ أما ما جاء في النص القرآني الذي نحن بصدده فيوحي بابتلاع الأرض لجزء من مياه الطوفان، وتسرب الباقي إلى منخفضات الأرض بعد أن حقق الطوفان الغاية منه وهي القضاء على كفار ومشركي قوم نوح ولذلك قال تعالى: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾.

**رابعاً: في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾:**

في هذا النص القرآني الكريم تأكيد على أن سفينة نوح ﷺ استقرت على جبل اسمه «الجودي»، وهذا الجبل يقع في جنوب شرقي تركيا إلى الشمال الشرقي من جزيرة ابن عمر (على ضفاف نهر دجلة) بالقرب من الحدود التركية العراقية السورية وإلى الشمال من مدينة الموصل. وقد أثبتت الدراسات الأثرية من مثل دراسات كل من مارتين روي (Martin Wroe) في سنة ١٩٩٤م، وتشارلس ويلليس (Charles Willis) في سنة ١٩٨٠م وجون مونتوجمري (John Warwick

Montgomery) في السبعينيات من القرن العشرين أن بقايا السفينة موجودة فعلاً فوق جبل الجودي (Mount Cudi or Judi Dagh) على بعد ٢٥٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من جبل أرارات، وذلك بعد اكتشاف الموقع بواسطة أحد رعاة الغنم من الأكراد في منتصف شهر مايو من سنة ١٩٤٨م.

وجبل الجودي يمثل واحدة من أعلى القمم في سلسلة جبال جنوب تركيا إذ يزيد ارتفاعه على سبعة آلاف قدم (أي حوالي: ٢٣٠٠م) فوق مستوى سطح البحر. ففي منتصف شهر مايو من سنة ١٩٤٨م اكتشف أحد رعاة الغنم من الأكراد واسمه رشيد سرحان (Reshit Sarihan) سفينة نوح ﷺ وبقايا من أخشابها مطمورة في رسوبيات مياه عذبة في قمة جبل الجودي. وتتابعت دراسات الموقع بعد ذلك في السنوات ١٩٥٣م، ١٩٥٩م، ١٩٨٠م، ١٩٨٧م، ١٩٩٤م وإلى يومنا هذا.

كذلك وجد سُمْكٌ هائل من رسوبيات المياه العذبة في سهول ما بين النهرين (دجلة والفرات) والتي كانت مهداً لعدد من الحضارات القديمة التي تم اكتشاف بعضها. ومن المرجح أن تكون هذه الرسوبيات من بقايا الطوفان لانتشارها الأفقي على مساحات شاسعة من الأرض. ولسُمْكِها الذي يزيد على عشرة أقدام، ولعمرها الذي يمتد بين سبعة آلاف وثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. ولطمرها للعديد من القرى القديمة التي استمر التنقيب عنها في الفترة من ١٩٢٢م إلى ١٩٣٤م، وتتابع التنقيب متقطعاً بعد ذلك إلى اليوم. وقد تأكدت هذه الاستنتاجات بدراسة الرسوبيات المتجمعة في أحد كهوف شمال العراق والمعروف باسم كهف شانيدار العظيم (The Great Shanidar Cave)، ويرجع عمر الرسوبيات في هذا الكهف إلى حوالي مائة ألف سنة مضت، وتحوي رسوبياته عدداً من البقايا الإنسية، وقام بدراسته دكتور رالف سولسكي (Ralph S.Solecki) من معهد سمسثونيان بالولايات المتحدة.

وتأكدت هذه الاستنتاجات كذلك بتحديد العمر المطلق للأجزاء الخشبية المتبقية من السفينة بواسطة الكربون المشع في حدود ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد كما

أعلن مارتين روي (Martin Wroe) بجريدة «الأوبزرفر» اللندنية بتاريخ ١٦ يناير سنة ١٩٩٤م.

هذا مع أن الإصحاح الثامن من سفر التكوين يذكر ما يلي: «واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أرارات وكانت المياه تنقص نقصاً متوالياً إلى الشهر العاشر، وفي العاشر في أول الشهر ظهرت رءوس الجبال».

وهذا على الرغم من أن العديد من الروايات التاريخية القديمة التي تم اكتشافها مؤخراً تشير إلى رُسُوِّ سفينة نوح ﷺ فوق جبل الجودي، وذلك من مثل كتابات بيراسوس (Berasus) من كهان الحضارة البابلية. وأبيدنوس (Abydenus) من تلامذة سقراط، ومن رموز الحضارة اليونانية القديمة. وعلى الرغم من ذلك ظلت محاولات الغربيين مستميتة في إثبات رُسُوِّ سفينة نوح على جبل «أرارات» دفاعاً عما جاء في عهدهم القديم. وظل الحال كذلك حتى أعلنت مجموعة من العلماء الروس في يوم الجمعة الموافق ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٥م في مؤتمر صحفي نقلته وكالة إنترفاكس للأنباء (The Interfax News Agency) أنه لا توجد أية آثار لسفينة نوح على جبال أرارات، وأن جميع العينات التي درست تؤكد ذلك. كما أكدته دراسات فادين تشيرنوبورف (Vadin Chernoborv) مدير مركز كوزمو بويسك للأبحاث العلمية (The Cosmopoisk Scientific Research Center) الذي أوفد مجموعة العلماء هذه للقيام بتلك الدراسة، وقاد المؤتمر الصحفي المشار إليه قائلاً: بعد الثورة البركانية التي وقعت في جبل أرارات سنة ١٨٤٠م فإن كل شيء في هذا الجبل قد تمزق بما في ذلك الكتل النباتية المتحجرة (والتي ظنها نفر من السابقين خطأ على أنها قد تكون من بقايا سفينة نوح، ومن هنا فلا يمكن القول بأية إمكانية لوجود بقايا محفوظة لتلك السفينة فوق جبال أرارات. وقد قامت هذه المجموعة العلمية بدراسة جبل أرارات في خريف سنة ٢٠٠٤م وعادت بالكثير من أشرطة الفيديو والعينات الصخرية (من مثل النباتات المتحجرة، وكتل الصخور التي شكلتها عوامل التعرية على هيئة مصنعة أو شبه

مصنعة) وأثبتت دراسة ذلك أنها من فعل النشاط البركاني، ولا علاقة لها بسفينة نبي الله نوح عليه السلام التي ثبت وجودها في جبل الجودي.

**خامساً: في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾:**

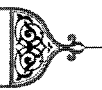
هذا النص القرآني يوحي بأنه بالقضاء على كفار ومشركي قوم نوح فإن الله تعالى قد عافى البشرية من أشر شرار بني آدم الذين لو قدرت لهم النجاة لأفسدوا في الأرض إفساداً عظيماً يفوق ما فيها اليوم من فساد أضعافاً كثيرة، وتبعتهم في هذا الإفساد ذراريهم، ولذلك اجتث الله تعالى شأفتهم بالطوفان لعلمه بهم وبما يحملون في أصلابهم من ذراري، ولذلك قال موجهاً الخطاب إليهم: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وذلك لأن شطراً من مخزون الوراثة الذي كان في صلب أبينا آدم عليه السلام قد هلك في الطوفان، وقوانين الوراثة تؤكد ذلك وتقف من ورائه. هذه الحقائق مجتمعة ومتفرقة لم تكن معروفة للناس في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها في كتاب أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين لممَّا يثبت لكل ذي بصيرة أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، حتى يبقى شاهداً على الناس جميعاً إلى أن يشاء الله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

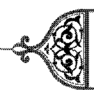


# الفصل الثامن

## بعض آيات الإعجاز العلمي
## في القرآن الكريم مرتبة حسب ترتيب السور



### سورة البقرة



١ - ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

٢ - ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

٣ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

٤ - ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ [البقرة: ٧٤].

٥ - ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

٦ - ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

٧ - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٨ - ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٩ - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢].

١٠ - ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

١١ - ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

١٢ - ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

## سورة آل عمران

١ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

٢ - ﴿. . . . وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ. . .﴾ [آل عمران: ٣٦].

٣ - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

٤ - ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٥ - ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

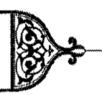
## سورة النساء

١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ [النساء: ١].

٢ - ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾ [النساء: ١١].

٣ - ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

٤ - ﴿. . . وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ. . .﴾ [النساء: ١١٩].



## سورة المائدة

١ - ﴿... وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: ٣].

٢ - ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٣].

٣ - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

٤ - ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ...﴾ [المائدة: ٣١].

٥ - ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

٦ - ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].



## سورة الأنعام

١ - ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

٢ - ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

٣ - ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ....﴾ [الأنعام: ٤٤].

٤ - ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ [الأنعام: ٩٢].

٥ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥].

٦ - ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦].

٧ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩].

٨ - ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ [الأنعام: ٩٩].

٩ - ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

١٠ - ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

١١ - ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾ [الأنعام: ١٥١].



## سورة الأعراف

١ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: ١١].

٢ - ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ...﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

٤ - ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

٥ - ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٦ - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٦].



## سورة التوبة

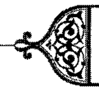
١ - ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨].

٢ - ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ...﴾ [التوبة: ٣٦].



## سورة يونس

١ - ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

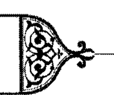


## سورة هود

١ - ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤].

٢ - ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

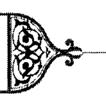
٣ - ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].



## سورة يوسف

١ - ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

٢ - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].



## سورة الرعد

١ - ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا. . .﴾ [الرعد: ٢].

٢ - ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

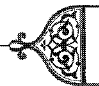
٣ - ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤].

٤ - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

٥ - ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

٦ - ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

٧ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

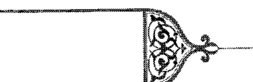


## سورة الحجر

١ - ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ - ١٥].

٢ - ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

٣ - ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَـَٔاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].



## سورة النحل

١ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

٢ - وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

٣ - ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

٤ - ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

٥ - ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٤٥].

٦ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

٧ ـ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

٨ ـ ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩].

٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

١٠ ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٥].

## سورة الإسراء

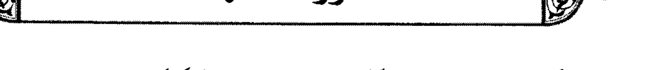
١ ـ ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

٢ ـ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥].

٣ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢].

٤ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

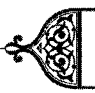
٥ ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].



## سورة الكهف

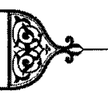
١ ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١].

٢ ـ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].



## سورة مريم

١ - ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].



## سورة طه

١ - ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

٢ - ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

٣ - ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].



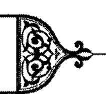
## سورة الأنبياء

١ - ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٢ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٣ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

٤ - ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].



## سورة الحج

١ - ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

٢ ـ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥].

٣ ـ ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

٤ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

٥ ـ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].



## سورة المؤمنون

١ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣].

٢ ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤].

٣ ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

٤ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

٥ ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

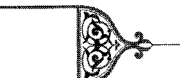
## سورة النور

١ ـ ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

٢ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣].

٣ - ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور: ٤٣].

٤ - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].



## سورة النمل

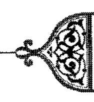
١ - ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

٢ - ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

٣ - ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾ [النمل: ٦١].

٤ - ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [النمل: ٦٤].

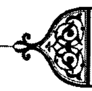
٥ - ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].



## سورة العنكبوت

٢ - ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

٣ - ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].



## سورة الروم

١ ـ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤].

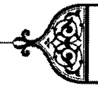
٢ ـ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

٣ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

٤ ـ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

٥ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

٦ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].



## سورة لقمان

١ ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

٢ ـ ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

٣ ـ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

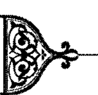


## سورة السجدة

١ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

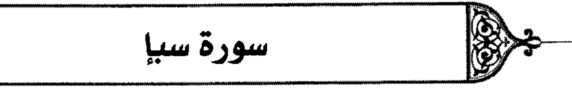
٢ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨].

٣ ـ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].



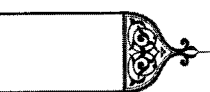
## سورة الأحزاب

١ ـ ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ﴾ [الأحزاب: ٤].



## سورة سبإ

١ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ﴾ [سبإ: ١٤].



## سورة فاطر

١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

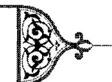


## سورة يسٓ

١ ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يسٓ: ٤١].

٢ ـ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يسٓ: ٦٨].

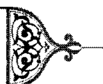
٣ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يسٓ: ٨٠].



## سورة الصافات

١ ـ ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٢].

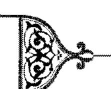
٢ ـ ﴿فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٥، ١٤٦].



## سورة صٓ

١ ـ ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [صٓ: ٣١ ـ ٣٣].

٢ ـ ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ﴾ [صٓ: ٧١].



## سورة الزمر



١ ـ ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥].

٢ ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [الزمر: ٦].

٣ ـ ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ [الزمر: ٦].

٤ ـ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر: ٦].

٥ ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

٦ ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ

عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

٧ - ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

## سورة غافر

١ - ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

٢ - ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [غافر: ٦٢].

٣ - ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤].

## سورة فصلت

١ - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

٢ - ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٣ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ﴾ [فصلت: ٣٧].

## سورة الشورى

١ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩].

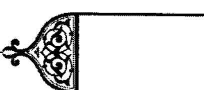
٢ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢ - ٣٣].

## سورة الزخرف

١ ـ ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف: ١٨].

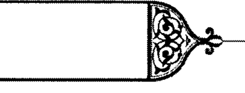
## سورة الدخان

١ ـ ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠].



## سورة الجاثية

١ ـ ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].



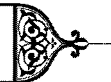
## سورة الأحقاف

١ ـ ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥].



## سورة الفتح

١ ـ ﴿وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٩].



## سورة قٓ

١ ـ ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق: ٤].

٢ ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [قٓ: ٦].

٣ ـ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [قٓ: ١٠].



## سورة الذاريات

١ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

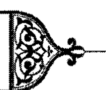
٢ ـ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

٣ ـ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٤ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

٥ ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

٦ ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].



## سورة الطور

١ ـ ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

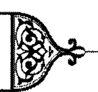


## سورة النجم

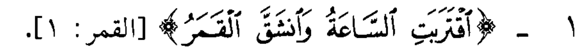
١ ـ ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢].

٢ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦].

٣ ـ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧].

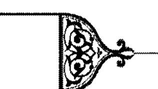


## سورة القمر



١ ـ ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١].

٢ ـ ﴿خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ [القمر: ٧].



## سورة الرحمٰن

١ ـ ﴿الرحمن (١) علم القرءان (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤].

٢ ـ ﴿مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٠].

٣ ـ ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمٰن: ٣٣].



## سورة الواقعة

١ ـ ﴿أفرءيتم ما تمنون (٥٨) ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٥٩].

٢ ـ ﴿نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ [الواقعة: ٦٠].

٣ ـ ﴿أفرءيتم الماء الذي تشربون (٦٨) ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠].

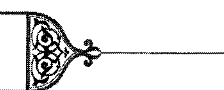
٤ ـ ﴿أفرءيتم النار التي تورون﴾ [الواقعة: ٧١].

٥ ـ ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦].



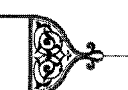
## سورة الحديد

١ ـ ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس. . .﴾ [الحديد: ٢٥].



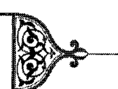
## سورة المجادلة

۱ ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [المجادلة: ١٤].



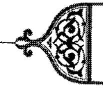
## سورة الطلاق

۲ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].



## سورة المعارج

۳ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].



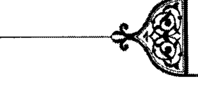
## سورة الملك

۱ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

۲ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤].

۳ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

٤ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].



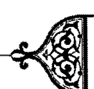
## سورة الجن

١ ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧].



## سورة القيامة

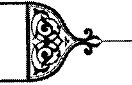
١ ـ ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٧].



## سورة الإنسان

١ ـ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

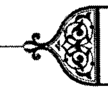
٢ ـ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].



## سورة الحاقة

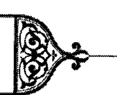
١ ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

٢ ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٣٩].



## سورة المرسلات

١ ـ ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٢].

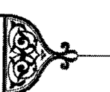


## سورة نوح



١ ـ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣ ـ ١٤].

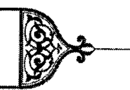
٢ ـ ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨].



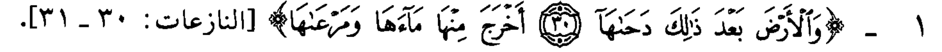
## سورة النبأ

١ ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦ ـ ٧].

٢ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبأ: ١٤].



## سورة النازعات

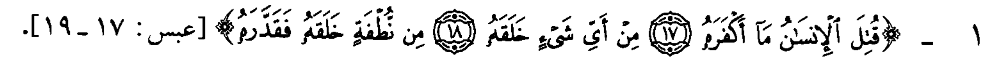


١ ـ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣١].

٢ ـ ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢ ـ ٣٣].

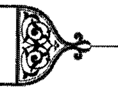


## سورة عبس



١ ـ ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٧ ـ ١٩].

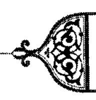
٢ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤].



## سورة التكوير

١ ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦].

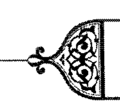
٢ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ ـ ١٨].



## سورة الانفطار

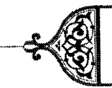
١ ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٥ ـ ٧].

٢ ـ ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].



## سورة الانشقاق

١ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦ ـ ١٩].



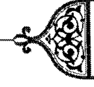
## سورة الطارق

١ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣].

٢ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٧]

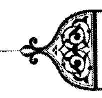
٣ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].

٤ ـ ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢].



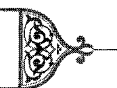
## سورة الغاشية

١ ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

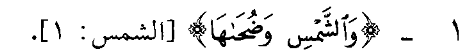


## سورة الفجر

١ ـ ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٧ ـ ٨].



## سورة الشمس

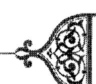


١ ـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١].

٢ ـ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ٢].

٣ ـ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: ٣].

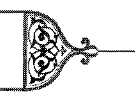
٤ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤].



## سورة التين

١ ـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ ـ ٣].

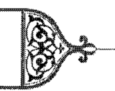
٢ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].



## سورة العلق

١ ـ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١ ـ ٢].

٢ ـ ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦].



## سورة القارعة

١ ـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].



## سورة العصر

١ ـ ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

**ملاحظة:** يُطلب من كل دارس لهذا المقرر اختيار إحدى هذه الآيات القرآنية الكريمة لكتابة بحث عنها.



# الفصل التاسع

## بعض آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مرتبة حسب الموضوعات

### أولاً: من آيات السماء

جاءت لفظة «**السماء**» بالإفراد والجمع في ثلاثمائة وعشرة (٣١٠) مواضع من القرآن الكريم منها مائة وعشرون (١٢٠) موضعاً جاءت الإشارة فيها إلى «السماء» بصيغة الإفراد، ومائة وتسعون (١٩٠) موضعاً جاءت بصيغة الجمع «السمٰوات أو سمٰوات» (معرّفة وغير معرّفة). وصيغ الجمع تشير في غالبيتها إلى السمٰوات السبع، أي إلى كل ما حول الأرض من المكان والزمان وما فيهما من مختلف صور المادة والطاقة سواء ما تجمع على هيئة أجرام السماء المتباينة في أبعادها، وصفاتها الطبيعية والكيميائية ودرجات نشاطها أو خمولها، أو ما انتشر منها على هيئة دخانية رقيقة بين تلك الأجرام التي تعرف عادة باسم «**المادة بين كل من النجوم والكواكب**» كما نرى في الجزء المدرك من السماء الدنيا من حولنا؛ لأن الإنسان بكل إمكاناته العلمية والتقنية الحديثة لا يستطيع إدراك سوى جزء يسير من السماء الدنيا فقط، وهذا الجزء دائم الاتساع باطراد إلى نهاية لا يعلمها إلا الله، فكلما طور الإنسان أجهزته وجد أن الله ـ تعالى ـ قد وسع الكون بمعدلات أعظم بكثير، حتى يبقى الإنسان على الأرض محصوراً في جزء صغير من السماء الدنيا لا يقوى على تجاوزه أبداً. وعلى ذلك فلولا أن الله ـ تعالى ـ أخبرنا بأنه قد خلق سبع سمٰوات طباقاً ما كان أمام الإنسان من وسيلة للتعرف على ذلك.

أما الإشارات القرآنية إلى «السماء» بصيغة الإفراد فقد جاءت في ثمانية وثلاثين (٣٨) موضعاً من المائة والعشرين موضعاً التي وردت فيها بمدلول

الغلاف الغازي للأرض بما فيه من رياح تُصَرَّف، وسحب تتحرك، وكسف تسقط وأمطار تهطل، ورعد وبرق، وصور مختلفة للطاقة، ونور النهار وحلكة ظلام الليل وإنارته بنور القمر والنجوم، وأصداء الأصوات، ورجع الماء، والرجع الحراري ونطق حماية متعددة للحياة الأرضية وغير ذلك مما خلق الله ـ تعالى ـ وأبدع.

وجاءت الإشارة إلى السماء بالإفراد والتعريف في الاثنين والثمانين (٨٢) موضعاً الأخرى من كتاب الله بمدلول السماء الدنيا التي زينها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بالنجوم والكواكب، ويفهم منها في بعض هذه المواضع كل ما هو حول الأرض وفوقها إلى نهاية الكون.

ونعرض هنا ثلاثاً وثلاثين (٣٣) من آيات السماء في القرآن الكريم بهدف إظهار ما في هذه الآيات الكريمة من سبق علمي أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه من قبل أربعة عشر قرناً، أي من قبل أن يصل العلم المكتسب إلى شيء منه بقرون عديدة، حيث لم يصل علم الإنسان إلى شيء من ذلك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

ومن هذه الآيات نعرض قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

١ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

٢ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

٣ ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

٥ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

٦ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ. . .﴾ [الأعراف: ٥٤].

٧ ـ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٨ ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٩ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦].

١٠ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦].

١١ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

١٢ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١ ـ ٣].

١٣ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥].

١٤ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١].

١٥ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧].

١٦ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

١٧ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ. . .﴾ [الرعد: ٢].

١٨ ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

١٩ ـ ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

٢٠ ـ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢١ ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٥ ـ ١٤].

٢٢ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

٢٣ ـ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١].

٢٤ ـ ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس: ٢].

٢٥ ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٣].

٢٦ ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٤].

٢٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

٢٨ ـ ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩].

٢٩ ـ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

٣٠ ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

٣١ ـ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

٣٢ ـ ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥].

٣٣ ـ ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

**ومن الحقائق العلمية التي جاءت في هذه الآيات والتي سبق القرآن الكريم بها كل المعارف البشرية بأكثر من عشرة قرون كاملة، ما يمكن إيجازه ـ فيما يلي ـ:**

* **أن السماء بناء محكم** وليست فراغاً كما درج الناس على الاعتقاد بذلك.
* حقيقة **توسع الكون** أي أن من صفات كوننا أنه دائم الاتساع إلى نهاية لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ.
* حقيقة **أن السمٰوات والأرض كانتا رتقاً ففتقهما الله بقدرته**، وأنه ـ تعالى ـ قد جعل من الماء كل شيء حي.
* **أن الكون قد بدأ بحالة من الدخان**، وأن الله ـ تعالى ـ قد خلق من هذا الدخان كلاً من الأرض وباقي أجرام السماء.
* **أنه على الرغم من تزامن خلق الأرض والسمٰوات فإن تمايز كل منهما إلى سبعة أمثال كان عملية لاحقة** تمايزت فيها الأرض إلى سبع أرضين كما تمايزت السمٰوات إلى سبع سمٰوات. وتؤكد الآية الكريمة (رقم ٢٩) من سورة «البقرة» على خلق كل ما في الأرض قبل تمايز السمٰوات سبعاً، وهي حقيقة لا يستطيع العلم المكتسب الوصول إليها، وذلك لأن علم الإنسان لا يكاد يتعدى الأرض وجزءاً من السماء الدنيا التي تحيط بتلك الأرض.
* **أن الأرضين السبع كلها في أرضنا** يغلف الخارج منها الداخل فيها، وهي محاطة بسبع سمٰوات متطابقة حول الأرض يغلف الخارج منها الداخل فيها كذلك، تأكيداً على وحدة البناء في الكون كله، وإشارة إلى وحدانية الخالق ﷻ.
* **أن خلق السمٰوات والأرض قد تم في ست مراحل متمايزة** يحاول العلم المكتسب استقراءها بما لكل منها من شواهد حسية في صخور الأرض وفي صفحة السماء.
* حقيقة **أن دوران الأرض حول محورها كان سريعاً جداً في بدء الخلق** مما جعل تعاقب كل من الليل والنهار يتم بسرعة فائقة وهو ما أثبتته الدراسات

العلمية المتأخرة مدوناً في كل من جذوع الأشجار وهياكل الحيوانات القديمة من مثل حيوان المرجان وشعبه.

* حقيقة **أن كوننا كون منغلق** لا يمكنه أن يستمر في الاتساع إلى ما لا نهاية كما يدعي بعض علماء الفلك والفيزياء الفلكية المعاصرين، بل لا بد له من التوقف عن التوسع في وقت قد حدده الله ـ تعالى ـ له، وعندها يبدأ الكون في الالتمام على ذاته ليعود سيرته الأولى في نقطة واحدة شبيهة بالنقطة التي بدأ بها خلق الكون.

* **أن الإنسان من فوق سطح الأرض لا يمكنه أن يرى النجوم أبداً** لضخامة أبعادها عنا، ولتحرك الضوء منها إلينا في خطوط منحنية، ولذلك يرى الإنسان من فوق سطح الأرض صوراً وهمية لمواقع النجوم ولا يرى النجوم أبداً.

* الإشارة إلى حقيقة **النجوم الخانسة الكانسة** (الثقوب السود) والتي لم تدرك إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

* **مقابلة الظلمات بالنور**، وجمع الظلمات لتعددها، وإفراد النور لتوحده، مع التأكيد على أن الأصل في الكون هو الظلمة، وأن النور هو فترة زمنية يمن الله ـ تعالى ـ بها على سكان الأرض في حزام ضيق يحيط بنصف الأرض المواجه للشمس؛ وقد وصفه القرآن الكريم بدقة بالغة.

* الإشارة إلى نجوم خاصة مثل **النجوم الراديوية** (النجوم النيوترونية النابضة وأشباه النجوم) وذلك باسم «الطارق النجم الثاقب»، لأن موجاتها الراديوية تطرق سماء أرضنا في طرقات متتابعة تماماً كدق الطارق للباب، وأنها تثقب صمت السماء بتلك الطرقات الشديدة.

* تأكيد **أن السماء بناء** بمعنى أنه لا وجود للفراغ التام فيها والإشادة ببانيها سبحانه وتعالى .

* تأكيد أن من صفات سماء الأرض أنها «**ذات رجع**» أي: عود المفيد النافع من صور المادة والطاقة المرتفعة من الأرض إليها، وارتداد الضار المهلك من صور المادة والطاقة المتجهة من السماء إلى الأرض عنها. ويرى العلماء اليوم

عشر صور من ذلك الرجع جمعها لنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في لفظة واحدة هي لفظة **(الرجع)**. وقد يرى القادمون من بعدنا في هذه اللفظة ذاتها من المعاني فوق ما نراه نحن اليوم.

* **الإشارة إلى إحكام نسيج السماء وشدة ترابط مكوناتها وذلك بنعتها بالوصف «ذات الحبك»** وهو ما أثبتته الدراسات المتأخرة في مجالي علم الفلك والفيزياء الفلكية.

* وصف السماء كذلك بأنها **«ذات البروج»** وهي وسيلة تحديد الشهور الشمسية في كل سنة من سني الأرض التي تكمل فيها دورة كاملة في مدارها حول الشمس، هذا بالإضافة إلى دورة القمر حول كوكبنا دورة كاملة كل شهر.

* تأكيد **أن السمٰوات مرفوعة بقدرة الله - تعالى - بغير عمد مرئية**، وقد يكون في ذلك إشارة إلى قوى الجاذبية الحاكمة للأجرام المرئية في السماء الدنيا كما يتصورها علماء الفلك والفيزياء الفلكية.

* **تأكيد عدم وجود فراغات في السماء أبداً وذلك بتعبير «وما لها من فروج»** وهو ما ألمح إليه الوصف القرآني للسماء بأنها **«ذات الحبك»**، وأكدته الدراسات المتأخرة في الجزء المدرك لنا من السماء الدنيا.

* الإشارة إلى **تخليق كل العناصر التي تحتاجها الحياة الأرضية في داخل نجوم السماء الدنيا**، وإلى إنزال الماء من أقرب أجزاء السماء الدنيا إلينا (نطاق المناخ)، وإلى القرارات الإلٰهية بتوزيع الأرزاق وذلك بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

* **تأكيد تناقص الضغط وانعدام الأكسجين في طبقات الجو العليا** بالإشارة لجعل الصدر «ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَد في السماء» وهو وصف دقيق للأمراض التي تصيب الذين يصلون إلى تلك الارتفاعات الشاهقة بغير وقاية كافية، ولو أن الآية جاءت في مقام التشبيه إلا أنها صيغت صياغة علمية دقيقة.

* الإشارة إلى أن المرور من خلال السماء لا بد أن يكون عن طريق فتح أبواب

فيها، وإلى **أن الحركة في السماء لا بد أن تسير في خطوط متعرجة،** وتأكيد ضخامة أبعاد السماء وعلى **الظلمة الكاملة للكون وعلى رقة طبقة النهار** في نصف الأرض المواجه للشمس، وهو ما أثبتته رحلات الفضاء منذ منتصف الخمسينات من القرن العشرين.

* **الإشارة إلى بعض ظواهر الإضاءة الليلية التي تشاهد في المناطق القطبية** للأرض اليوم وإلى أنها كانت سائدة لكل الأرض عند بدء خلقها لأن نطق الحماية المختلفة في غلافها الغازي لم تكن قد اكتملت بعد، وهي حقيقة لم يتوصل إليها العلم التجريبي بعد وقد استنتجتها من الآية الثانية عشرة في سورة الإسراء وكل الملاحظات المتوافرة لنا تشير إلى صدقها.

* **الإشارة إلى معجزة كل من الشمس وضحاها.**

* **الإشارة إلى متابعة القمر للشمس** في عملية شروقها وغروبها.

* **الإشارة إلى حقيقة أن طبقة النهار في الغلاف الغازي للأرض المحيطة بنصف الكرة الأرضية المواجه للشمس هي التي تجلي لنا هذا النجم** وليس العكس كما كان سائداً إلى ما قبل رحلات الفضاء، وذلك لأن غالبية الموجات الكهرومغناطيسية المنطلقة من إشعاع الشمس هي موجات لا ترى في أغلبها، وأن الحزمة الصغيرة منها والتي يمكن لعين الإنسان أن تراها تصدر من الشمس وهي مفككة إلى أطيافها فلا يتم جمعها واندماجها في نور النهار الأبيض إلا بعد تشتت أطيافها وتردد انعكاساتها على هباءات الغبار وجزيئات كل من بخار الماء والهواء والتي تنتشر بكثافة تسمح بذلك في الجزء السفلي من الغلاف الغازي للأرض.

* **الإشارة إلى أن كلًّا من ليل الأرض وظلمة السماء يحجب عنا الشمس (أي يغشاها)** فإذا جن ليل الأرض التقت ظلمته بظلمة السماء فلا ترى الشمس، وحتى في وضح النهار تُرَى الشمس خارج نطاق نور النهار على هيئة قرص أزرق في صفحة سوداء.

* **التميز القاطع بين كل من الضياء والنور**، والأول يصدر من جسم ملتهب بذاته والثاني ينتج عن انعكاس الضوء فوق سطح معتم غير مضيء.

* **إثبات منازل القمر في دورته الشهرية حول الأرض.**

* **تشبيه انشقاق ضوء الصبح عن ظلمة الليل بانفلاق البذرة أو النواة عن النبتة المنبثقة من داخلها عند إنباتها**، وإلى أن الله ـ تعالى ـ قد جعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً للزمن.

* إثبات **انشقاق القمر** كإحدى المعجزات الحسية الكبيرة لرسول الله ﷺ.

* إثبات البينية الفاصلة للسمٰوات عن الأرض مما يؤكد **مركزية الأرض** بالنسبة إلى الكون، وهو ما لم يستطع العلم المكتسب إثباته بعد، ولن يستطيعه أبداً لمحدودية قدرات الإنسان.

* **الإشارة إلى إمساك السماء بأجرامها المختلفة وبمختلف صور المادة وأشكال الطاقة فيها من أن تقع على الأرض فتفتتها** وذلك بقدرة الله البالغة، وفي ذلك إشارة إلى القوى المختلفة التي أودعها الله ﷻ في الكون.

* **تأكيد أن الشمس والقمر مسخران لخدمة الحياة على الأرض لأجل مسمى، ونهاية محتومة لا يعلمها إلا الله ـ تعالى ـ** وقد أثبتت الدراسات المتأخرة أن الشمس تفقد من كتلتها على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن من المادة في كل ثانية، مما يؤكد حقيقة أنها إلى زوال، وأن القمر يبتعد عن الأرض بمعدل ثلاثة إلى أربعة سنتيمترات في كل سنة، مما يؤكد حتمية ابتلاع الشمس له، وكلاهما من حقائق الآخرة التي لن تتم بهذه السنن الدنيوية ولكن بأمر من الله ـ تعالى ـ لأن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، والله ـ تعالى ـ أعلم بها، وهو ﷻ القائل: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقد بدأنا بهذا العدد من آيات السماء وبعض الظواهر المرتبطة بها لتنوع ما

فيها من حقائق كونية جاءت واضحة جلية وضوح الشمس في رابعة النهار، أما باقي آيات السماء فسوف نستكمل استعراضها في مقام آخر إن شاء الله ـ تعالى ـ.

## ثانياً: من آيات الأرض في القرآن الكريم

جاءت لفظة (**الأرض**) معرفة ومنكرة، مفردة ومضافة في أربعمائة واثنين وستين (٤٦٢) موضعاً من كتاب الله لتشير إلى الكوكب في مقابلة السماء أو في مقابلة غيره من أجرامها، أو لتشير إلى اليابسة التي نحيا عليها كلها، أو إلى جزء منها أو لتشير إلى قطاع التربة الذي يغطي صخور الغلاف الصخري للأرض. ولم يرد في القرآن الكريم كله ذكر للأرض بالجمع وإن جاءت إشارة غير مباشرة لذلك في ختام سورة «الطلاق» التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

كذلك وردت كلمة (**البر**) اثنتي عشرة (١٢) مرة وكلمة (**يبس**) مرة واحدة للإشارة إلى شيء من الأرض، فكلمة (البر) جاءت بمعنى اليابسة في مقابلة البحر، وكلمة (يبس) جاءت بمعنى المكان الذي كان مبتلاً بالماء ثم يبس، أي: جف.

وهذه الإشارات الأربعمائة والاثنان والستون (٤٦٢) تحوي العديد من الحقائق العلمية عن الأرض والتي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

* آيات تأمر الإنسان بالسير في الأرض والنظر في كيفية بدء الخلق، وهي أساس المنهجية العلمية في دراسة علوم الأرض.

* آيات تشير إلى أي من شكل أو حركات أو أصل الأرض: منها ما يصف كروية الأرض، ومنها ما يشير إلى دورانها حول محورها أمام الشمس، أو إلى جريها في مدارها حول ذلك النجم، ومنها ما يؤكد على عظم مواقع النجوم بالنسبة إلى الأرض، أو على حقيقة اتساع الكون من حولها (والأرض جزء منه)، أو على بدء الكون بجرم واحد (مرحلة الرتق) ثم انفجار ذلك الجرم الأولي

(مرحلة الفتق)، أو على بدء خلق كل من الأرض والسماء من دخان، أو على انتشار المادة بين السماء والأرض (المادة بين الكواكب وبين النجوم وبين المجرات)، أو على تطابق كل من السمٰوات والأرض (أي: تطابق الكون حول مركز واحد).

* آية قرآنية واحدة تؤكد أن كل الحديد في كوكبنا (الأرض) قد أنزل إليها من السماء إنزالاً حقيقياً، وهو ما أثبتته الدراسات العلمية في العقود المتأخرة من القرن العشرين.

* آية قرآنية واحدة تؤكد حقيقة أن الأرض «**ذات صدع**» وهي من الصفات الأساسية لكوكبنا، وقد أثبتت هذه الحقيقة في منتصف الستينات من القرن العشرين.

* آيات قرآنية تتحدث عن عدد من الظواهر البحرية المهمة من مثل ظلمات قيعان البحار العميقة والمحيطات، وعن دور كل من السحب والأمواج الداخلية والسطحية في تكوين تلك الظلمة التامة. أو عن تسجير بعض هذه القيعان بصهارة عالية الحرارة، على الرغم من امتلاء القيعان بالماء، أو عن تمايز المياه فيها إلى كتل متجاورة أفقياً ورأسياً لا تختلط اختلاطاً كاملاً نظراً لوجود حواجز أفقية ورأسية غير مرئية تفصل بينها. ويتأكد هذا الفصل بين الكتل المائية بصورة أوضح في حالة التقاء كل من المياه العذبة والمالحة عند مصاب الأنهار، مع وجوده بين مياه البحر الواحد أو بين مياه البحار المتصلة ببعضها البعض كالتقاء مياه البحار شبه المغلقة من مثل كل من البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط بمياه المحيطات المجاورة (كل من المحيط الهندي، والمحيط الأطلسي على التوالي).

* آيات قرآنية تتحدث عن الجبال، منها ما يصفها بأنها أوتاد وبذلك يصف كلًّا من الشكل الخارجي (الذي على ضخامته يمثل الجزء الأصغر من كتلة وحجم الجبل) والامتداد الداخلي (الذي يشكل غالبية جسم الجبل) كما يصف وظيفته

الأساسية في تثبيت الغلاف الصخري للأرض، وفي تحقيق اتزان دورانها حول محورها. وتتأكد هذه الوظيفة في اثنين وعشرين آية قرآنية أخرى وردت بها، كذلك إشارات إلى عدد من الوظائف والصفات الإضافية للجبال من مثل انتصابها فوق سطح الأرض، ودورانها معها، أو تكونها من صخور متباينة في الألوان والأشكال والهيئة، أو دورها في إنزال المطر وتغذية الأنهار وشق الأودية والفجاج أو في جريان السيول، وفي غير ذلك من العمليات الأرضية.

* آيات قرآنية تشير إلى نشأة كل من الغلافين المائي والهوائي للأرض وذلك بإخراج مكوناتهما من داخل الأرض، أو تصف الطبيعة الرجعية لغلافها الغازي، أو تؤكد حقيقة ظلام الكون، أو تناقص الضغط الجوي مع الارتفاع عن سطح البحر، أو انتظام تبادل الليل والنهار، ورقة طبقة النهار حول نصف الأرض المواجه للشمس، أو تشير إلى أن ليل الأرض كان في بدء خلقها منيراً كنهارها ثم محا الله ﷻ نور الليل حتى يكون مظلماً ويتم التبادل بينه وبين النهار.

* آيات تشير إلى رقة الغلاف الصخري للأرض، أو إلى تسوية سطحه وتمهيده وشق الفجاج والسبل فيه، أو إلى تناقص الأرض من أطرافها.

* آيات تؤكد إنزال ماء المطر من السماء وإسكانه في كل من صخور الأرض وتربتها، مما يشير إلى دورة الماء حول الأرض وفي داخل غلافها الصخري، أو تؤكد علاقة الحياة بالماء، أو تلمح إلى إمكانية تصنيف الكائنات الحية على الأرض بواسطة طرائق مشيها.

* آيات تؤكد أن عملية خلق الحياة الأرضية قد تمت على مراحل متعاقبة عبر فترات زمنية طويلة، وأن الإنسان كان آخر خلق الله.

* آيات قرآنية تصف نهاية كل من الأرض والسمٰوات وما فيهما من كائنات ـ أي: الكون كله ـ بعملية معاكسة لعملية الخلق الأول، كما تصف إعادة خلقهما من جديد أرضاً غير الأرض الحالية وسمٰوات غير السمٰوات القائمة من حولها.

هذه الحقائق العلمية لم تكن معروفة للإنسان قبل القرن العشرين، بل إن الكثير منها لم يتوصل الإنسان إلى معرفته إلا في العقود القليلة الماضية من نهايات ذلك القرن عبر جهود مضنية وتحليل دقيق لكم هائل من الملاحظات العلمية والتجارب العملية في مختلف جنبات كل من الأرض والسماء (الجزء المدرك من الكون). وإن السبق القرآني بالإشارة إلى مثل هذه الحقائق بأسلوب يبلغ منتهى الدقة العلمية واللغوية في التعبير، والإحاطة والشمول في الدلالة ليؤكد جانباً مهماً من جوانب الإعجاز في كتاب الله، وهو جانب الإعجاز العلمي. ومع تسليمنا بأن القرآن الكريم معجز في كل أمر من أموره إلا أن الإعجاز العلمي يبقى من أنجح أساليب الدعوة إلى الله في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه.

من هنا تتضح أهمية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في هداية البشرية خاصة في زمن كالذي نعيشه اليوم، والذي فتح الله ـ تعالى ـ فيه على الإنسان من أبواب العلم بالكون ومكوناته ومظاهره ما لم يفتح به من قبل، وفتن الإنسان فيه بالعلوم الكونية وتطبيقاتها فتنة كبيرة ونسي الهدف الرئيس من وجوده في هذه الحياة عبداً لله مستخلفاً في الأرض لعبادة خالقه بما أمر ولعمارة الأرض وإقامة عدل الله فيها استعداداً للقاء الله، ومع نسيان أغلب الناس لرسالة الإنسان في هذه الحياة أصبحت البشرية أحوج ما تكون إلى الهداية الربانية. كذلك تتضح أهمية دراسات الإعجاز العلمي في كتاب الله ـ على تعدد مجالاتها ـ في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه لأن ثبات صدق الإشارات القرآنية في القضايا الكونية (من مثل إشاراته إلى عدد من حقائق علوم الأرض وهي من الأمور المادية الملموسة التي يمكن للعلماء التجريبيين إثباتها) أدعى إلى التسليم بحقائق القرآن الأخرى خاصة ما يرد منها في مجال العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات التي تمثل ركائز الدين، ولا سبيل للإنسان في الوصول إلى قواعد سليمة لها، وإلى ضوابط صحيحة فيها إلا عن طريق بيان رباني خالص لا يداخله أدنى قدر من التصور البشري. والقرآن الكريم هو النص السماوي الوحيد الموجود بين أيدي

الناس اليوم والذي يمثل ذلك منذ أربعة عشر قرناً مضت وسوف يبقى كذلك إلى أن يرث الله ـ تعالى ـ الأرض ومن عليها.

ونورد هنا خمسة وثلاثين من النصوص القرآنية الكريمة التي أشارت إلى عدد من الحقائق العلمية عن الأرض في الآيات التالية:

١ ـ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

٢ ـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

٣ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٤ ـ ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣١].

٥ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

٦ ـ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١٢].

٧ ـ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦].

٨ ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبإ: ٦ ـ ٧].

٩ ـ ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢ ـ ٣٣].

١٠ ـ ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

١١ ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

١٢ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

١٣ ـ ﴿الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: ١ ـ ٥].

١٤ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢].

١٥ ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨].

١٦ ـ ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

١٧ ـ ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

١٨ ـ ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

١٩ ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

٢٠ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

٢١ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [غافر: ٦٤].

٢٢ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧].

٢٣ ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧].

٢٤ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

٢٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

٢٦ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠].

٢٧ ـ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

٢٨ ـ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

٢٩ ـ ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

٣٠ ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ . . .﴾ [التوبة: ٣٦].

٣١ ـ ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا . . .﴾ [الأنعام: ٩٢].

٣٢ ـ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

٣٣ ـ ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣٤ ـ ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

٣٥ ـ ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٧ ـ ٨].

**ومن الحقائق العلمية التي سبقت بها هذه الآيات كل المعارف الإنسانية ما يلي:**

١. التلميح إلى مركزية الأرض من الكون بالإشارة إلى تطابق أقطار الأرض (مع ضآلتها وقلة حجمها النسبي) مع أقطار السمٰوات (على ضخامتها واتساع أبعادها).

٢. الإشارة إلى البينية الفاصلة بين السمٰوات والأرض ممثلة في الغلاف الغازي للأرض الذي هو خليط من كل من الغازات المندفعة من داخل الأرض مع ثورات البراكين والمواد المنتشرة من دخان السماء بين كل من الأرض والقمر، والكواكب المجاورة وما يفصلها عن الشمس.

٣. تأكيد أن الحديد في الأرض (أكثر من ٣٥,٩٪ من كتلتها)، وفي مجموعتنا

الشمسية كلها قد أنزل إنزالاً حقيقياً إليها من خارج نطاق المجموعة الشمسية.

٤. الإشارة إلى استقرار الأرض بقدرة الله ﷻ الذي أنزل إليها الحديد ليستقر في قلبها على هيئة كرة ضخمة، تؤكد الاستقرار لها؛ وينتشر الحديد بنسبة متناقصة من مركز الأرض إلى سطحها (من ٩٠٪ إلى ٥,٦٪).

٥. إثبات أنه من صفات أرضنا أنها «**أرض ذات صدع**» والدراسات العلمية تؤكد ذلك وتدعمه.

٦. إثبات صفة التسجير لقيعان عدد من البحار الخاصة التي تعرف باسم: «البحار المنفتحة» والتي تتميز بتصدع قيعانها بأعداد من الصدوع العميقة التي تصل إلى نطاق الضعف الأرضي المكون من شبه صهارة في درجات حرارة تتعدى ألف درجة مئوية فتندفع الصهارة عبر تلك الصدوع لِتسجر قيعان كل محيطات الأرض وقيعان أعداد من بحارها.

وهكذا أثبتت الدراسات بعد الحرب العالمية الثانية أن جميع محيطات الأرض ـ بما في ذلك المحيط المتجمد الشمالي والجنوبي ـ قيعانها مسجرة تسجيراً حقيقياً بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من نطاق الضعف الأرضي في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، وكذلك أعداد من البحار التي تتوسع قيعانها بالتصدع من مثل البحر الأحمر وهذه حقائق لم تُدْرك إلا في أواسط الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين.

٧. تأكيد إرساء كل من الجبال في الأرض، وإرساء الأرض بالجبال، وهذه الحقائق من أواخر ما أثبتته الدراسات في علوم الأرض.

٨. وصف الجبال بأنها (أوتاد) والعلم يكتشف اليوم أن كل مرتفع أرضي له امتداد في داخل الأرض يتراوح طوله بين (١٠) و(١٥) ضعف ارتفاعه فوق مستوى سطح الأرض.

٩. وصف الجبال بأنها مكونة من جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود

وهي ألوان الصخور الأولية (النارية) الأساسية، وتتخذ هذه الألوان وسيلة من وسائل تصنيف تلك الصخور التي عنها ينتج كل من الصخور الراسبة والمتحولة، وتحمل نفس الألوان.

١٠. الإشارة إلى كروية الأرض بتكور كل من الليل والنهار وبتعدد المشارق والمغارب.

١١. الإشارة إلى تمهيد الأرض وتسوية سطحها، والعلم يشير إلى أنها كانت في بداية الأمر وعرة التضاريس بشكل كبير لا تستقيم معه الحياة.

١٢. الإشارة إلى إنقاص الأرض من أطرافها، والعلم يؤكد أن أرضنا الابتدائية كانت على أقل تقدير مائة ضعف حجم أرضنا الحالية، وأن كتلة وحجم أرضنا في تناقص مستمر حتى تتوازن مع ما تفقده الشمس على هيئة طاقة، وهو يساوي ٤,٦ مليون طن من المادة في كل ثانية.

١٣. الإشارة إلى أن كل ماء الأرض وجزءاً هاماً من غلافها الغازي قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من داخل الأرض بعلمه وحكمته وقدرته.

١٤. التلميح إلى دورة الماء حول الأرض، وإلى أن أصل الماء المخزون في صخور القشرة الأرضية هو من ماء المطر النازل من السماء بقدر معلوم، وبقدرة رب العالمين الذي هو قادر على أن يسلكه ينابيع في الأرض، وقادر على تغويره وضياعه إن شاء.

١٥. الإشارة إلى اهتزاز التربة وارتفاعها إلى أعلى بمجرد نزول الماء عليها.

١٦. تأكيد أن الزبد «يذهب جفاءً» وأما ما ينفع الناس «فيمكث في الأرض».

١٧. الإشارة إلى أن المعركة الفاصلة بين كل من الفرس والروم كانت في منطقة تعتبر أكثر مناطق اليابسة انخفاضاً وأقربها إلى جزيرة العرب **(أدنى الأرض)** وهي أرض (وادي عربة/ وادي الأردن/ طبرية) والعلم يؤكد أن منسوب الماء في البحر الميت يصل إلى ٤٠٠م تحت المستوى العادي لسطح البحر، وأن

قاع البحر الميت يصل في أعمق أجزائه إلى (٨٠٠م) تحت مستوى سطح الماء في البحار العادية.

١٨. وصف كل من الليل والنهار والشمس والقمر بأنها ضوابط ربانية لتحديد الزمن الأرضي، ووسيلة جيدة للتأريخ للأحداث، وللقيام بالعبادات، وأداء الحقوق والواجبات.

١٩. تشبيه فلق نور فجر الصبح من ظلمة الليل على سطح الأرض بفلق الحبة النباتية أو البذرة أو النواة عند إنباتها، وذلك بوصول القدر الكافي من الماء إليها، والتأكيد على أن الليل للسكن والنهار للكد والكدح وإعمار الأرض وإقامة عدل الله فيها، وأن الشمس والقمر وسيلتان دقيقتان من وسائل حساب الزمن.

٢٠. تأكيد أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السمٰوات والأرض، مما يؤكد ثبات بعد الأرض عن الشمس وثبات سرعة جريان الأرض في مدارها المخصص لها حول الشمس، وهما يحددان سنة الأرض كما يحددان تقسيم السنة إلى شهور شمسية قريبة من شهور دورة القمر حول الأرض ومنازله بالنسبة إلى بروج السماء.

٢١. تأكيد مركزية مكة المكرمة من اليابسة.

٢٢. الإشارة إلى أن أول بيت وضع للناس هو المسجد الحرام في مكة المكرمة.

٢٣. تأكيد أن في المسجد الحرام آيات بينات وأن منها «مقام إبراهيم» وأن من دخل الحرم المكي كان آمناً.

٢٤. الإشارة إلى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ والكشوف الأثرية قد كشفت بالفعل عن أسوار هذه المدينة وقلاعها، ولا يزال العمل مستمراً من أجل الكشف الكامل عنها.

## ثالثاً: من آيات النبات في القرآن الكريم

جاءت الإشارة إلى النبات في أكثر من مائة موضع من القرآن الكريم، منها ما يشير إلى عمليات إنبات النبات وإخراجه من الأرض، وإلى تباين أشكاله وأنواعه وألوان ثماره وتفاضل طعومها. وفي هذه الآيات دعوة للإنسان للتبصر والتأمل والتدبر والتفكر والتعقل، خاصة وأن القرآن الكريم في كثير من آياته يلفت نظر الإنسان إلى التشابه الكبير بين عملية إنبات النبات من الأرض وعمليتي خلق الإنسان ثم موته وبعثه من الأرض، تأكيداً على الوحدة بين الخلق والبعث، وبين أصول الحياة على الأرض ولذلك يحفل القرآن الكريم بالآيات التي تربط بين هذه القضايا مجتمعة والتي تربط بين إحياء الأرض بإنبات النبات فيها. وآيات النبات العديدة في القرآن الكريم نختار منها ما يلي:

١ - ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

في هذا النص القرآني إشارة إلى تكوين التربة أساساً من المعادن الصلصالية ذات القابلية العالية لامتصاص الماء والتميؤ به، مما يؤدي إلى زيادة حجمها واهتزازها وانتفاضها بمجرد نزول الماء عليها، كما يشير إلى الغازات الموجودة بين رقائق معادن الصلصال والتي يطردها الماء بمجرد وصوله إلى المسافات الفاصلة بين تلك الرقائق، ويعين الماء على انتعاش صور الحياة في التربة وعلى التفاعلات الكيميائية وعلى التنافر بقطبيته المزدوجة مع الشحنات الكهربية المشابهة والتي تحملها أسطح رقائق الصلصال، كما يشير إلى دقة حجم حبيبات المعادن الصلصالية مما يحولها إلى الحالة الغروية بمجرد وصول الماء إليها، وهي حالة تتدافع فيها جسيمات المادة بقوة وبأقدار غير متساوية في كل الاتجاهات بحركة دائبة تعين على اهتزاز التربة وانتفاضها بشدة إلى أعلى. وهذه الحقائق لم تدركها العلوم المكتسبة إلا في القرن العشرين.

٢ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥].

في هذا النص الكريم إشارة إلى أن للبذور النباتية اسمين متمايزين: «**الحب والنوى**»، والأول يشمل البذور الهشة أي القابلة للطحن وهي المستخدمة كمحاصيل غذائية أساسية للإنسان، ومنها ذوات الفلقة الواحدة مثل: القمح والشعير والذرة والشوفان، وذوات الفلقتين مثل: الفول، الحمص، البازلاء، العدس، الترمس، وغيرها، أما البذور التي لها قدر من الصلابة فيطلق عليها اسم «النوى» مثل نوى البلح، نوى المشمش، نوى الخوخ، نوى البرقوق وأشباهها.

ويغلف البذور (بما فيها من جنين ومواد غذائية مكتنزة) عدد من الأغلفة اللازمة لحمايتها من المؤثرات الخارجية، ومن هذه الأغلفة ما يتميز بالرقة مع إحكامه كما هو الحال في أغلب البذور، ومنها ما يتميز بالصلابة الشديدة كما هو الحال في النوى. وهناك شروط داخلية وخارجية لإنبات البذور منها وفرة الماء، وشق التربة نتيجة لانتفاخ البذرة بالماء (بقوة الإنبات) وبدء نمو الجنين، والزيادة التدريجية في حجمه، وهي عملية معقدة للغاية، لا يقوى عليها أحد من الخلق، ولا يمكن لها أن تتم بغير توجيه وهداية ربانية، وهي حقائق لم تدرك إلا في القرنين الماضيين، ولذلك ينسبها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لذاته العلية.

٣ ـ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن خلق الأحياء من تراب الأرض ومائها ـ بما في ذلك النبات والحيوان والإنسان ـ هو من أجمل صور إخراج الحي من الميت، وكذلك قدرة الكائنات الحية على تحويل عناصر الأرض وجزيئات الماء والهواء ـ وكلها مواد ميتة ـ إلى خلايا حية.. وعلى الجانب

الآخر فإن تحلل أجساد الأحياء بعد موتها إلى تراب الأرض ومائها هي صورة من صور إخراج الميت من الحي.

٤ ـ ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

في هذه الآية الكريمة عدد من الحقائق العلمية التي نذكر منها ما يلي:

- تكون الغلاف الصخري للأرض من عدد من الصخور والتربة المتجاورة.
- تباين أنواع التربة الناتجة عن تحلل الأنواع المختلفة من الصخور.
- تباين صور الحياة النباتية بتباين التربة ومختلف الظروف البيئية المحيطة بها.
- تباين الشيفرات الوراثية من نبات إلى آخر مما يجعل لكل نبات قدراته الخاصة على استخلاص عناصر محددة من الأرض لتعطي من ثمارها ما يفضل بعضها على بعض في الأكل.
- لكل من ثمار الأعناب والنخيل من الميزات ما لا يتوافر لغيرها من ثمار النباتات الأخرى، وكذلك لأشجارها من الخصائص ما يميزها عن غيرها من الزروع.

٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

في هذه الآية الكريمة من الحقائق العلمية ما يمكن إيجازه فيما يلي:

- إشارة إلى أن الماء المخزون تحت سطح الأرض كله من ماء المطر.
- إخراج الزروع مختلفة الألوان من الأرض الواحدة بمجرد نزول المطر عليها.

- سيادة الأصباغ الخضراء في بدء حياة النبتة ثم الصفراء الشبيهة بأصباغ الجزر عند تمام نضجها، ثم عند جفاف النبتة وفقد مائها تبدأ في التحلل وتبدأ عوامل التعرية في تفتيتها.

٦ - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى اختلاف ألوان الثمار بمعنى اختلاف أصباغها وإلى فوائد ذلك للنبات ذاته ولآكلي تلك الثمار من الإنسان والحيوان.

٧ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى دور النبات الأخضر في عمليات التمثيل الضوئي التي يوظفها في صناعة سلسلة الكربوهيدرات (من أمثال السكريات، النشاء، السيليولوز) المكونة لأجزاء النبات المختلفة ولأغلب الثمار.

٨ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى دورة الماء حول الأرض، وهي دورة يطهر بها ماء الأرض الذي يعيش ويموت في مختلف أوساطه مئات البلايين من الكائنات الحية في كل لحظة، ولولا هذه الدورة المحكمة لفسد ماء الأرض وأسن وما كان صالحاً لشرب الإنسان أو الحيوان ولا لسقيا النبات، وماء المطر النازل من السماء والثلوج المتساقطة معه يمثلان أنقى حالات الماء الطبيعي على سطح الأرض ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

٩ - ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى ثراء قطاع التربة بمختلف مجموعات النباتات الدقيقة مثل البكتيريا والفطريات والطحالب والأبواغ وحبوب اللقاح وغيرها، ومن البقايا الفتاتية للنباتات الكبيرة ومن بقايا الحيوانات المتباينة الأحجام والصفات مما يُثري التربة بالمواد العضوية والدبالية ويجعلها صالحة للزراعة، كذلك في الآية الكريمة إشارة إلى العديد من الثروات المعدنية الهامة الموجودة فيما تحت الثرى.

١٠ - ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الروابي هي أنسب أماكن الأرض لزراعة أشجار الفاكهة وأشجار الثمار الأخرى، وذلك نظراً لتميزها بلطف مناخها ووفرة مائها، وزيادة فرص تعرضها لكل من أشعة الشمس ومطر السماء ورطوبة الجو وحركة الرياح، وإذا نزلت بها الأمطار هاطلة تضاعف إنتاجها وذلك لأن الزائد على حاجتها من الماء يفيض إلى ما دونها بفعل جاذبية الأرض نظراً لارتفاعها عما حولها، وإذا تضاءلت الأمطار عليها فإنها تعطي ثمارها وافرة لتشبع الهواء من حولها بالرطوبة بسبب ارتفاعها، والآية الكريمة جاءت في مقام التشبيه وتبقى دلالتها العلمية فائقة الإحكام والدقة.

- كذلك فإن في الآيات الخمس التالية عدداً من الحقائق العلمية المتعلقة بعلوم النبات:

١١ - ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

١٢ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

١٣ - ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

١٤ - ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

١٥ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ومن الحقائق العلمية التي سبقت بها هذه الآيات القرآنية الخمس ما يلي:

إن الكون الذي نحيا فيه مخلوق، خلقه الله ـ تعالى ـ بعلمه وقدرته وحكمته، وكل مخلوق له بداية تحاول العلوم الكونية تقديرها، ووصلت في ذلك إلى قرابة أربعة عشر بليوناً من السنين، وكل ما له بداية لا بد وأن ستكون له في يوم من الأيام نهاية لا يعلمها إلا رب العالمين، لأن الساعة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا تماماً، وهي لا تأتي إلا بغتة بأمر من الله تعالى بـ (كن فتكون)، وإن كان ربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد ترك لنا في صخور الأرض وفي صفحة السماء من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان على فهم إمكانية حدوث الساعة دون إمكانية لتحديد موعدها لأن سننها مغايرة لسنن الدنيا تماماً كما سبق وأن أشرنا.

ومن هذه الحقائق أن الله ـ تعالى ـ خلق الماء قبل خلق الحياة، وخلق من الماء كل شيء حي، وجعل الماء المكون الغالب في أجساد جميع الكائنات الحية، وخلق الحياة الباكرة في الماء قبل خلقها على اليابسة بأكثر من ثلاثة آلاف وأربعمائة مليون سنة، وجعل جميع العمليات الحيوية لا تتم في غيبة الماء، ولذلك قال ـ عز من قائل: ـ ﴿. . .وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ومن هذه الحقائق أن الله ـ تعالى ـ خلق كلاً من الأرض والسماء في يومين (أي على مرحلتين متتاليتين). وألقى في الأرض رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام (أي أربع مراحل متتالية) ولذلك قال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

ومن هذه الحقائق أن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان في زوجية واضحة حتى يبقى ـ جل جلاله ـ متفرداً بالوحدانية

المطلقة فوق جميع خلقه ولذلك قال ـ عز من قائل: ـ ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

ومن هذه الحقائق أن الله الخالق ﷻ سخَّر كلًّا من عمليات التجوية والتحات والتعرية والنقل والترسيب لتسوية سطح الأرض، وشق كل من الفجاج والسبل والمجاري المائية فيها، وتكوين كل من السهول المنبسطة والتربة الخصبة التي تحمل المركبات العضوية وغير العضوية، والرطوبة، والبذور النباتية المختلفة التي بدونها ما أنبتت الأرض.

وفي أثناء هذه العمليات يتكون كل من الرسوبيات والصخور الرسوبية (بمخزونها من الثروات المائية والنفطية والمعدنية) ويتمايز العديد من ركائز المعادن، وتصبح الأرض صالحة للعمران بعد أن جعلها الله ـ تعالى ـ فراشاً سهلاً للإنسان ولغيره من المخلوقات.

وسوف تظل هذه العمليات الأرضية التي سخرها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى ما شاء الله، لأنها لو توقفت لتوقفت الحياة على الرغم من كونها عمليات بطيئة، فالسنتيمتر الواحد من سمك الطبقات المترسبة يحتاج إلى ما بين ثلاث سنوات وثلاثمائة سنة كي يزال من مكانه بواسطة عمليات التعرية، مما يؤكد أن عمليات تسوية سطح الأرض قد استهلكت من الوقت والطاقة ما لا قبل للإنسان به.

كذلك سخر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من القوى غير المرئية ما يمسك بالسماء وأجرامها وغازاتها ومختلف صور المادة والطاقة فيها حتى صارت بناء محكماً من الذرة إلى المجرة، وأحكم الخالق ﷻ دورة الماء حول الأرض ولولاها لفسد ماء الأرض، ومن هنا كانت الإشارة القرآنية إلى إنزال الماء من السماء تأكيداً لنعمة من نعم الله الكبرى والتي بدونها ما كانت الحياة. وأتبعت الإشارة إلى نعمة إنزال الماء من السماء بنعمة إخراج الثمرات وذلك لارتباط حياة كل من الإنسان والحيوان بالنبات وثماره وارتباط مختلف صور الحياة بالماء.

ومن هنا كانت حكمة الله البالغة في خلق النبات أولاً ثم خلق الحيوان حتى هُيِّئت الأرض لاستقبال خلق الإنسان ذلك المخلوق الذي كرمه الله ـ تعالى ـ بجعله أكرم المخلوقات أجمعين إذا استقام على طريق الله والتزم به وفهم حقيقة رسالته في هذه الحياة.

١٦ ـ ﴿... وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩].

والنصف الأول من هذه الآية الكريمة تمت مناقشته في الأسطر السابقة وقد أشار إلى عملية التمثيل الضوئي بذكر **اليخضور (فأخرجنا منه خضراً)** الذي هو أصل كل الحبوب والثمار قبل أن تصل العلوم المكتسبة إلى معرفة ذلك بقرون طويلة، وفي كلمات محددة أشار هذا النص القرآني المعجز في تسلسل رائع إلى محاصيل النباتات وثمارها من الحب المتراكب إلى ثمار كل من النخيل والأعناب والزيتون والرمان ليجمع كل أنواع الغذاء الأساسي للإنسان ولأنعامه، ويشير إلى مصادرها في النبات وهي المادة الخضراء. أما باقي النباتات الراقية المعروفة لنا فهي إما من كماليات الطعام أو من الأخشاب والأعشاب، أو هي من نباتات الظل أو الزينة ـ وذلك على أهميته ـ يبقى من الكماليات وليس من الضروريات الملحة لحياة الإنسان وأنعامه.

وبالإضافة إلى هذا الشمول يأتي التعبير الإلٰهي المعجز في هذا النص بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ليعبر عن حقيقة التنوع الهائل لتلك النباتات بما أودعها الله ـ تعالى ـ من قدرات وراثية هائلة في داخل كل خلية نباتية.

١٧ ـ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩ ـ ١١].

وهذه الآيات تأتي من علم النبات في الصميم، والآية العاشرة من بينها تشير إلى القوى التي وهبها الله ـ تعالى ـ للنخل الطوال كي تمكنها من رفع

العصارة الغذائية من التربة إلى قمتها مهما تسامقت وارتفعت، وإلى أن هناك ما يقرب من عشرة آلاف زهرة على الطلع الواحد منضودة (أي متراكبة بعضها فوق بعض) فتأتي الثمار منضودة كذلك وهذه الحقائق لم تكن معروفة في زمن الوحي ولا لقرون متطاولة من بعده، وورودها بهذه الدقة العلمية في كتاب أنزل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين لمما يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنه كلام الله (الخالق)، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه ﷺ بالنبوة وبالرسالة.

١٨ ـ ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأَكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

هذه الآية الكريمة تشير إلى عدد من الحقائق العلمية المهمة: أولها أفضلية زيت الزيتون على غيره من الزيوت النباتية لفوائده الصحية العديدة، والقيمة الغذائية لثمرة الزيتون والقيمة النباتية لشجرته المباركة، وهي من الأشجار دائمة الخضرة التي لا تحتاج إلى كثير من الرعاية من الإنسان، وأخشابها وثمارها وزيوتها لها صفات متميزة عن غيرها. والآية الكريمة تشير إلى تميز شجر الزيتون الذي ينبت في طور سيناء ـ بصفة خاصة ـ وفي المنطقة من حوله ـ بصفة عامة ـ كما تشير إلى احتمال أن تكون هذه المنطقة هي مصدر أشجار الزيتون في العالم، وعلى علماء المسلمين إثبات ذلك.

١٩ ـ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين ١ ـ ٣].

هذه الآيات القرآنية الثلاث يقسم فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بكل من التين، والزيتون، وجبل طور سيناء، ومكة المكرمة، والله تعالى غني عن القسم لعباده، ولكن إذا جاءت الآية القرآنية بصيغة القسم كان في ذلك تنبيه لنا لأهمية الأمر المقسم به.

وفي القسم بالتين تأكيد على تميز ثمرته بقيمتها الغذائية والصحية، وما بها من إنزيمات مفيدة وغير ذلك من المركبات الكيميائية الهامة، ومنها المضادة للسرطانات والفيروسات والبكتيريا والطفيليات كما أثبتت الدراسات مؤخراً.

وفي القسم بالزيتون إشارة إلى تمييز أشجاره وثماره وزيوته بميزات عديدة لا تتوافر لغيره من النباتات.

وفي القسم بكل من جبل طور سيناء الذي ناجى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عبده موسى من جانبه الأيمن، ومكة المكرمة أشرف بقاع الأرض قاطبة التي حرمها الله تعالى يوم خلق السمٰوات والأرض، وأمر ملائكته ببناء الكعبة المشرفة فيها كأول بيت وضع للناس، ودحا من موقعها كل اليابسة، وأهبط فيها أبا البشر وأول الأنبياء أبانا آدم عليه السلام، وبعث فيها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، ليلتقي فيها أول النبوة بختامها تأكيداً على وحدة رسالة السماء، وعلى الأخوة بين الأنبياء؛ ولذلك جعلها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ قبلة للصلاة، وجعل حجّها والاعتمار بها من أجلّ العبادات لله، وجعل الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، كما جعل الحسنة فيها بمائة ألف ضعف.

٢٠ ـ ﴿... وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ...﴾ [الفتح: ٢٩].

هذا النص القرآني الكريم يشير إلى حقيقة علمية لم تكن معروفة في زمن الوحي ولا لقرون عديدة من بعده، وهي **حقيقة تكاثر النباتات بالأشطاء**، وهي عبارة عن سيقان إضافية تنمو من براعم قاعدية عند المنطقة الفاصلة بين الجذر والساق، كما هو الحال في نباتات القمح والشعير والشوفان والأرز وغيرها، حيث تنمو الساق الأساسية أولاً من داخل البذرة النابتة، ثم ينمو العديد من هذه السيقان الإضافية التي تندفع من قاعدة الساق، والتي قد يزيد عددها على الثلاثين في النبتة الواحدة، والتي سرعان ما تنمو حتى تصل إلى طول الساق الأصلية تقريباً، وتعطي سنابل مثلها. وهذه الأشطاء تخرج متلاحقة الواحد تلو الآخر، ومن هنا كان التعبير بالإفراد في هذا النص القرآني المعجز ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، وكان وصف التتابع بحرف العطف (ف) الذي يدل على الترتيب مع التعقيب فقال تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾.

وبهذا النمط من التكاثر، فإن الساق الأصلية للنبات تحاط بعدد من السيقان الثانوية التي تنمو حولها على هيئة حزمة من الأعواد القائمة التي تزيد من سمك النبتة الأساسية، وتغلظ من قطرها، وتمكنها من الانتصاب قائمة فوق مجموعها الجذري، فتزيد من قدرتها على مقاومة هبوب الريح، وتبعد كلًّا من الأعشاب الضارة والآفات والحيوانات عنها، وتضاعف من غلتها.

وهذا النص القرآني الكريم جاء في مقام التشبيه لصحابة رسول الله ﷺ في التفافهم حوله، وحبهم له، وتلقيهم عنه، واقتدائهم به، وافتدائهم له بالنفس والنفيس فشبههم الله ـ تعالى ـ بالأشطاء حول النبتة الأساسية. ويأتي التشبيه في غاية الدقة من التعبير اللغوي والعلمي والنفسي ليشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله (الخالق)، ويشهد للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

٢١ ـ ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: ٤٧].

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن أفضل وسيلة لحفظ المحاصيل الزراعية التي تنبت في سنابل (كالقمح والشعير والشوفان والأرز وأمثالها) هي حفظها في سنابلها، وقد أثبتت الدراسات التجريبية صحة ذلك ودقته، وقد طبقها نبي الله يوسف (على نبينا وعليه من الله السلام) لعدد من السنين وصلت إلى خمس عشرة سنة دون أن تفسد أو أن يصيبها شيء من العطب، بل بقيت محتفظة بقيمتها الغذائية كاملة، وبحيويتها وقدرتها على الإنبات والنمو والإثمار.

٢٢ ـ ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦].

من المسلّمات في الإسلام العظيم أن المعجزات التي أجراها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على أيدي أنبيائه ورسله هي خوارق للسنن، وبالتالي فإن العلوم المكتسبة لا تستطيع تفسيرها، والشجرة التي أنبتها الله ـ تعالى ـ ليظلل بها عبده ونبيه يونس ابن متى (على نبينا وعليه من الله السلام) هي من

المعجزات، ولكن الإشارة إلى شجرة من يقطين تظلل رجلاً نبذ بالعراء وهو سقيم ـ أي منهك القوى مهترئ الجلد ـ تُشِيرُ إلى علاقة اليقطين بشفاء مثل هذه الحالة. وثبت بالدراسة المختبرية التي قام بها الدكتور «كمال فضل خليفة» الأستاذ المشارك لعلم النبات بجامعة الخرطوم أن باليقطينيات عدداً من المركبات الكيميائية المهمة التي لها تأثير طبي علاجي ووقائي واضح أبرزه في مقاومة الحشرات، وفي علاج العديد من الالتهابات الجلدية وتقرحاتها.

**وهنا يبرز التساؤل:** إذا كان القرآن الكريم من كتابة رسول الله ﷺ، كما يدعي أهل الكفر والشرك والضلال في القديم والحديث، فمن الذي أخبره من قبل ألف وأربعمائة سنة بما ثبت مؤخراً عن فوائد اليقطين: ثماراً، وزهوراً، وأوراقاً، وفروعاً، وسيقاناً، وجذوراً، في علاج العديد من الالتهابات الجلدية وتقرحاتها؟!

وهل يمكن أن يكون مثل هذا الكلام العلمي والتاريخي واللغوي الدقيق لغير الله الخالق؟!

وهل يمكن أن يكون منقولاً عن أساطير الأولين، أو عما بقي من ذكريات التوراة والإنجيل؟ وللإجابة على ذلك أقول: في سفر يونس أو (يونان = Jonah) في سلسلة تومبسون للإنجيل ـ الطبعة الدولية الحديثة ـ طبعة الملك جيمس التي قام على جمعها وتحريرها القس فرانك تشارلس تومبسون Thompson Chain - Reference Bible: New International Version,) King James Version Frank Charles Thompson) والمنشورة في كل من ولايتي إنديانا (إنديانا بوليس) وميتشجيان (جراند رابدز) والمنشورة باستمرار من سنة ١٩٠٨ إلى ١٩٨٢م، كما طبعت عدة مرات بعد ذلك، جاء النص التالي في الصفحة رقم ٩٤٧:

"But the Lord Provided a great fish and Jonah was inside the fish three days and three nights".

وفي الترجمة العربية المنشورة بواسطة دار الكتاب المقدس للشرق الأوسط ص: ١٢١٦ جاء ما يلي:

«وأما الرب فأعد **حوتاً عظيماً** ليبتلع يونان. فكان يونان **في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال**».

فالترجمة الإنجليزية تقول: **سمكة كبيرة**، والترجمة العربية تقول: «**حوتاً عظيماً** ليبتلع يونان. . .» ولو ابتلعه لقضي عليه.

والنص القرآني الكريم يقول: «﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾» أي أخذه كاللقمة في فمه ولم يبتلعه. ومن الحيتان نوع يعرف باسم الحوت الأزرق، وهو أضخم حيوان نعرفه، ومع ضخامته ليس له أسنان ولذلك يتغذى على الكائنات الهائمة في ماء البحر، وبلعومه لا يمرر سمكة صغيرة فضلاً عن إنسان كامل.

وهذا يوضح الفارق الكبير بين كلام الله المتصف بالكمال المطلق، وكلام البشر المتصف بالنقص والقصور.

كذلك جاء بالترجمة الإنجليزية ص: ٩٤٨ ما يلي:

"Then the Lord God provided a vine and made it grow up over Jonah to give shelter for his head to ease his discomfort, and Jonah was very happy about the vine".

وجاء في الترجمة العربية لهذا النص الذي توزعه دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ص: ١٢١٧ ما يلي: «فأعد الرب الإلٰه **يقطينة** فارتفعت فوق يونان لتكون ظلّاً على رأسه لكي يخلصه من غمه، ففرح يونان من أجل **اليقطينة** فرحاً عظيماً». وظلت الترجمة تذكر (**اليقطينة**) خمس مرات والترجمة الإنجليزية تقول: **كرمة عنب**، والقرآن الكريم يقول لنا فيه رب العالمين: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ﴾.

فمن أخذ عن من؟

وأي الترجمتين أصدق. . . الإنجليزية أم العربية؟

وهل الأصل الذي ترجم عنه موجود؟ وأين هو للرجوع إليه إن كان لا يزال موجوداً؟

هذا غيض من فيض يخرس الألسنة المتطاولة على كتاب الله وعلى خاتم أنبيائه ورسله.

٢٣ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

تشير هذه الآية الكريمة إلى أهمية الطعام في حياة الإنسان، لأن الطعام هو مصدر الطاقة اللازمة لمختلف الأنشطة في جسم الإنسان واللازمة لبناء خلاياه وأنسجته في مختلف مراحل نموه، وللإحلال محل الذي يهلك منها بعد تمام النمو، وللمحافظة على درجة حرارة جسمه. ويحتاج الإنسان، في طعامه إلى الكربوهيدرات والبروتينات والزيوت والدهون، وقد هيأ الله ـ تعالى ـ النبات ليصنع لنا كل الكربوهيدرات التي يحتاجها الإنسان والحيوان الآكل للأعشاب في حياته، ويصنع عدداً من البروتينات كالزيوت والدهون، ويتم ذلك بعمليات معجزة تشهد للإلٰه الخالق ﷻ بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وإحكام الخلق، كما تشهد له ﷻ بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

كذلك هيأ الله ـ تبارك وتعالى ـ للحيوان القدرة على تحويل ما يأكله من النبات إلى سلسلة طويلة من البروتينات التي يحتاجها كلّ من الإنسان وبعض الحيوان في طعامه، وذلك عبر العديد من العمليات المعقدة التي تشهد للخالق ﷻ بأنه هو الله.

وبعد استعراض معجزات إنزال الماء من السماء، وشق الأرض، وإنبات الحب، والعنب والقضب، والزيتون والنخل فيها، بالإضافة إلى الحدائق الغُلْب، والفاكهة والأبَّ عرضت سورة «عبس» في تسع آيات قصار لا تشغل

أكثر من سطرين أهم النباتات التي تشكل الطعام الرئيس للإنسان وأنعامه، ولذا ختمت بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾.

وهذا الحصر الدقيق لما يحتاجه الإنسان وأنعامه من طعام في كلمات قليلة يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، كما يشهد للعبد الصالح الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

٢٤ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يسٓ: ٨٠].

هذه الآية الكريمة تحقيق واقعي لقول رسول الله ﷺ في وصفه للقرآن الكريم بأنه لا تنتهي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، وذلك لأن أهل البادية فهموها من قبل ألف وأربعمائة سنة بالخشب أو الحطب أو بشجرتي المرخ والعفار، ونحن نفهمها اليوم في إطار كل صور الطاقة ذات الأصل العضوي من كل الفضلات النباتية والحيوانية مثل التبن والقش، والحطب والخشب، إلى الفحم النباتي، والفحم الحجري والغازات المصاحبة له، إلى الطَّفْلة الزيتية إلى النفط والغازات المصاحبة له. وكل هذه المصادر للطاقة يلعب الدور الرئيس في تكوينها الشجر الأخضر وما وهبه الله ـ تعالى ـ من قدرة على احتباس جزء من طاقة الشمس يعينه على تحليل الماء إلى مكوناته الأساسية: الأيدروجين والأكسجين، فيطلق الأكسجين ويحتفظ بذرات الإيدروجين، كما يعينه على تحليل ثاني أكسيد الكربون (الذي يمتصه النبات من الغلاف الغازي للأرض) إلى مكوناته الأساسية: الكربون، الأكسجين، فيحتفظ بذرة الكربون ويطلق الأكسجين إلى الجو، ثم يربط ذرات الكربون والأيدروجين بروابط كيميائية على هيئة سلاسل الكربوهيدرات المختلفة (السكر بمختلف أنواعه، النشا، السيليولوز، وغيرها) التي تشكل كل أجزاء النباتات وثمارها ومحاصيلها التي يقتات عليها الإنسان وكثير من الحيوانات آكلة الأعشاب.

وعلى ذلك، فإن حركة الطاقة على الأرض تتلخص في تبادل ذرة الكربون

بين الهواء والنبات والحيوان والإنسان، يأخذها النبات من الغلاف الغازي للأرض بعملية التمثيل الضوئي ويهبها لكل من الحيوان والإنسان، ثم يعاود كل من النبات والحيوان والإنسان إطلاقها إلى الغلاف الغازي للأرض بعمليات التنفس، وبين عمليتي أخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو وإعادة إطلاقه إليه يختزن لنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كمًّا هائلاً من ذرات الكربون ليشكل مختلف مصادر الطاقة التي يحرقها الإنسان فيردها مرة أخرى إلى الغلاف الغازي للأرض. وهذه الدورة لم تكتشف إلا مؤخراً، وورود الإشارة إليها في القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة لممَّا يقطع بأن هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية.

## رابعاً: من آيات علوم الحيوان في القرآن الكريم

جاءت الإشارة إلى عدد من حيوانات الأرض في حوالي مائة وأربعين آية من آيات القرآن الكريم، نتناول منها هنا حوالي ثلاثين آية بهدف الإشارة إلى ما جاء فيها من سبق علمي، أنزله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه من قبل أربعة عشر قرناً على نبي أميٍّ ﷺ، بعث في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي فترة من الزمن لم يكن ممكناً لأحد من البشر الوصول إلى معرفة شيء من هذه الحقائق لتقادم الزمن، وبساطة الحياة، وقلة أدوات المعرفة العلمية، بل ندرتها في وقت تنزل الوحي بالقرآن الكريم ولقرون متطاولة من بعده.

**والآيات التي اخترناها مما يتعلّق بعالم الحيوان يمكن عرضها فيما يلي:**

١ ـ ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].

٢ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

٣ ـ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

٤ ـ ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

٥ ـ ﴿. . .وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٦ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦].

٧ ـ ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧].

٨ ـ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

٩ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ [سبإ: ١٤].

١٠ ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧].

١١ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ. . .﴾ [الأعراف: ١٣٣].

١٢ ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

١٣ ـ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [صٓ: ٣١ ـ ٣٣].

١٤ ـ ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

١٥ ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

١٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

١٧ ـ ﴿. . . فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

١٨ ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [النحل: ١١٥].

١٩ ـ ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

٢٠ ـ ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

٢١ ـ ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢].

٢٢ ـ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ...﴾ [المائدة: ٣١].

٢٣ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩].

٢٤ ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

٢٥ ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

٢٦ ـ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦].

ومن الحقائق العلمية التي سبقت بها هذه الآيات القرآنية الكريمة جميع المعارف المكتسبة بقرون كثيرة ما يلي:

(١) تأكيد حقيقة **أن كل نوع من أنواع الحياة يمثل أمة من الأمم** التي تجمعها صفات خارجية واحدة، وبنية تشريحية داخلية واحدة، ووظائف أعضاء واحدة، وبنية كيميائية حيوية واحدة، وصفات وراثية أساسية واحدة، وظروف بيئية متقاربة ـ وإن باعدت بينها المسافات الأرضية ـ، وقدرة على التزاوج فيما بينها وإنتاج سلالة خصبة، وهذا ما توصلت إليه العلوم المكتسبة في القرنين التاسع عشر والعشرين.

(٢) إن **النمل** كأمة من الأمم تحيا في جماعات منظمة، لها لغاتها الخاصة بها مع قدر من الذكاء والوعي والإدراك والشعور وحسن الإدارة والتنظيم، وتوزيع

المسؤوليات ومعرفة الله ـ تعالى ـ والمداومة على تسبيحه ومعرفة أنبيائه وتوقيرهم.

(٣) كذلك **النحل** كأمة من الأمم تعيش في جماعات تقوم الإناث فيها بحمل مسؤولية الجماعة، فهي التي تبني خلاياها في الجبال أو الشجر أو فيما يعرش لها الناس، وهي التي تأكل من كل الثمرات، ومن رحائق الأزهار وحبوب اللقاح فيها ومن زيوتها وشموعها، لتفرز ـ بما وهبها الله تعالى من قدرات ـ ذلك الشراب المختلف الألوان الذي جعل الله ﷻ فيه شفاء للناس، ومن هنا كان الخطاب في الآية الكريمة بالتأنيث والجمع، ويشمل هذا الشراب: عسل النحل، غذاء ملكات النحل، شمع النحل، العكبر (صموغ النحل وغذاؤه)، سم النحل، خبز النحل، وغير ذلك من المكونات.

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن عسل النحل مضاد حيوي قوي، ومطهر ناجح في مقاومة كل من البكتيريا، والفطريات والفيروسات، وفي تطهير مختلف أنواع الجروح والتقرحات، وفي علاج العديد من الأمراض، وفي الوقاية منها، وهذه الحقائق لم تكتشف مختبرياً إلا في خلال القرن العشرين.

(٤) الإشارة إلى بيت **العنكبوت** بالإفراد، لأن العنكبوت لا يحيا حياة جماعية، وبالتأنيث لأن أنثى العنكبوت هي التي تبني بيتها، و هي الحاكمة الآمرة فيه، ووصف هذا البيت بأنه (**أوهن البيوت**) ينطبق على بنائه المادي من مجموعة خيوط حريرية متناهية الدقة والشدة، ولكن تفصلها مسافات بينية كبيرة مما يضعف من بنيانه المادي، كما ينطبق الوصف القرآني ﴿أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ على البناء الاجتماعي لهذا البيت الذي تقضي فيه الأنثى على زوجها بمجرد إخصابه لها وذلك بقتله وافتراس جسده، كما أنها تلتهم صغارها في بعض الأحوال، والصغار قد يفترس بعضهم بعضاً في أحوال أخرى مما يضعف البنيان الاجتماعي لبيت العنكبوت.

(٥) تقرير أن **الذباب** يختلس ما يأخذه من أشربة وأطعمة اختلاساً، وينتزعه انتزاعاً

رغم أنوف أصحابها، ولذلك عبر القرآن الكريم بالتعبير المعجز: ﴿. . .وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ ثم قال: ﴿. . .لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ. . .﴾ والذبابة المنزلية تمتص الشراب بواسطة خرطومها ليصل إلى جهازها الهضمي مباشرة، والذي يقوم على الفور بهضمه وتمثيله تمثيلاً كاملاً، ثم بإرساله إلى جهازها الدوري مباشرة، فلا يمكن استنقاذه بأي حال من الأحوال.

أما إذا كان الطعام صلباً فإن الذبابة المنزلية تفرز عليه مع لعابها عدداً من العصائر الهاضمة والإنزيمات التي تذيبه في الحال فتمتصه الذبابة في ثوان معدودة، ثم يتم هضمه وتمثيله في ثوان معدودة كذلك وإرساله إلى الدم، ومن ثم فلا يمكن استنقاذه أبداً. ولذلك ختمت الآية الكريمة بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ والطالب هنا هو المسلوب الذي سلبه الذباب شيئاً من شرابه أو طعامه، والمطلوب هو الذباب السالب للشيء، وسواء كان المسلوب هو الفرد من بني الإنسان، أو هو الصنم أو الوثن المعبود من دون الله فكلاهما ضعيف ضعف الذبابة أو أضعف، وعاجز عن خلق خلية حية واحدة، فضلاً عن خلق ذبابة كاملة.

(٦) إن ضرب المثل القرآني **بالبعوضة** وما فوقها حجماً، وما هو أشد منها خطراً، يؤكد خطر البعوضة في نقل العديد من الأمراض، كما يؤكد أن أنثى البعوضة وحدها دون ذكرها هي الناقلة للأمراض، وهي حقائق مستحدثة على العلوم المكتسبة التي لم يصل الإنسان إلى معرفة شيء منها إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين، وسبق القرآن الكريم بالإشارة إليها مما يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه كلام الله الخالق.

(٧) إن تشبيه القرآن الكريم خروج الناس من قبورهم يوم البعث بهيئة **الجراد المنتشر** هو تشبيه معجز، وذلك لخروج المبعوثين من القبور عرايا كما تخرج حوريات الجراد عارية بعد انسلاخها من جلدها عدة مرات لتصل إلى حجم الحشرة البالغة، التي تتحرك بعد ذلك في أسراب يصل عدد الجراد في الواحد منها إلى عشرات البلايين، ولو تخيلنا بعث بلايين البشر الذين عمروا

الأرض من عهد أبينا آدم عليه السلام إلى اليوم، وبعث البلايين التي تعمر الأرض اليوم بعد أن يموتوا، وكذلك بعث سلالاتهم إلى قيام الساعة لكان التشبيه بالجراد المنتشر تشبيهاً معجزاً؛ لأنه لم يكن لأحد من الخلق إمكانية تصور ذلك في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده.

(٨) كذلك فإن تشبيه خروج الموتى من القبور لحظة البعث **بالفراش المبثوث** الذي يخرج من شرانقه حيث يتحول جلد الشرنقة (الخادرة) إلى حالة نصف شفافة، ثم ينشق لتخرج عذارى الفراش بالبلايين إن لم يكن بمئات البلايين في الوقت الواحد، تماماً كما ستنشق القبور عن أصحابها ويبعث الموتى بمئات البلايين ليخرجوا من قبورهم في ذهول واستغراب واضطراب وحيرة.

(٩) الإشارة إلى عدد من الحشرات التي تأكل الخشب تحت مسمى «**دابة الأرض**» ومنها ما يعرف باسم: «ناقرات أو ناخرات الخشب» أو «القادح» ومنها «الأرضة» أو «القرضة» ومنها «زنابير الخشب» و«يرقات الخنافس»، و«سوس الأشجار» و«نمل الخشب» أو «النمل الأبيض» وغيرها من الحشرات التي لم تكن معروفة في زمن الوحي ولا لقرون من بعده.

(١٠) الإشارة إلى إنزال (**المن والسلوى**) على نبي الله موسى وعلى من كانوا معه في تيه شبه جزيرة سيناء، و(المن) مادة صمغية حلوة لزجة كالعسل تتجمع على الأشجار من طلوع الفجر إلى شروق الشمس، ثم تجف فتتحول إلى مادة بيضاء كالدقيق تكشط من فوق جذوع الشجر وفروعه وأوراقه وتؤكل مباشرة، أو تذاب في الماء وتشرب على هيئة شراب حلو المذاق، ذي قيمة غذائية عالية.

وقد يتكون (المن) نتيجة لنزّ العصارة الغذائية للنبات نزاً ذاتياً إلى أسطحه الخارجية ثم جفافها، أو نتيجة لجروح تحدثها الحشرات التي تعيش على امتصاص العصارة الغذائية للنبات من مثل حشرة المن، وقد يكون من إخراج تلك الحشرات ذاتها.

أما (السلوى) فهي الطائر المعروف باسم (السمان) أو (الحجل)، وهو من الطيور المهاجرة التي تتحرك في مواسم محددة من السنة، والتي تُصْطَاد لأكل لحمها الذي يعتبر من أطيب لحوم الطير على الإطلاق.

والجمع بين (المن) و(السلوى) هو كذلك أمر معجز لأنه جمع بين الكربوهيدرات النباتية بما فيها من سكريات ونشويات (ممثلة في المن) وبين البروتينات الحيوانية (ممثلة في السلوى) وهي من أخف البروتينات وأيسرها هضماً مما يشكل وجبة غذائية كاملة للإنسان.

وهذه القضايا من المستجدات على العلوم المكتسبة، وعرضها في القرآن الكريم بهذه الدقة العلمية من الأمور المستحقة للاهتمام والانتباه، لأنه لم يكن لأحد من الخلق إلمام بها أو إدراك لها في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده.

(١١) تأكيد أن كلاً من **الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم** وغيرها من النوازل هي من جند الله التي يسخرها على من يشاء من عباده، كما سخرها على قوم فرعون، عقاباً للعاصين، وابتلاء للصالحين، وعبرة للناجين، والطوفان المائي قد يكون هادماً مدمراً مغرقاً إغراقاً كاملاً، والجراد يتحرك في أسراب تغطي مساحة تزيد على ألف كيلومتر مربع، بكتلة تقدر بآلاف الأطنان، ويأكل مثل هذا السرب في اليوم الواحد قدر وزنه من المزروعات فيجرد الأرض تجريداً من غطائها الخضري ويؤدي إلى خسائر في الثمار والمحاصيل الغضة والأشجار تقدر بعشرات الملايين من الدنانير.

أما (القمل) فهي حشرة ماصة لدماء كل من الإنسان والحيوان وناقلة لأعداد من مسببات الأمراض من مثل مرض التيفوس الوبائي، ومنها ما يعيش على قشور الجلد وأجزاء الشعر وريش الطيور، ويحمل أيضاً العديد من مسببات الأمراض، ومنها ما يدمر مخزون الحبوب والمحاصيل وينقل إليها العديد من الأمراض.

أما (الضفادع) فنقيقها مزعج غاية الإزعاج لأنه يسمع عبر مسافات تقدر بعدة أميال مما يجعل الحياة معها مستحيلة خاصة بالليل والناس نيام، كما أنها حاملة لأعداد من الفيروسات المسببة للأمراض من مثل أمراض الكبد والكلى، وغيرها.

وكذلك (الدم) الذي هو حامل فضلات وجراثيم الجسم، والذي يتعفن وينتن بسرعة فائقة، ولذا يحرم طعامه، وإذا سلط على قوم أهلكهم. والعقاب بهذه النوازل من الأحداث التاريخية القديمة، وورودها في القرآن الكريم هو صورة من صور كل من الإعجاز العلمي والتاريخي لهذا الكتاب العزيز.

(١٢) إن **للإبل** من ضخامة أجسادها، وارتفاع قوائمها، وطول أعناقها، واتساع أعينها، ووفرة وبرها، وسماكة جلدها، والشعر الكثيف المغطى لذيلها، ودقة تصميم كل من أخفافها، وكلكلها، وما خصها الله ـ تعالى ـ به من صفات خارجية شكلية، وداخلية تشريحية من مثل مجال الرؤية الواسعة، وضخامة المخزون الغذائي والمائي، وغير ذلك من الصفات التي جعلت منها بحق «سفن الصحراء» كل ذلك يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وإتقان الخلق، ومن هنا كان التوجيه القرآني للنظر في كيفية خلقها من السبق العلمي في كتاب الله.

(١٣) ورد في القرآن الكريم وصف (**الصافنات الجياد**) لخيل نبي الله سليمان ـ على نبينا وعليه من الله السلام ـ وهو مدح للخيل واقفة (الصافنات)، وجارية (الجياد)، فإذا وقفت كان ذلك على ثلاثة قوائم وعلى طرف القائم الرابع، وذلك من علامات السكون والاطمئنان، والثقة بالنفس والخيلاء بما أفاء الله ـ تعالى ـ عليها من قوة، وجمال وذكاء، وقدرات على الحس والإدراك، وإذا جرت كانت في عدوها سباقة راكضة، وهذه من المعارف التي بدأ البحث في علم سلوك الحيوان في التوصل إليها. كذلك أثبت علم سلوك الحيوان أن المسح بسوق الخيل وأعناقها يلعب دوراً مهماً في ترويضها وتطمينها

وإشعارها بالود والمحبة؛ من هنا فإن وصف القرآن الكريم لجياد سيدنا سليمان عليه السلام بـ ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾، ووصف تعامله معها بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ كان إلهاماً من الله ـ تعالى ـ لنبيه سليمان ـ على نبينا وعليه من الله السلام ـ وسبقاً علمياً وتاريخياً؛ لأن ذلك لم يكن معروفاً لأحد في زمن الوحي بالقرآن الكريم، خاصة إذا ما قورن بما جاء عن هذه الواقعة في العهد القديم من زعم مرفوض.

ثم إن الإشارة في الآيات القرآنية الكريمة التي تصف هذه الواقعة (سورة صٓ: الآيات ٣١ ـ ٣٣) جاءت بالتأنيث (**الصافنات الجياد**) مما يؤكد دور أنثى الخيل في تدبير أمر جماعتها، وهو من حقائق علم سلوك الحيوان التي لم تعرف إلا في أواخر القرن العشرين.

(١٤) في قوله تعالى ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ حقيقة علمية دقيقة تؤكدها دراسات شدة أصوات الحيوانات المختلفة؛ حيث تصل شدة صوت **الحمار** إلى ما يتجاوز مائة «ديسيبل» ويصل تردده إلى ٣٥٠ هيرتز، وهو أعلى تردد لصوت حيوان من الحيوانات التي تحيا على اليابسة، ومن أعلاها شدة؛ وذلك لأن شدة صوت الحوت الأزرق تصل إلى ضعف شدة صوت الحمار تقريباً (١٨٨ ديسيبل)، ولكن تردده أقل بكثير، ونظراً لعيشه في ماء المحيط، فلا يكاد الإنسان يسمع صوته إلا إذا رفع الحوت الأزرق رأسه فوق الماء، وإن كانت الحيتان يسمع بعضها بعضاً على بعد مئات الأميال في داخل كتلة الماء.

(١٥) في تأكيد القرآن الكريم أن الله ـ تعالى ـ يخلق لنا **اللبن في ضروع الحيوانات اللبونة من بين فرث ودم**، حقيقة علمية لم يصل إليها علم الإنسان إلا في القرن العشرين، فالدراسات العلمية الحديثة أثبتت أن حركة الدم بين معدة الاجترار (المحتوية على الفرث) وبين باقي أجزاء جسم الحيوان من الأنعام، هي التي يتخلق بها اللبن حتى يصل إلى الضرع، وهي عملية معقدة يتم

خلالها ضخ حوالي خمسمائة لتر من الدم إلى الغدد اللبنية في ضرع الحيوان من الأنعام الكبيرة كالإبل والبقر لتوفير المواد اللازمة من البروتينات، والكربوهيدرات، والدهون، والعناصر الفلزية وغير الفلزية، والفيتامينات، والهرمونات اللازمة لرضعة واحدة أو لحلبة واحدة كاملة، والتي يستخلصها الدم من الفرث ثم يوصلها إلى الغدد اللبنية.

(١٦) **وصف طرائق مشي الحيوانات** على البطن، أو على رجلين أو على أربع، وهي من وسائل تصنيفها المعتمدة في مختلف نظم التصنيف الحديثة للأحياء.

(١٧) التشبيه بـ (**اللهث المستمر للكلب**) في عدد من الأنفاس السريعة الضحلة التي يأخذها الكلب عن طريق فمه المفتوح ولسانه المتدلي إلى الخارج وذلك من أجل تزويد جسمه بقدر كافٍ من الأكسجين، وضبط كل من كمية الماء ودرجة الحرارة فيه، وتهويته في حالات كل من الحر الشديد، أو العطش الشديد، أو التعب والإعياء والإجهاد، أو المرض، والسبب في ذلك هو أن جسم الكلب لا يحمل غدداً عرقية إلا في باطن أقدامه، وهذه لا تفرز من العرق ما يكفي لتنظيم درجة حرارة جسمه ولذلك يستعين الكلب بعملية (اللهاث)؛ لتعويض قلة الغدد العرقية، وهو من الأمور المكتشفة حديثاً.

(١٨) **تحريم أكل كل من الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله**، والدراسات العلمية الحديثة تؤكد أضرار ذلك على صحة الإنسان، وكذلك **تحريم أكل كل من المنخنقة، والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، إلا ما أدركت ذكاته، وتحريم ما ذبح على النصب**، والدراسات التحليلية الدقيقة لتلك اللحوم أثبتت خطر أكلها على صحة الإنسان.

(١٩) وصف عملية التقاط الحوت لنبي الله يونس ـ على نبينا وعليه من الله السلام ـ بالتعبير القرآني المعجز ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ يشير إلى الحوت الأزرق ـ وهو أضخم حيوان عرف على سطح الأرض ـ وهو عديم الأسنان، وله عدد من الألواح القرنية تعرف باسم: البالينات، تتدلى من جانبي فكه العلوي يصطاد

بها مختلف صور الحياة الهائمة والسابحة من مثل صغار القشريات من عديدات الخلايا، بالإضافة إلى الكائنات وحيدة الخلية التي تدخل مع تيار الماء الواصل إلى فمه، ثم يخرجه من جانبي فكيه بعد أن يصفي ما فيه من مختلف صور الحياة الدقيقة. والحوت الأزرق يتنفس الهواء برئتيه فيضطر إلى الارتفاع برأسه فوق سطح الماء مرة كل (١٠) إلى (١٥) دقيقة.

ولسعة فم الحوت الأزرق ومطاطية حلقه فإن ما يأخذه من الماء يصل إلى ٥٠م$^3$ في المرة الواحدة، ولضخامة جسده فإن فمه يتسع لأكثر من خمسين رجلاً وقوفاً والفم مغلق، ولضيق بلاعيمه فإنه لا يبلع إلا الكائنات الدقيقة والصغيرة، ومن هنا كان الإعجاز القرآني في استخدام التعبير الدقيق ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ أي أنه أخذه لقمة في فمه لم يقضمه، ولم يهضمه، حتى أمر الله - تعالى - له بالخروج فنبذه الحوت إلى الشاطئ.

والأصل في المعجزات أنها لا تعلل، ولكن يبقى هذا الوصف القرآني معجزاً، خاصة إذا ما قورن بما جاء من أخطاء في العهد القديم باللغتين الإنجليزية والعربية.

(٢٠) يقول ربنا - تبارك وتعالى - في محكم كتابه ﴿... فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ليُري قابيل بن آدم ﴿... كَيْفَ يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ...﴾ بعد أن قتله، والعلوم المكتسبة في مجال سلوك الحيوان تؤكد أن **الغراب** طائر شديد الذكاء، شديد الحذر، حاد الذاكرة، قوي الملاحظة، له قدرات على الاتصال بغيره، وعلى حل مشكلاته، وبناء مجتمعاته، وعلى التحايل لاختطاف الطعام، ولإخفائه، وتجهيزه، وعلى مهاجمة كل من الإنسان والحيوان والنبات.

وانطلاقاً من هذه الصفات اختار الله ﷻ الغراب ليكون معلم الإنسان لكيفية دفن موتاه بعد أول جريمة قتل لإنسان تقع عل سطح الأرض.

(٢١) وصف **طرائق طيران الطيور** بكل من (**الصف**) و(**القبض**) وهي من أسس

هندسة الطيران اليوم، ولم تكن معروفة قبل قرن واحد من الزمان، وسبق القرآن بالإشارة إليها هو من صور الإعجاز العلمي فيه. والصف هو جعل جناحي الطائر منبسطين على خط مستوٍ دون تحريكهما، والطائر يمضي في الهواء إلى أبعد المسافات مستفيداً بالتيارات الهوائية في أثناء سيره أو صعوده، وبالجاذبية الأرضية أثناء هبوطه البطيء، دون أن يحرك جناحاً أو أن يبذل جهداً. والقبض ضد البسط وهو الخفق أو الرفرفة، أي: الضرب بالجناحين إلى أسفل ثم إلى أعلى والحركة الأولى تدفع بالطائر إلى الأمام، والثانية تدفع به إلى أعلى.

(٢٢) الإشارة إلى اختيار نبي الله سليمان ـ على نبينا وعليه من الله السلام ـ لطائر (**الهدهد**) بالذات ليرسله إلى ملكة سبأ، وعلوم الحيوان وسلوكه تؤكد اليوم على مميزات هذا الطائر الكثيرة، والتي منها: الذكاء، والأناقة، واليقظة والحذر، وسرعة الملاحظة، وقوة الذاكرة، وسعة الحيلة، والإيمان الفطري بالله ـ تعالى ـ والتسبيح غير الإرادي لجلاله، والقدرة على التعبير والفهم والحوار، وعلى الدعوة إلى توحيد الله الخالق باستمرار، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن قتل طائر الهدهد.

(٢٣) التأكيد على أن الله ـ تعالى ـ قد مسخ من اعتدوا في السبت من يهود بني إسرائيل، فجعل منهم القردة والخنازير. والعلوم المكتسبة تثبت أن هذين الحيوانين من أقذر وأحقر حيوانات الأرض، وإن كان الممسوخ لا ينسِلُ، رحمة من الله ـ تعالى ـ بعباده.

(٢٤) القطع بتسبيح جميع المخلوقات لله ـ تعالى ـ، والعلوم المكتسبة تثبت وجود أصوات متباينة لكل من الجمادات والنباتات والحيوانات توحي بشيء من اللغة، والتجارب المختبرية تثبت أن للماء ذاكرة واعية، وقدراً من الإدراك والشعور والانفعال والتعبير وذلك بتغيير شكل بلوراته من حالة إلى أخرى، وأن الماء يسمع ويرى ويتأثر بالكلمات الطيبة وينفر من كلمات السوء. وكذلك الأحجار مثل عقيق اليمن الذي يرجع عمره لأكثر من (٢٥) مليون سنة

ووجد فيه لفظ الجلالة، واسم مكة المكرمة، وصورة الكعبة المشرفة، والحجر الأسعد، وقبة الصخرة بوضوح لا يقبل الشك في داخل العينات الصلدة والكتابات بحبات الرمل أو بألوان أكاسيد الحديد وأكاسيد غيره من المركبات الكيميائية.

(٢٥) الإشارة إلى إمكانية إنزال الشيفرة الوراثية للكائن الحي من السماء إلى الأرض، والدراسات المتأخرة تشير إلى وجود بعض البكتيريا الحية الشبيهة بالأنواع التي تحيا على الأرض في عدد من النيازك التي هبطت إلى الأرض من السماء.

هذه الآيات الخمس والعشرون من بين أكثر من مائة وأربعين آية أشارت إلى عدد من حيوانات الأرض تم اختيارها هنا لتنوع ما فيها من قضايا علم الحيوان وحقائقه التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة إلا في القرن العشرين.

## خامساً: من آيات الإنسان في القرآن الكريم

(الإنسان) اسم يطلق على كل من الذكر والأنثى من بني آدم. وقد جاءت الإشارة إلى الإنسان في القرآن الكريم إحدى وتسعين (٩١) مرة، منها بلفظة (إنس) (١٨) مرة، و(إنسان) (٦٥) مرة، و(أناس) (٥) مرات، ومرة واحدة بكل من الألفاظ (أناسي) و(إنسيًّا) و(مستأنسين). والمرات الخمس والستون التي جاء فيها ذكر (الإنسان) في القرآن الكريم جاءت الكلمة معرفة بالألف واللام.

وجاءت الإشارة إلى الإنسان في القرآن الكريم بتعبير (بشر) (٢٦) مرة، وبتعبير (بشراً) عشر مرات، وبتعبير (بشرين) مرة واحدة، بمجموع كلي (٣٧) مرة، ليعني في كل الحالات (الإنسان) ذكراً كان أم أنثى، مفرداً كان أم جمعاً.

كذلك جاءت الإشارة إلى الإنسان بتعبير (آدم)، (ابني آدم)، و(بني آدم)، و(ذرية آدم) في خمسة وعشرين (٢٥) موضعاً.

وجاءت الإشارة إلى الإنسان بتعبير (الناس) (٢٤١) مرة، وبتعبير (رجل)

بتصريفاته (٥٧) مرة، وبتعبير (المرء) وتصريفاته (١١) مرة، وبتعبير (امرأة) وتصاريفها (٢٦) مرة، وبتعبير (النساء) بتصريفاتها (٥٩) مرة.

وجاءت الإشارة إلى الإنسان بتعبير (نفس) وتصاريفها (٢٩٥) مرة.

وهذه المواضع التي يصل مجموعها إلى ٨٣١ موضعاً من كتاب الله نختار منها الآيات التالية:

١ ـ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

٢ ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

٣ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦ ـ ٣٣].

٤ ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

٥ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦].

٦ ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

٧ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩].

٨ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يسٓ: ٧٧].

٩ ـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤].

١٠ ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤].

١١ ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤].

١٢ ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٣٩].

١٣ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٥ ـ ٨].

١٤ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

١٥ ـ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

١٦ ـ ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٦].

١٧ ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ١١].

١٨ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٠ ـ ٢٧].

١٩ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

٢٠ ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [صٓ: ٧١ ـ ٧٦].

٢١ ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

٢٢ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

٢٣ ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٢٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

٢٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ ـ ٧].

٢٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢٧ - ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

٢٨ - ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤].

٢٩ - ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

٣٠ - ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٣١ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨].

٣٢ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

٣٣ - ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

٣٤ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

٣٥ - ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

٣٦ - ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

٣٧ - ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

٣٨ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

٣٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

٤٠ ـ ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٤١ ـ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

٤٢ ـ ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

٤٣ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١١ ـ ١٢].

٤٤ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

٤٥ ـ ﴿ووَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ﴾ [الأحقاف: ١٥].

٤٦ ـ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣].

٤٧ ـ ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [قٓ: ٤].

٤٨ ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١].

٤٩ - ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨].

٥٠ - ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩].

٥١ - ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

٥٢ - ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

٥٣ - ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

٥٤ - ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

٥٥ - ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧ - ٦٢].

٥٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

٥٧ - ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١١٩، ١٢٠].

٥٨ - ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨ - ٨٠].

٥٩ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

٦٠ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

٦١ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

٦٢ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨].

٦٣ ـ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣، ١٤].

٦٤ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧، ١٨].

٦٥ ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧، ١٩].

٦٦ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

٦٧ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٧].

٦٨ ـ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

٦٩ ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: ١١].

٧٠ ـ ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

٧١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

ومن الحقائق العلمية التي سبقت بها هذه الآيات القرآنية الكريمة جميع المعارف المكتسبة بقرون عديدة ما يمكن إيجازه فيما يلي:

(١) التأكيد على **حقيقة الخلق**، وعلى أن الله ـ تعالى ـ خالق كل شيء، وعلى أنه ﷻ يبدأ الخلق ثم يعيده (الزمر: ٦٢، النمل: ٦٤، الروم: ١١).

(٢) التقرير بأن **الإنسان** يمثل آخر صورة من صور الحياة الأرضية خلقاً، وأن خلقه جاء بعد خلق جميع صور الحياة الأخرى (الإنسان: ١).

(٣) **الجزم بخلق الإنسان من تراب**، ومن طين، ومن طين لازب، ومن سلالة من طين، ومن صلصال من حمإ مسنون، ومن صلصال كالفخار، في مراحل متتالية، ومرور الإنسان بعد الموت بعكس تلك المراحل يؤكد على دقة الوصف القرآني (آل عمران: ٥٩، النحل: ٤، المؤمنون: ١٢ ـ ١٦، السجدة: ٧ ـ ٩، الرحمٰن: ١٤، الروم: ٢٠ ـ ٢٧، صٓ: ٧١، الحج: ٥ ـ ٧، الكهف: ٣٧، الصافات: ١١).

(٤) وصف المراحل التي يمر بها **جنين الإنسان** بدقة بالغة من النطفة إلى النطفة الأمشاج (أي المختلطة)، إلى العلقة ثم المضغة، ثم خلق العظام وكسوتها باللحم، ثم إنشائه خلقاً آخر، ينمو خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث، حتى يخرج إلى الحياة وليداً. وهي مراحل لم تبدأ العلوم المكتسبة في التوصل إلى إدراك شيء منها إلا بعد بناء المجهر في القرن السابع عشر الميلادي (النحل: ٤، المؤمنون: ١٢ ـ ١٦، السجدة: ٧ ـ ٩، يسٓ: ٧٧، الزمر: ٦، الإنسان: ٢، القيامة: ٣٦ ـ ٣٩، العلق: ١ ـ ٥، الحج: ٥ ـ ٧، عبس: ١٧ ـ ١٩: نوح: ١٣ ـ ١٤).

(٥) التأكيد على اشتراك كل من الأب والأم في **تخلق الجنين** بعد جدل طال على دور كل منهما في الماضي غير البعيد (الحجرات: ١٣، النحل: ٧٢، الشورى: ١١، النجم: ٤٥ ـ ٤٧، الإنسان: ٢).

(٦) الجزم بأن الله ـ تعالى ـ هو الذي يخلق الخلق في الأرحام ثم يصورهم كيف

يشاء ويعلم جميع أمورهم (آل عمران: ٦، الأعراف: ١١، ١٢، لقمان: ٣٤، الرعد: ٨، النجم: ٣٢، الواقعة: ٥٧ ـ ٦٢، الانفطار: ٦ ـ ٨، عبس: ١٧ ـ ١٩).

(٧) الإشارة إلى **الخلق من ماء مهين**، يجعله ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه وحكمته وإرادته في قرار مكين، مما يشير إلى كل من غدد التناسل والرحم (المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣).

(٨) التأكيد على أن الخلق يتم **من اختلاط ماءين دافقين** يخرج أحدهما من الزوج والآخر من الزوجة، وكلاهما يَخْرُجُ من بين الصلب والترائب (الفرقان: ٥٤، الطارق: ٥ ـ ٨).

(٩) التأكيد على أن **الله ـ تعالى ـ هو الذي يهب** لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور، وهو الذي يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً (الشورى: ٤٩، ٥٠).

(١٠) الجزم بأن جميع المخلوقين من بني آدم إلى قيام الساعة كانوا في صلب أبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، أي **أنهم خلقوا من نفس واحدة**، خلق الله ـ تعالى ـ منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً والله على كل شيء قدير (النساء: ١، الأعراف: ١٧٢ ـ ١٨٩، الأنعام: ٩٨، لقمان: ٢٨، الزمر: ٦، الحجرات: ١٣).

(١١) أن **حمل الأم لجنينها عملية صعبة** تستنزف من دم الأم وغذائها، وأجهزتها وأعصابها وباقي جسدها الشيء الكثير، ومن هنا كانت التوصية بالأم والإشادة بفضلها (لقمان: ١٤، الأحقاف: ١٥).

(١٢) التأكيد على أن **أقصر مدة للحمل هي ستة شهور** (لقمان: ١٤، الأحقاف: ١٥).

(١٣) التأكيد على **أن آدم** عليه السلام **خُلِقَ عالماً عابداً**، وأن الله ـ تعالى ـ عَلَّمه الأسماء

كلها، وأنه ﷻ هو الذي علم الإنسان اللغة والبيان والدين، والكتابة بالقلم، وعَلَّمه ما لم يعلم (البقرة: ٣١، الرحمٰن: ١ ـ ٤، العلق: ١ ـ ٥).

(١٤) **أن الله ـ تعالى ـ خلق الموت والحياة ليبلو الناس أيهم أحسن عملاً** (آل عمران: ١٤٥ ـ ١٦٨ـ المؤمنون: ١٢ ـ ١٦، الواقعة: ٥٧ ـ ٦٢، الملك: ٢).

(١٥) **أن الله ﷻ خلق الإنسان من الأرض، ثم يعيده فيها بعد موته**، ثم يخرجه منها تارة أخرى عند بعثه (آل عمران: ٥٩، الأعراف: ١١، ١٢، طه: ٥٥، الحجر: ٢٦، ٣٣، المؤمنون: ١٢ ـ ١٦، السجدة: ٧ ـ ٩، الرحمٰن: ١٤، الروم: ٢٠ ـ ٢٧، صٓ: ٧١ ـ ٧٦، الحج: ٥ ـ ٧، الكهف: ٣٧، نوح: ١٧، ١٨، النجم: ٣٢، الصافات: ١١).

(١٦) **التأكيد على أذى المحيض** والتحذير من مخاطره (البقرة: ٢٢٢).

(١٧) الإشارة إلى إبداع الله ﷻ في خلق **حواس الإنسان**، وجعلها وسيلة لكسب المعارف والمهارات، ولفهم رسالة الإنسان في هذه الحياة وتمكينه من تحقيقها، والتأكيد على سبق السمع على كل من الأبصار والأفئدة، وذكره بالإفراد وذكر الأبصار والأفئدة بالجمع (النحل: ٧٨، السجدة: ٧ ـ ٩، المؤمنون: ٧٨ ـ ٨٠، الملك: ٢٣).

(١٨) التأكيد على **دورة حياة الإنسان من ضعف، ثم إلى قوة، ثم إلى ضعف وشيبة** (يسٓ: ٦٨، الروم: ٥٤).

(١٩) التأكيد على آيات الله **في النفس الإنسانية** (الذاريات: ٢١).

(٢٠) الإشارة إلى **تسوية بنان الإنسان** كأحد إبداعات الله في الخلق والشهادة له ـ تعالى ـ بالقدرة على البعث (القيامة: ٣، ٤).

(٢١) الإشارة إلى **دور الناصية** في اتخاذ القرار (العلق: ١٥، ١٦، هود: ٥٦، الرحمٰن: ٤).

(٢٢) التأكيد على دور حاسة **السمع** كأول حاسة من حواس الإنسان يتم له

استخدامها، وأن وسيلتي استقبال الأصوات والكلمات هما الأذنان، وأن الضرب عليهما أو إغلاقهما هو العامل الأول في استغراق النائم في نومه (الكهف: ١١).

(٢٣) التأكيد على دور الجلد في الإحساس بالألم (النساء: ٥٦).

(٢٤) الإشارة إلى **ضرورة تقليب النائم** لفترات طويلة على جنبيه حتى لا يصاب بالتقرحات الجلدية والمعروفة باسم «التقرحات السريرية» (الكهف: ١٨).

(٢٥) التأكيد على **استحالة أن يكون للرجل قلبان في جوفه**، وإن تيسر ذلك للمرأة في حالات الحمل (الأحزاب: ٤).

(٢٦) الإشارة إلى **خلق الإنسان في أحسن تقويم** ثم إلى تهدم هذا البناء بالتدريج، مع تقدم العمر أو استمراء المعاصي ومقارفتها بلا انقطاع (التين: ٤ ـ ٦).

(٢٧) الإشارة إلى **اختلاف ألوان الناس وألسنتهم**، وإلى ارتباط ذلك باختلاف الأجواء والتربة والصخور والنباتات والحيوانات، والتأكيد على ما في ذلك من إشارة إلى طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في الخلق (الروم: ٢٠ ـ ٢٧، فاطر: ٢٧، ٢٨).

(٢٨) التأكيد على أن **الفساد** قد عم كلًّا من البر والبحر بما كسبت أيدي الناس (الروم: ٤١).

(٢٩) **تشبيه النوم بالموت**، واعتباره موتة صغرى وجعله تذكرة للناس بآجالهم المحددة (الزمر: ٤٢).

(٣٠) التأكيد على حتمية الآخرة وما فيها من بعث وحشر وحساب وجزاء، والاستدلال على ذلك ببقاء فضلة من الهيكل العظمي للإنسان لا تبلى أبداً يعاد بعثه منها بإنزال مطر خاص من السماء، فينبت كل مخلوق من عجب ذنبه كما تنبت البقلة من حبتها، انطلاقاً من وصف المصطفى ﷺ، ومن هنا كان تشبيه البعث بالإنبات (طه: ٥٥، قٓ: ٤، نوح: ١٧، ١٨، الحج: ٥ ـ ٧، المؤمنون: ١٢ ـ ١٦، القيامة: ٣٦ ـ ٣٩، النجم: ٤٥ ـ ٤٧).

(٣١) الإشارة إلى المحاولات الفاشلة من أجل تقليد الخلق بما يعرف اليوم باسم **الاستنساخ** (الرعد: ١٦، النساء: ١١٩، ١٢٠).

(٣٢) التأكيد على **الأصل الواحد لجميع بني آدم**، وعلى أن وسيلة التفاضل بينهم هي تقوى الله ـ تعالى ـ الذي جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتعايشوا في سلام (الأنعام: ٩٨، الأعراف: ١٨٩، لقمان: ٢٨، الحجرات: ١٣، الزمر: ٦).

(٣٣) التأكيد على **حقيقة الغيب** في حياة الناس (لقمان: ٣٤، الحاقة: ٣٨، ٣٩).

(٣٤) التأكيد على حقيقة **الروح** وعلى غيبيتها عنا (السجدة: ٧ ـ ٩، صٓ: ٧١ ـ ٧٦، الحجر: ٢٦ ـ ٣٣).

(٣٥) التأكيد على **الزوجية في الخلق** حتى يبقى في ذلك دليل قاطع على الوحدانية المطلقة للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فوق جميع خلقه (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة ولا ولد)، وتنزيهه ـ تعالى ـ عن جميع صفات خلقه وعن كل وصف لا يليق بجلاله (النحل: ٧٢، الشورى: ١١، ٤٩، ٥٠، النمل: ٦٤).

هذه هي بعض الحقائق المستقاة من عدد من الإشارات القرآنية إلى الإنسان، وهذه الحقائق لم تكن معروفة لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون عديدة من بعده، وورودها في كتاب الله بهذه الصياغة المعجزة لغويًّا ودينيًّا وعلميًّا وتاريخيًّا مما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية (ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً)، وحفظه في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ في الوقت الذي ضاعت فيه أصول الرسالات السابقة جميعها، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية، دون أن يضاف إليه أو أن ينقص منه حرف واحد، وتعهد بهذا الحفظ ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى ما شاء حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على جميع

الخلق بأنه كلام الله الخالق ﷻ، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة.

## سادساً: من آيات وصف مشاهد القيامة أو الساعة في القرآن الكريم

١ ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ٦].

٢ ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٨، ٩].

٣ ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

٤ ـ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٧].

٥ ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ١، ٢].

٦ ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١، ٢].

٧ ـ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبإ: ١٩].

٨ ـ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١، ٢].

٩ ـ ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: ٢١].

١٠ ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

١١ ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨، ٩].

١٢ ـ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٤ ـ ١٦].

١٣ ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٤ ـ ٦].

١٤ ـ ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ [الطور: ٩، ١٠].

١٥ ـ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

١٦ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٧].

١٧ ـ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

١٨ ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

١٩ ـ ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢٠ ـ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٢١ ـ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨].

٢٢ ـ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

٢٣ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧، ٨].

٢٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

٢٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

٢٦ ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٧ ـ ٩].

٢٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

٢٨ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

٢٩ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٦].

٣٠ ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

٣١ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

## سابعاً: من آيات التشريع في القرآن الكريم

١ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢ ـ ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ

فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٦، ١٩٧].

٣ - ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٦، ٩٧].

٤ - ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

٥ - ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١١].

٦ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

٧ - ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

٨ - ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ

بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

٩ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩].

١٠ - ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١].

١١ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ١ ـ ٤].

١٢ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ

وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٩ ـ ٢٤].

١٣ ـ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

١٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

١٥ ـ ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ

وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤ ـ ٧].

١٦ ـ ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥ ـ ١٠].

١٧ ـ ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٠ ـ ١٩٣].

١٨ ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٦ ـ ٢١٨].

١٩ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰۖ قُلْ إِصْلَاحٞ لَّهُمْ خَيْرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٞ مِّن مُّشْرِكَةٖ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ وَلَعَبْدٞ مُّؤْمِنٌ خَيْرٞ مِّن مُّشْرِكٖ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذٗى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَآؤُكُمْ حَرْثٞ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةٗ لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢٢٤) لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ (٢٢٥) لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ (٢٢٧) وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٨) ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٖۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ

ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٩ ـ ٢٣١].

٢٠ ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥ ـ ٢٣٧].

٢١ ـ ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ٢٠].

٢٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

٢٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ١ ـ ٣].

٢٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

٢٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٤].

٢٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٢٧ ـ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

٢٨ ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

٢٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

٣٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

٣١ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

٣٢ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٢ ـ ٩٤].

٣٣ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

٣٤ ـ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢، ٣].

٣٥ ـ ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٢ ـ ١٣].

٣٦ ـ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

٣٧ ـ ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ

لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

٣٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣].

٣٩ ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٤٠ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

٤١ ـ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

٤٢ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٨، ١٧٩].

٤٣ ـ ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

٤٤ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

٤٥ ـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

٤٦ ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٤٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة: ١ ـ ٤].

٤٨ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ

عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٤٩ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

٥٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

٥١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

٥٢ ـ ﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣].

٥٣ ـ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣].

٥٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

٥٥ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣].

٥٦ ـ ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

٥٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

٥٨ ـ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

٥٩ ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

٦٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور: ٢٧ ـ ٢٩].

٦١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨ ـ ٥٩].

٦٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

**ملاحظة:** يُطلب من كل دارس لهذا المقرر اختيار أحد هذه الموضوعات لكتابة بحث عنه.



# الباب الثاني

# الإعجاز العلمي
# في السنة النبوية المطهرة






# الفصل الأول

## مكانة السنة في الإسلام

من أسس الإسلام العظيم: **العقيدة الصحيحة، والعبادة المشروعة، وحسن الخلق، وحسن المعاملة.** والعقيدة الصحيحة قوامها: الإيمان بالله، وبملائكته، وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والعبادة المشروعة لا بد أن تكون بياناً ربانياً خالصاً لا يداخله أدنى قدر من التصورات البشرية، والأخلاق والمعاملات هي ضوابط للسلوك. والتاريخ يؤكد عجز الإنسان عن وضع ضوابط لسلوكه، ومن هنا كانت ضرورة الوحي بالدين: لأن هذه القضايا إما أن تقع في إطار الغيب المطلق الذي يحتاج الإنسان فيه إلى بيان من الله ـ تعالى ـ كمجال العقيدة، أو أن تقع في مجال الأوامر الربانية الخالصة كقضية العبادة، أو تقع في مجال ضوابط السلوك من مثل دساتير الأخلاق، وفقه المعاملات، وكلها من ركائز الدين. والإيمان بالله ـ تعالى ـ يقتضي التسليم له وحده بالألوهية، والربوبية، والوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد) وهو التوحيد الخالص، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

والإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله يقتضي التسليم بوحدة الدين، فكما أن إلهنا واحد فلا بد أن تكون هدايته للبشرية واحدة، وهي: حقيقة يقررها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله:

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ

مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقوله ـ عز من قائل ـ:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

والإسلام العظيم علمه ربنا ﷻ لأبينا آدم عليه السلام لحظة خلقه، وعلم آدم بنيه، وكلما عاش الإنسان بهذا الهدي الرباني عاش سعيداً، محققاً رسالته في هذه الحياة: عبداً لله (الواحد الأحد)، يعبد ربه ـ تعالى ـ بما أمر، ويجتهد في حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض وذلك بعمارتها، وإقامة عدل الله فيها، حتى يلقى الله ـ تعالى ـ وهو راض عنه!

ولكن الإنسان فيه ميل للنسيان، وفي نفسه صراع بين الحق والباطل، وهو معرض لوساوس الشيطان، وللإغواء المستمر بالخروج على منهج الله. ومع النسيان، والصراع، والإغواء تفقد المجتمعات الإنسانية نور الهداية الربانية ممثلة في الدين الذي شرعه الله - تعالى - لعباده، وهو الإسلام العظيم، وبفقدان الدين أو تحريفه وتبديله تفقد تلك المجتمعات الإنسانية سعادتها، وتهبط في دياجير من الظلم والظلام الذي يشقيها ويتعسها، ويشقى جميع من على الأرض من حولها!ويبقى الحال كذلك حتى يَمُنَّ الله ـ تعالى ـ على البشرية برسول جديد يأتيهم بنفس الرسالة، ومن نفس المصدر، يدعوهم إلى الإسلام من جديد فيقبله من يقبله، ويرفضه من يرفضه، وما أكثر الرافضين للحق في كل زمان ومكان.

وظل الحال كذلك والإنسانية بين استقامة على منهج الله وانحراف عنه، في مد وجزر، حتى مَنَّ الله ـ تعالى ـ على عباده بالنبي الخاتم والرسول الخاتم، ومعه الرسالة الخاتمة «الإسلام» في كماله وتمامه، وهي الرسالة التي تعهد الله ـ تبارك اسمه ـ بحفظها حفظاً مطلقاً، فحفظت بنفس اللغة التي أوحيت بها (اللغة العربية)، وحفظت بتفاصيلها الدقيقة كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً على مدى أربعة

عشر قرناً أو يزيد، وسوف تظل محفوظة بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله: وذلك تحقيقاً للوعد الإلٰهي الذي قطعه ربنا ﷻ على ذاته العلية (ولم يقطعه لرسالة سابقة أبداً) فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. هذا في الوقت الذي تعرضت كافة صور الوحي السابقة للضياع التام، وتعرض ما بقي عن بعضها من ذكريات لقدر من التحريف الذي أخرجها عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها..! ويخبرنا الرسول الخاتم ﷺ بأن الله ـ تعالى ـ قد مَنَّ على البشرية بمائة وعشرين ألف نبي، وأن الله ﷻ قد اصطفى من هذا العدد الغفير من الأنبياء ثلاثمائة وبضعة عشر رسولاً(١)، ولا يوجد أثر لأي من رسالاتهم اليوم سوى ما بقي من ذكريات عن رسالة موسى ﵇، وقد تعرضت إلى قدر من التحريف الشديد على أيدي أحبار اليهود، وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن هذه الأخبار المجموعة الآن فيما يطلق عليه اسم: «الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم» لم تدون إلا بعد وفاة موسى ﵇، بأكثر من ثمانية قرون، وأنها قد دونت بلغات غير لغة الوحي بها، ثم أضيف إليها العديد من الأسفار المنحولة، والقصص المكذوبة، والمسماة بأسماء عدد من الرجال والنساء، منهم من هم ليسوا برسل ولا بأنبياء، وذلك ليشتري بها أحبار اليهود ثمناً قليلاً كما وصفهم القرآن الكريم بقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وبالمثل، فإن ما بقي من ذكريات عن رسالة نبي الله عيسى ﵇، كتب بعد رفعه بأكثر من قرن من الزمان على أقل تقدير، وكتب بأيدي أناس عديدين من

---

(١) روى الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري ﵁ أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أول؟ قال ﷺ: «**آدم..**» قلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: «**نعم نبي مكلم**». قلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وبضعة عشر جمًّا غفيراً**»، وفي رواية أبي أمامة قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله، كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «**مائة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشراً**» (رواه أحمد).

المجهولين، الذين هم ليسوا بأنبياء ولا مرسلين، فلا يعرف منهم نبي واحد ولا رسول واحد، وكتبت هذه المذكرات في أماكن متفرقة من الأرض، وفي أزمنة متباعدة وبأساليب متعددة متباينة، وبلغات مختلفة، ثم جمعت بأيدي أناس من المجهولين أيضاً، وأنها لا تزال تُعدل إلى يومنا هذا: بين حذف وإضافة، وتغيير وتبديل، وترجمات متعارضة، واختلافات فارقة، ومراجعات متعددة، وانحراف واضح! بينما تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ رسالته الخاتمة، ومرد ذلك إلى العدل الإلٰهي الذي يقتضي ألا يعذب عبداً من عباده بغير إنذار كافٍ، وفي ذلك يقول: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ولما كان سيدنا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولما كانت رسالته قد تكاملت فيها كل رسالات السماء السابقة، فختمت برسالته الرسالات، وببعثته النبوات، وانقطع وحي السماء، كان لا بد من حفظ هذه الرسالة الخاتمة وإلا ما تحقق وعد الله ألا يعذب عبداً إلا بإنذار، وبإرسال رسول.

وببقاء رسالة سيدنا محمد ﷺ محفوظة بحفظ الله فكأنه لا يزال قائماً بيننا، بشيراً ونذيراً، يأمرنا بأوامر الله ﷻ وينهانا عن نواهيه.

ورسالات السماء هي هداية من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها أية تصورات أو ضوابط صحيحة، وذلك إما لوقوعها في دائرة الغيب المطلق الذي لا سبيل للإنسان في الوصول إليه إلا عن طريق وحي السماء ـ من مثل قضايا العقيدة ـ أو لكونها في دائرة الأوامر الإلٰهية المطلقة أو النبوية المحددة، والتي لا سبيل للإنسان في الوصول إليها إلا عن طريق الرسل والأنبياء ـ وذلك من مثل قضايا العبادة ـ أو لتركزها في دائرة ضوابط السلوك التي يعجز الإنسان دوماً عن وضع ضوابط صحيحة لنفسه فيها، وذلك من مثل دستور الأخلاق وفقه المعاملات - وهذه كلها من القضايا التي إذا خاض فيها الإنسان بغير هداية ربانية خالصة فإنه يضل ضلالاً بعيداً.

والذي يتأمل هذه القضايا في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسوله ﷺ يجدها واضحة الدلالة على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، ومؤكدة أن النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ الذي تلقى القرآن الكريم كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. من هنا كان القرآن الكريم، وكانت سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ بما فيهما: من عقيدة صحيحة، وعبادة مشروعة، ودعوة إلى مكارم الأخلاق وطيب المعاملات ونبل السلوك ـ كافييْن لدعوة كل ذي عقل سَوِيٍّ إلى دين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه. ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم (بعلمه المحيط بكل شيء) أن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى مرحلة كالتي نعيشها اليوم، يتجمع له فيها من المعارف بالكون، ومكوناته، وظواهره، وسننه، ما لم يتوافر لجيل من الأجيال من قبل؛ فينبهر الإنسان باكتشافاته العلمية، وتطبيقاتها التقنية انبهارا يغمسه في أمور الدنيا إلى آذانه، ويصرفه عن أمور الدين، وركائزه، وأركانه، أو يشغله عنها حتى يتجاهلها تماماً، أو ينكرها بالكامل، كما هو حادث في غالبية المجتمعات غير المسلمة التي ركبها الزهو والغرور بإنجازاتها العلمية والتقنية، فنسيت الله ـ تعالى ـ ونسيت الموت، وحساب القبر، وهول كل من البعث، والحشر، والعرض الأكبر أمام الله، والحساب، والميزان، والصراط، ونسيت الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبداً وإما في النار أبداً، فضلت وأضلت، وهبطت في سلوكياتها الاجتماعية إلى ما دون الحيوانية، وهددت مصير البشرية كلها بما تملكه من أسلحة وتقنيات الدمار الشامل؛ ولذلك أبقى ربنا ـ الحكيم الخبير ـ في محكم كتابه، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من حقائق الكون، ما يمكن أن يقيم على إنسان اليوم الحجة البالغة بالمنطق العلمي، الذي يتباهى به، ويثبت له باللغة الوحيدة التي يفهمها (وهي لغة العلم) أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي يجب ألا يعبد سواه، وأن هذا الرسول الخاتم الذي تلقى القرآن الكريم كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، وهذا وحده قادر على أن يحرك القلوب الواعية، والنفوس السوية، والعقول المنصفة

إلى قبول دين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، فيعود الناس ـ وفي مقدمتهم أهل العلوم البحتة والتطبيقية ـ مرة أخرى إلى الله، مُسَلِّمين بحقائق الغيب التي بدأت الحضارة المادية المعاصرة بإنكارها، وانتهت بحوثها العلمية إلى إقرارها والتسليم بصدقها!

وعلى ذلك، فإن من الأسرار المكنونة في كتاب الله (القرآن الكريم)، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ تلك الإشارات الكثيرة إلى الكون وإلى عدد من مكوناته، وظواهره، وسننه، والتي جاءت في أكثر من ألف آية صريحة من آيات القرآن الكريم، وفي العديد من أقوال المصطفى ﷺ التي نسلم بأنها لم تَرِدْ لنا من قبيل الإخبار العلمي المباشر؛ وذلك لأن الكسب العلمي قد تُرِكَ لاجتهاد الإنسان جيلاً بعد جيل، وإنما جاءت تلك الإشارات الكونية كلها في مقام الاستدلال على طلاقة القدرة الإلٰهية المبدعة في الخلق، وفي تأكيد أن الذي أبدع هذا الخلق قادر على إفنائه، وعلى إعادة خلقه من جديد، وقد كانت قضايا الخلق والبعث ـ ولا تزال ـ معضلة العقول القاصرة، والقلوب الغافلة، وحجتهم في إنكار الخالق وجحوده ﷻ وفي رفض ما أنزل من الدين!!

ونحن نسلم بأن هذه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتضمنة بعض الإشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره، جاءت في مقام الاستدلال على الألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة لله الخالق الذي خلق جميع خلقه في زوجية واضحة (من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان)، ليبقى ـ تعالى ـ متفرداً بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه (بغير شريك، ولا شبيه، ولا منازع، ولا صاحبة، ولا ولد)، كما جاءت هذه الإشارات الكونية في سياق تنبيه المسلمين إلى أهمية التعرف على خلق الله، واستقراء سننه في الكون، وتوظيفها في عمارة الأرض، وفي حسن القيام بواجبات الاستخلاف فيها.

ومع هذا التسليم والإقرار بأن الإشارات الكونية في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ هي بيان من الله الخالق، ووحي أوحاه إلى خاتم أنبيائه ورسله، فلا بد أن تكون حقاً مطلقاً، ولو أن علماء المسلمين اهتموا بتحقيق تلك الإشارات

الكونية تحقيقاً علمياً دقيقاً، لسبقنا غيرنا من الأمم بقرون كثيرة في الوصول إلى العديد من الحقائق العلمية الكبرى.

ولو أن المسلمين ـ حتى بعد أخذ هذه الحقائق عن غيرهم ـ قاموا بالبحث عنها في كتاب الله، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله، وبتقديمها إلى الناس في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه كوثيقة مادية ملزمة على ربانية القرآن الكريم، وعلى صدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، لكانت من أنجح وسائل الدعوة: إلى هذا الدين الخاتم الذي بعث به النبي الخاتم، والذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه، ولكان في تلك الإشارات الكونية تثبيتٌ للمؤمنين على إيمانهم، وهداية للضالين التائهين من الكفار والمشركين، وما أكثرهم في زماننا، وما أخطرهم على مجتمعاتنا في زمن الضياع الذي يعيشه إنسان اليوم. . .! والذي ينكر غالبية الناس فيه أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية. وغالبية الناس في هذا الزمن ينكرون نبوة سيدنا محمد ﷺ ورسالته، مع اعتراف الكثيرين منهم بأثره البالغ في حياة البلايين من البشر، ولكنهم ينسبون ذلك زوراً إلى نبوغه وعبقريته لا إلى نبوته وهداية ربه واتصاله بوحي السماء.

ومصادر الدين الإسلامي هي: **القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة** التي عنيت بشرح قواعد الدين التي أنزلها الله ـ تعالى ـ في محكم كتابه، وبشرح كيفيات تطبيقها تطبيقاً عملياً في واقع الناس، وتفصيلها وتثبيتها، ومن هنا كانت العناية بالسنة ضرورة من ضرورات الدين، ولازمة من لوازمه، وكان الاسترشاد بأحكامها (في كثير من الأمور التي أجملها القرآن الكريم) من العوامل المساعدة في تفسير آيات هذا الكتاب المجيد؛ ولذلك حرص علماء الإسلام على جمع السنة النبوية، وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً، وتبويبها، وشرحها، وعملوا على صيانتها، وحفظها بمختلف وسائل الحفظ كمصدر مهم من مصادر هذا الدين الخاتم.

وقد اعتنى كل من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بركائز الدين من

العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات، وكل ركيزة من هذه الركائز إذا درست بشيء من الموضوعية والحيدة، فإنها تثبت لكل ذي بصيرة أن كلًّا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، معجز في بيانه، ونظمه، معجز في تشريعه وعدله، وفي خطابه للنفس الإنسانية، وقدرته على تربيتها التربية الصحيحة، معجز في تفاصيل العقيدة التي يدعو إليها، والعبادة التي يأمر بها، والأخلاق التي يؤكد ضرورة الالتزام بمكارمها، والمعاملات التي يحدد دساتيرها، كما أن كلًّا منهما معجز في سرده لقصص عدد من الأمم السابقة، والأحداث الغابرة، وفي إنبائه بالعديد من الأمور المستقبلية التي تحقق بعضها بالفعل. وكل ذلك يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، كما يشهد بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه ﷺ، وبأنه كان دوماً موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض: ولذلك يصفه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بأنه ﷺ ما كان ينطق عن الهوى.

والدقة الفائقة في سرد جوانب من قصص الأمم السابقة في كل من القرآن الكريم، وأقوال النبي الخاتم ﷺ وفي إنبائهما بالعديد من أمور الغيب المرحلي والمطلق، وفي خطابهما إلى النفس الإنسانية مما يؤكد هذه الحقيقة، وتأتي الإشارات الكونية بالإضافة إلى ركائز الدين داعمة لهذا التأكيد بأسلوب العصر ولغته.

ونحن في محاولاتنا لتفسير الإشارات الكونية الواردة في كل من القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله ﷺ نحتاج إلى فهم النص أولاً فهماً دقيقاً في إطار اللغة العربية، ودلالات ألفاظها، وأساليب التعبير فيها، وفي ضوء أسباب النزول أو سياق الحديث النبوي الشريف، وأسباب وروده، وفي أنوار النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع، وفي إطار المبادئ العامة والمقاصد الكلية للإسلام، بالإضافة إلى توظيف كل قطعي وثابت من المعارف العلمية الحديثة في المجال الذي تتحدث عنه الآية القرآنية الكريمة أو يشير إليه الحديث النبوي الشريف.

وإبراز كل من السبق القرآني والنبوي لكل المعارف الإنسانية بعدد متطاول من القرون بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وأسراره وظواهره وسننه، مع دقة علمية في التعبير، وشمول وإحاطة في الدلالة، وإيجاز في الصياغة، يعتبر ضرباً من الإعجاز، يجعل تلك الإشارات الكونية وسيلة من أفضل وسائل الدعوة إلى دين الله في زمن التقدم العلمي والتقني الذي نعيشه، والذي يتعرض فيه الإسلام والمسلمون إلى هجمة همجية، كافرة، شرسة، مدعومة بكل وسائل التفوق المادي، ولكنها تفتقر إلى أبسط القيم الإنسانية، وأقل الضوابط الأخلاقية والسلوكية الصحيحة!! وليس بغائب عن الأذهان ما تنشره وسائل الإعلام الكافر من أكاذيب، ضد الإسلام، ونبيه، وكتابه، ورموزه القديمة والحديثة.

وليس بغائب عن الأذهان ما فعلته جريدة «يولاندس بوستن» الدنماركية في ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥م (Jyllands Posten) من إساءات بالغة لشخص رسول الله ﷺ في شكل العديد من الرسومات الهزلية المسيئة التي نقلها عنها العديد من وسائل الإعلام الغربية، وهي الجريدة التي سبق لها أن رفضت مثل هذه الرسوم عن المحرقة اليهودية أو عن شخص السيد المسيح عليه السلام. وحين عوتبت الجريدة على ذلك تذرعت بحرية التعبير، وحين طلب عدد من سفراء الدول الإسلامية مقابلة رئيس وزراء الدنمارك «أندرياس إسموسن»، لمناقشة الأمر رفض بغطرسة وكبر وعدم لياقة الاستجابة لهذا الطلب، في الوقت الذي استقبل كاتبة صومالية مغمورة لمجرد أنها أعلنت قيامها بكتابة سيناريو لفيلم سينمائي يهاجم رسول الله ﷺ تحت رعاية «أندرياس إسموسن» شخصيّاً.

وحين قامت بعض الدول الإسلامية بسحب سفرائها في الدنمارك، وبإعلان المقاطعة الاقتصادية، ركع عبدة المال بسلسلة من الاعتذارات الملتوية المليئة بالكبر والغطرسة في محاولة لاسترضاء الجماهير الغاضبة من أبناء المسلمين.

وليس بغائب عن الأذهان تلك المسرحية الحقيرة التي حاول فيها عدد من شياطين إحدى كنائس الإسكندرية النيل من الإسلام العظيم ومن القرآن الكريم، وحين طلب منهم الاعتذار عن إساءاتهم رفضوا على جميع مستوياتهم، وقد

أخطأوا في حق دين لا يؤمنون به، ولا يمكن لهم أن يفهموه لحكم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عليهم بقوله الحق: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف: ٥٧، ٥٨].

وليس بغائب عن الأذهان ما تنشره الصحافة الصهيونية / الصليبية في الوطن العربي وفي خارجه، وما يدور في العديد من الكنائس في داخل مصر وفي داخل غيرها من الدول الإسلامية وغير المسلمة من محاولات للنيل من رموز الإسلام بتلفيق الأفلام الحقيرة المزورة عليهم، وما لا يمكن أن يفسر بأن يكون من أعمال رجال يخدمون الدين.

وليس بغائب عن الأذهان ما يجري ـ ولا يزال يجري ـ من حروب صهيونية/ صليبية حاقدة على أراضي كل من فلسطين، والبلقان، والعراق، وأفغانستان، وكشمير، والشيشان، والفلبين، وتايلاند، وأراكان، والصومال، والسودان، ولبنان وعلى غيرها من أراضي المسلمين.

فمنذ أن انتهت الحروب الصليبية بهزيمة جيوش الغرب المعتدية على أرض فلسطين، وبعد اندحار الغزاة المعتدين أمام جحافل الجيش الإسلامي على هذه الأرض العربية الإسلامية المباركة، انصب تفكيرالغربيين على الانتقام من المسلمين باحتلال المزيد من أراضيهم، وإسقاط دولة خلافتهم ورمز وحدتهم، وبالعمل على تفتيت هذه الوحدة والحيلولة دون رجوعها بفرض الدساتير الوضعية، وأنماط الحكم المتعارضة، وبإثارة الخلافات الحدودية والعصبيات المذهبية والعرقية والفكرية والدينية، وبإقصاء الإسلام كلية عن دوائر اتخاذ القرار، وتجريمه وتجريحه في كافة وسائل الإعلام، ثم بمحاولة دراسته ونقده من أجل تشويهه وتحريف مقاصده.

وفي هذا الجو المليء بالكراهية، والتعصب الأعمى ضد الإسلام وأهله ظهرت مدارس الاستشراق التي كرست جهودها في دراسة كل من الإسلام

والحضارة الإسلامية، وتاريخ، وعادات، وسلوكيات المسلمين من أجل إيجاد ثغرات للهجوم عليهم منها. وطبيعي أن تأتي هذه الدراسات في غالبيتها بنتائج أبعد ما تكون عن الإنصاف وعن الموضوعية والحيدة العلمية؛ وذلك لأن جميع الحركات الاستشراقية كانت في نشأتها الأولى مرتبطة بأجهزة الاستخبارات الصهيونية/ الصليبية ومنبثقة عنها، لذلك جاءت أعمال المستشرقين: غالباً مشوبة بكثير من التزوير والتزييف والتحريف النابع عن مشاعر الكراهية والحقد، ونزعات الغرور والاستعلاء الكاذب..! وفي هذه الحروب الكلامية حاول المستشرقون التهجم على القرآن الكريم، وعندما فشلوا في ذلك، وارتدت أسلحتهم إلى صدورهم، وجهوا سهامهم إلى السنة النبوية المطهرة في حملة تشكيكية منظمة، كانت دعواهم فيها أن السنة لم تُدون على عهد رسول الله ﷺ لنهيه عن ذلك ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حتى لا يختلط شيء من السنة بتدوين القرآن الكريم. كذلك فإن الوضَّاعين الذين لم يستطيعوا الدس على القرآن الكريم لكثرة حفاظه، قد وجدوا لهم ثغرة في أقوال رسول الله ﷺ لقلة حُفَّاظِها، وذلك لانشغال أغلب المسلمين بحفظ القرآن الكريم أولاً.

وهؤلاء النفر من شياطين المستشرقين يعلمون جيداً أن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي الصلة الوثيقة بين أجيال الأمة الإسلامية من جهة، ونبيها ورسولها الخاتم ﷺ من جهة أخرى، وهو إمام الأنبياء والمرسلين، وأن قطع هذه الصلة بالتشكيك في سنة هذا الرسول الخاتم ﷺ يمثل تشكيكاً في الإسلام، وهدماً لركن أساسي من أركانه!

وعلى الرغم من وضوح الهدف من وراء هذه الهجمة الاستشراقية المغرضة والمتسترة زوراً برداء البحث العلمي؛ لتخفي كماً هائلاً من الكراهية والحقد، والتعصب للباطل ضد الحق، والدعاية زوراً وبغير أدنى دليل مادي إلى التشكيك في حجية السنة النبوية الشريفة، وفي مصداقية رواتها، وشراحها، وأغلبهم من كرام الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين ومن بعدهم، أملاً في إغراء المسلمين بالإعراض عن سنة نبيهم كوسيلة من وسائل هدم هذا الدين الخاتم ـ فإن نفراً من

أبناء المسلمين قد انساق وراء هذه الصيحات الشيطانية المنكرة - والمؤامرات الحاقدة الماكرة، فنادى بأن الدين جاء في القرآن الكريم لأنه متواتر، وفي السنة العملية لأنها من حيث العمل بها في تواصل أصبحت تحقق صفة التواتر، أما عن السنة القولية فلا يلزم العمل بها... وفي هذا الادعاء الباطل افتراء على رسول الله ﷺ وعلى سنته، ومعارضة صريحة لأقواله الشريفة وذلك من مثل قوله ﷺ: «...**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ..**»[1]

وقوله: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[2] يعني بذلك السنة، والسنة تأتيه ﷺ بالوحي كما يأتيه القرآن الكريم، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن الكريم، والسنة تفسِّر القرآن وتبيّنه، ولذلك اتفق علماء الإسلام على أن الأخذ بالسنة واجب، والعمل بها حتم، وتحكيمها فرض على جميع المسلمين. وفي الادعاء الباطل بعدم حجية السنة القولية مخالفة صريحة لأوامر الله - تبارك وتعالى - لقوله - عز من قائل -: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

● ولما كانت مصادر التشريع الإسلامي تتلخص أساساً في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والإجماع والقياس، ولذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال - تعالى -: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

● ولما كانت السنة هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفه أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة الشريفة أو بعدها.

---

(١) الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه(٤٤٠٤٢)، وأحمد (١٦٦٩٢).

(٢) أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٦٧٢٢).

● ولمّا كانت طاعة الرسول ﷺ واجبة بنصوص القرآن الكريم الذي يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ فيه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

ويقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

ويقول ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

ويقول ـ تعالى ـ في نفس السورة: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

● ولما كان ربنا ـ تبارك وتعالى ـ قد قرن طاعة الرسول ﷺ بطاعته في عدد غير قليل من آيات القرآن الكريم واعتبر مخالفة ذلك كفراً فقال ـ عز من قائل ـ:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال ـ تبارك اسمه ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

● ولما كان القرآن الكريم يعتبر اتِّباع رسول الله ﷺ طاعة وحبًّا لله، وسبباً في حب الله لعباده ومغفرة لذنوبهم، حيث يقول على لسان المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

● ولما كان القرآن الكريم يحذر من مخالفة أوامر رسول الله ﷺ فإنه يهدد المخالفين بالوقوع في الفتنة أو العذاب الأليم، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

● ولما كان القرآن الكريم يحرم على المؤمنين مخالفة حكم رسول الله ﷺ أو عصيان أوامره فيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

• ولما كان القرآن الكريم ينفي الإيمان على الذين يعرضون عن تحكيم الرسول ﷺ في مواطن الخلاف بينهم فيقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

• ولما كانت آيات القرآن الكريم تُؤكد أن السمع والطاعة لله وللرسول ﷺ هما من صفات المؤمنين ومن لوازم الفلاح في الدنيا والآخرة فيقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

• فإن ربنا ـ تبارك وتعالى ـ يقول محذراً من مصير الذين عصوا الرسول في يوم القيامة ما نصه:

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

• ولما كان من أقوال المصطفى ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**»[١]. ويقول ﷺ: «**عليكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[٢].

• وقيل لرسول الله ﷺ في عام سنة (أي جدب) سَعِّر لنا (أي ثمن لنا لكل سلعة) يا رسول الله. قال: «**يسألني الله عن سُنَّة أحدثتها فيكم لم يأمرني بها، ولكن اسألوا الله من فضله**»[٣] مما يدل على أن السنة تأتيه بوحي من الله تعالى.

---

(١) مالك (١٦٦١)، والبيهقي (٢٠٨٣٣).

(٢) الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٤) وأحمد (١٦٦٩٢).

(٣) أخرجه كل من الطبراني وأبي داود، والترمذي رقم: ١٣٦٢، وابن ماجه، وأحمد.

● ويقول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال ﷺ: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[١].

● ويقول ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فَرُبَّ مبلغ أوعى من سامع**»[٢].

● وقد حذر ﷺ من الكذب عليه تحذيراً شديداً فقال: «**إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»[٣].

لذلك كله حرص الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ على نقل أخبار رسول الله ﷺ معتبرين أقواله وأفعاله وتقريراته أحكاماً شرعية لا يختلفون عليها، بل يسلمون بها تسليماً مطلقاً، ويتَّبعونها اتباعاً تاماً، ويلزمون أنفسهم بها إلزاماً كاملاً، ومن هنا فقد حرصوا على حفظها، وتناقل نصوصها نقلاً متواتراً، كما حرصوا على تدوينها في حياة المصطفى ﷺ وبعد مماته، على الرغم من حرصه الشديد ﷺ على القرآن الكريم وتدوينه قبل كل شيء فقال: «**لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**»[٤]. إلا أن النهي هنا كان خاصاً بمن لا يؤمَن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، وأن هذا الحديث قد نسخ بقول المصطفى ﷺ لعبد الله بن عمرو: «**اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما خرج من فمي إلا الحق**»[٥].

وعلى الرغم من ذلك كله فقد حمل أعداء الإسلام على السنة النبوية المطهرة وهاجموها وشككوا في حجيتها، وفي صدق جامعيها ورواتها من أعلام الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

ومن المؤسف حقًّا أن يتبع أعداء الإسلام في ذلك نفر من أبناء المسلمين

---

(١) البخاري (٧٢٨٠)، وأحمد (٨٥١١).
(٢) الترمذي (٢٦٥٧)، والدرامي (٢٣٠).
(٣) البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).
(٤) مسلم (٣٠٠٤)، وأحمد (١٠٧٠١)، والدرامي (٤٥٠).
(٥) أبو دواد (٣٦٤٦)، وأحمد (٦٤٧٤، ٦٧٦٣).

الذين فتنوا بالحضارة الغربية فتنة كبيرة، وانخدعوا بمناهج المستشرقين والمؤرخين الغربيين، وهي مناهج كاذبة؛ لجهلهم بحقائق الإسلام وتراثه؛ ولانطلاقهم من محاضن أجهزة الاستخبارات المتعددة. ولحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين، ولتعصبهم الأعمى، وغرورهم، واستعلائهم على معرفة الحق؛ ولجهلهم بدين الإسلام، وبأصوله، ومصادره، مع شيء من الكبر، وقسوة القلب، والعجب بالذات.

وقد تنبأ المصطفى ﷺ بظهور هذه الطائفة من منكري السنة النبوية المطهرة فقال: «**يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يحدَّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حَرَّمْناه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله**»[(١)].

وفي رواية أبي داود يقول ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه...**»[(٢)].

وهذا الحديث من معجزات رسول الله ﷺ الإخبارية التي أخبر فيها بما سيقع في أمته من بعده، فوقع كما أخبر تماماً؛ دليلاً على اتصاله بوحي السماء، وعلى صدق نبوته. فقد تتابعت الأقوال الضالة على رد **سنته**، وذلك من القرن الهجري الأول إلى اليوم، وكان منها من سموا أنفسهم باسم «**القرآنيين**»، **والقرآن منهم براء**. وقد ظهرت هذه الفرقة في شبه القارة الهندية في بدايات القرن الرابع عشر الهجري. وتأثرت بالفكر الاستشراقي المعادي للإسلام، وانطوت تحت مظلة الاحتلال البريطاني الذي أسس الحركة القاديانية الكافرة ليحارب بها الإسلام الذي استعصى عليهم، كما أسس حركة القرآنيين لنفس الغرض الحقير.

وانطلاقاً من عباءة الاحتلال البريطاني **أنكر القرآنيون حجية السنة كلها**،

---

(١) أخرجه ابن ماجه رقم: ١٢.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤٦٠٦.

وأقاموا من الجمعيات المروجة لفكرهم ما أقاموا، وأصدروا الكتب والرسائل والمجلات، فأقام الله ـ تعالى ـ للرد عليهم من أهل العلم من فند دعاواهم الباطلة، وأثبت خروجهم عن الملة الإسلامية بإنكارهم سنة رسول الله ﷺ، وقد حذر القرآن الكريم من أمثال هؤلاء بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

ونحن لا ننكر محاولات نفر من الحاقدين من الكفار، والمشركين، والمنافقين، والزنادقة، والشعوبيين، في الدس على رسول الله ﷺ، وفي وضع بعض الأحاديث المكذوبة، كما لا ننكر أن الخلافات السياسية التي أثارها هؤلاء في أواخر خلافة كل من سيدنا عثمان ﷺ، وسيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ كانت من الأسباب المشجعة على وضع الحديث، إلا أن جهود علماء المسلمين من أجل تحقيق السنة وتنقيتها من دس الوضَّاعين قد فاقت جهود التحقيق في أي مجال آخر. وقد سلك علماء الحديث من أجل تحقيق ذلك طرقاً في النقد والتمحيص لم يُسْبقوا بها من أجل تمحيص إسناد الحديث والتوثق منه، وأنشأوا من أجل ذلك من العلوم ما لم تعرفه البشرية من قبل، وذلك من مثل: «**علم الجرح والتعديل**»، و«**علم مصطلح الحديث**»، وغيرهما من علوم الحديث التي فاقت خمسة وستين علماً، وبذلك قسموا الحديث إلى: صحيح، وحسن، وضعيف، وتمكنوا من تدوين وتحقيق كل من: السيرة، والسنة النبوية المطهرة كما لم تدون سيرة أو يدون أو يحقق علم من العلوم الإنسانية من قبل. وقد وضع علماء الحديث العديد من الضوابط المنطقية لمعرفة الأحاديث الموضوعة من مثل كتاب: «الموضوعات» لابن الجوزي، وكتب: «الضعفاء»، للعقيلي، و«الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي.

وردًّا لهذه الدعوة الباطلة المشبوهة قمت بجمع أحاديث رسول الله ﷺ التي أشارت إلى عدد من أشياء الكون وظواهره؛ لشرح ما جاء فيها من حقائق كونية، تمت صياغتها بدقة تعبيرية فائقة، وبإيجاز معجز، وبحكمة علمية بالغة، وسبق

بالإشارة إلى عدد من الحقائق الكونية أو الظواهر والسنن التي لم تصل إليها العلوم المكتسبة إلا منذ عقود قليلة، وقد تكلم بها المصطفى ﷺ من قبل أربعة عشر قرناً. وهذا السبق يؤكد جانباً من جوانب الإعجاز في أحاديث رسول الله ﷺ هو «**الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة**» الذي لم يسبق أن لقي اهتماماً كافياً من علماء الحديث؛ لأن هذه الحقائق العلمية لم تكن متاحة لأحد من الناس في أزمنتهم، ولم يلق اهتماماً كافياً من المشتغلين بجوانب الإعجاز العلمي في كتاب الله لانشغالهم ببحار المعرفة العلمية في هذا الكتاب المجيد.

وهذا الجانب العلمي هو أحد جوانب الإعجاز العديدة في أحاديث رسول الله ﷺ، وهو وحده كاف لدحض دعاوى المبطلين، وتشكيك المشككين في صدق رواة الأحاديث، ودقة جامعيها، ولرفض الدعوة الباطلة إلى إسقاط حجيتها، مع تسليمنا بأن هناك من الأحاديث **الضعيف، والغريب، والموضوع، والمضطرب، والشاذ، والمردود، والمتروك، والمعلّ، والمنكر وغيرها من الأحاديث التي لا يؤخذ بها**، والتي قام علماء الحديث بغربلتها غربلة دقيقة في تصانيفهم المتعددة لها.

وعلماء الحديث ـ بصفة عامة ـ وعلماء الجرح والتعديل ـ بصفة خاصة قد أعطوا علم الحديث من جهدهم ما أغنانا عن الخوض في كلام دسه أعداء الإسلام على رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً، **وكان علم الحديث مدرسة تعلم منها الغرب، بل العالم كله معنى التوثيق العلمي الصحيح.**

وإجلالاً لرسول الله ﷺ لا يجوز لمسلم أن يطعن في حديث منسوب إليه، بل الواجب ـ إن فهم الحديث الشريف ـ عَمِلَ به، وإن لم يفهم دلالته فمن الواجب أن يسأل أهل الذكر أو أن يتوقف عنده، خاصة إذا ثبتت صحة سند الحديث عن طريق علماء تحقيق السند.

**وحتى بعض الأحاديث التي قد يكون في سندها شيء من الضعف، فإن الدقة العلمية الواردة فيها قد تجبر هذا الضعف، ما لم تكن هناك مخالفات أخرى (شرعية، أو لغوية، أو تاريخية أو غير ذلك). ومن هنا كانت الدقة العلمية الواردة**

**في الحديث النبوي الشريف إحدى القرائن لتصنيفه، ولرفع السند إذا كان أحد الرواة فيه شيء من الجرح، لأن ذلك لا يطعن في صحة الحديث مادام مضمونه العلمي صحيحاً.**

وكذلك بعض الأحاديث الصحيحة السند، والتي وضعت في مجموعة **غريب الحديث**، أو **غريب غريب الحديث**، أو **فائق غريب الحديث**؛ لغرابة في ألفاظها أو لسبق محتواها العلمي لسنوات التحقيق بقرون كثيرة، ولعجز المحققين عن فهم دلالاتها العلمية في زمن التحقيق؛ لعدم توافر المادة العلمية في زمانهم، ولا التخصص العلمي الذي يمكن أن يوصلهم إلى ذلك. هذه الأحاديث لا بد للعلماء ـ في عصر تفجر المعارف العلمية الذي نعيشه ـ من إعادة النظر فيها مستعينين ـ بعد الله ﷻ ـ بفيض الحقائق العلمية المتاحة، وبالمتخصصين في كل حقل من حقولها من علماء المسلمين الذين اشتهروا ـ مع تفوقهم في تخصصاتهم ـ بتقواهم وورعهم؛ وذلك لفهم دلالة تلك الأحاديث ورفعها من الخانات التي تم الحجر عليها فيها لاستفادة الأمة بها، لأن رسول الله ﷺ لم يقل إلا ما فيه صلاح الناس عامة، وصلاح أمته خاصة، ولا يجوز للأمة أن تحرم من هذا الخير قطرة واحدة؛ بسبب أي من الحواجز العلمية أو اللغوية أو التاريخية.

# الفصل الثاني

## ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة

تعرض شخص رسول الله ﷺ ـ ولا يزال يتعرض ـ لكثير من التهجّم والافتراء والسخرية والتطاول من عدد من أعداء الله، من الملاحدة والكفار والمشركين الذين لا يؤمنون بنبوته، ولا بالقرآن الكريم الذي أنزل إليه، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وهو أحكم القائلين، مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ ومؤيداً نبوته ورسالته والقرآن الذي أنزل، ومدافعاً عن شخصه الكريم بقوله العزيز:

- ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١١٩، ١٢٠].
- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤].
- ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣، ٣٤].
- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤].
- ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر: ٢٥].

وللرد على هؤلاء المرجفين في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه، أرى أن إثبات الإعجاز العلمي في أقوال رسول الله ﷺ هو من أبلغ الردود وأنسبها، وذلك لأن الغالبية الساحقة من الناس في هذا الزمن قد فتنوا بالعلم ومعطياته فتنة كبيرة، حتى أعماهم ذلك عن حقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة: عبداً لله تعالى يعبد ربه بما أمر، ومستخلفاً في الأرض من أجل عمارتها وإقامة عدل الله فيها، وعليه بعد ذلك الموت وحساب القبر ثم البعث والحساب والجزاء، ومنه الخلود في الآخرة إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً.

وانطلاقاً من غفلة إنسان اليوم عن حقيقة رسالته في الحياة الدنيا شاعت مذاهب الكفر والإلحاد والشرك والضلال بمختلف صورها وأشكالها ومبرراتها، وغرق الإنسان إلى آذانه في ماديات الحياة التي شغلته عن حقيقة رسالته على هذه الأرض، ومن ثم لم تعد الحوارات الدينية أو الفكرية المألوفة تجدي بين من يتسمون باسم مثقفي العصر ولذلك تنادوا كذباً بحتمية صراع الحضارات، وصدام الديانات، ونهاية التاريخ، في وقت تركزت أسباب الغلبة المادية بأيدي أكثر الناس بعداً عن التدين الصحيح.

وفي هذا العالم المضطرب الذي اختلت فيه كل الموازين ـ إلا ميزان العلوم المادية ـ أصبح **الدليل العلمي المادي** هو وسيلة الإقناع الرئيسة ـ إن لم تكن الوحيدة ـ المقبولة من الناس، ولعلم الله ﷻ بأن الإنسان سيصل في يوم من الأيام إلى هذه الحال أنزل في محكم كتابه أكثر من ألف آية قرآنية كريمة تتحدث عن السمٰوات والأرض وما بينهما، وعن مكونات كل منها وما بها من ظواهر ومخلوقات، وعن كيفية خلق كل ذلك ثم إفنائه واستبداله أو بعثه، كما أنطق الله ﷻ خاتم أنبيائه ورسله ﷺ بالعديد من تلك الحقائق الكونية الشاهدة له ـ في زمن العلم والتقنية الذي نعيشه ـ بالنبوة وبالرسالة، وبأنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، لأنه لا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لهذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في أحاديث رسول الله ﷺ غير الله الخالق ﷻ، خاصة وأن هذا الرسول الخاتم كان أمياً،

وبعث من قبل ألف وأربعمائة سنة في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي زمن لم يتوافر للإنسان شيء من العلوم المكتسبة يمكن أن يرقى إلى مستوى ما نطق به ﷺ من حق لم يتعرف الإنسان على شيء منه إلا قبل أقل من قرن واحد من الزمان، وبعد مجاهدات استغرقت آلافاً من العلماء والباحثين، مما يؤكد على أن هذا العلم النبوي لا يمكن أن يكون له من مصدر غير الله الخالق ﷻ.

وانطلاقاً من ذلك فإن الإشارات الكونية في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تبقى حجة على الناس كافة إلى يوم الدين بأن القرآن كلام الله، وأن سيدنا ونبينا محمداً هو خاتم أنبيائه ورسله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ.

**والمحاجة بالعلم لا تكون إلا بالحقائق القطعية الثابتة التي لا رجعة فيها،** وذلك لأن المعارف المكتسبة في مجال العلوم البحتة تمر في عدد من المراحل المتتابعة من المشاهدة والملاحظة والاستنتاج والتي تؤدي إلى وضع عدد من الفروض والنظريات، أو من مراحل التجربة والملاحظة والاستنتاج، ثم بمزيد من تكرار التجارب وإعادتها وتدوين الملاحظات والاستنتاجات وتدقيقها وتمحيصها يمكن أن ترتقي هذه النظريات إلى مقام الحقيقة أو القانون، فإذا وصلت المعلومة المكتسبة إلى هذا المقام فإنها لا تنتكس ولا ترتد على أعقابها أبداً، وإن بقيت قابلة للتوسع والزيادة.

وفي التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله أو في سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ لا بد من الالتزام بعدد من الضوابط الحاكمة للمتعاملين في هاتين القضيتين الهامتين.

وفي الباب السابق تعرضت لقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وضوابط التعامل معها، **وأوجز هنا ضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة في النقاط التالية:**

(١) اختيار الأحاديث المحتوية على إشارات إلى الكون ومكوناته وظواهره،

وعمليات خلقه وإفنائه واستبداله، وإلى الإنسان وخلقه الأول ومراحله الجنينية، وإفنائه وبعثه، وإلى ضوابط سلوكه، وإلى ما أحل الله تعالى له وحرم عليه من المطعومات والمشروبات، وما أباح له من وسائل الوقاية من الأمراض والتداوي والعلاج.

(٢) معرفة درجة الحديث عند أهل العلم، واستبعاد كل الأحاديث التي ثبت بالدراسة المتأنية أنها موضوعة.

(٣) جمع الأحاديث الواردة في الموضوع الواحد، والروايات المتعددة للحديث الواحد، حتى يتضح المعنى المراد منها دون ترجيح حديث على آخر أو رواية على أخرى، لأن الجمع والتوفيق بين الأحاديث والروايات الصحيحة هو أولى من ترجيح أحدها على الآخر.

(٤) فهم النص أو النصوص النبوية الشريفة وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية ووفق قواعدها وأساليب التعبير فيها.

(٥) فهم النص النبوي الشريف في ضوء سياقه، وأسبابه، وملابساته، ومقاصده، وتحديد احتمال ارتباطه، بعلة معينة منصوص عليها في الحديث، أو مستنبطة منه، أو مفهومة من سياقه، والتمسك بروح السنة ومقاصدها قبل التمسك بحرفيتها.

(٦) فهم النص النبوي الشريف في نور القرآن الكريم لأن أحاديث رسول الله ﷺ شارحة لكتاب الله، ومبينة لدلالات آياته، ومن هنا فلا يمكن أن يكون بينهما شيء من التعارض، فإن بدا شيء من ذلك فإما أن يكون اللبس في فهم قارئ الحديث أو شارحه، أو أن يكون الحديث غير صحيح، وهنا لا بد من مراجعة سند الحديث.

(٧) لا يجوز للمسلم رد حديث صحيح لرسول الله ﷺ أبداً فإن فهمه عمل به، وإن لم يفهمه توقف عن الخوض فيه خشية انغلاق معنى الحديث على قارئه انغلاقاً مؤقتاً أو دائماً. كذلك لا يجوز رفض الحديث النبوي الشريف الذي

يشير إلى حقيقة علمية ثابتة لمجرد وجود ضعف في سنده لأن الحق العلمي يمكن أن يجبر ضعف السند.

(٨) ضرورة التفريق بين الحقيقة والمجاز في فهم نص الحديث النبوي الشريف، على ألا يخرج دارس الحديث باللفظ النبوي من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية وعند الضرورة القصوى. ومن هنا **فإنه لا يمكن إثبات الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف بتأويل النص،** وذلك لأن التأويل ـ بصفة عامة ـ إن كان بغير مسوغ مقبول هو من الأمور المرفوضة تماماً في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ، كذلك فإن حمل المجاز على الحقيقة مع وجود المانع العقلي أو الشرعي أو العلمي هو من الأمور المرفوضة كذلك، علماً بأنه لا يمكن أن يكون هناك تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول.

(٩) عدم التكلف أو ليِّ أعناق الأحاديث من أجل موافقتها للحقيقة العلمية، لأن أحاديث رسول الله ﷺ أعز علينا وأكرم من كل المعارف المكتسبة.

(١٠) عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، والاكتفاء من ذلك بالقدر اللازم لإثبات وجه الإعجاز العلمي.

(١١) عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة من مثل: الذات الإلهية، الروح، الملائكة، الجن، العرش، الكرسي، اللوح، القلم، حياة البرزخ، البعث، الحشر، أهوال يوم القيامة، الحساب، الميزان، الصراط، الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وذلك لأن عالم الغيب له من السنن والقوانين ما يغاير سنن وقوانين عالم الشهادة، وعلى ذلك فإن القياس بين العالمين قياس باطل، ومغالطة كبيرة، ومن هنا وجب التسليم بما جاء عن عالم الغيب في كتاب الله وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ دون محاولة تفسير ذلك في حدود المعارف العلمية المكتسبة.

(١٢) الاقتصار على توظيف الحقائق العلمية الثابتة في الاستشهاد على الإعجاز

العلمي في الحديث النبوي الشريف، وذلك في جميع الإشارات العلمية الواردة في أحاديث رسول الله ﷺ فيما عدا قضايا الخلق والإفناء والبعث لكل من الكون والحياة والإنسان، وهي من القضايا التي لا يمكن للعلوم المكتسبة أن تتجاوز فيها حدود وضع نظرية من النظريات. وهنا تتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيها وإن بقيت المشاهدات واحدة، ويبقى للمسلم نور من الله ـ تعالى ـ في آية قرآنية كريمة أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ يمكن أن يعينه على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أو في أحاديث خاتم أنبيائه ورسله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ حيث يتم الانتصار للعلم وتصويب مساره بكلام الخالق ﷻ أو بأقوال سيد المرسلين ﷺ.

وهنا لا بد من التأكيد على أن العلوم المكتسبة إذا وصلت إلى مستوى الحقيقة أو القانون فإنها لا تنتكس على أعقابها أبداً ولكنها تبقى قابلة للزيادة مع الزمن، وذلك لأن حقائق العلوم المكتسبة هي جزئية في طبيعتها، وفي القوانين الحاكمة لها، لأنها تعبر عن عدد من القضايا الجزئية المحددة بحدود قدرات الإنسان الحسية والعقلية، ومن طبيعة الحقائق الجزئية أنها تنمو نمواً مطرداً مع الزمن ـ دون تناقص أو إلغاء ـ فتزداد وضوحاً وجلاءً مع استمرار مجاهدة العلماء في توضيح ما سبق الوصول إليه من حقائق هذا الوجود.

وفي التأكيد على جزئية المعرفة الإنسانية يقول ربنا ـ تبارك وتعالى: ـ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

**ويقول ـ عز من قائل: ـ** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١٣) ضرورة التمييز بين محقق الدلالة العلمية للحديث النبوي الشريف والناقل لتلك الدلالة، مع مراعاة التخصص الدقيق في جميع مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمي أو ما يعرف باسم: «**التحقيق العلمي للنص النبوي الشريف**»،

وذلك لأن المعارف العلمية قد توسعت اليوم توسعاً مذهلاً مما اضطر العلماء إلى المبالغة في تحديد مساحة التخصص دقة وعمقاً، وعلى ذلك فلا يجوز أن يخوض كل خائض في تحقيق قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله أو في سنة خاتم أنبيائه ورسله احتراماً لهذين المصدرين من مصادر التشريع الإلٰهي المحفوظين في نفس لغة الوحي بهما (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، واللذين تعهد الله ـ تعالى ـ بحفظهما تعهداً مطلقاً حتى يبقيا شاهدين على جميع الخلق إلى قيام الساعة.

فالتحقيق العلمي لا بد أن يجرى على أيدى المتخصصين، وإذا نقل ذلك أحد الرواة فلا بد من رد كل قضية إلى محققها من المتخصصين بوضوح وإثبات كاملين إنصافاً للمحقق الأصلي للقضية وسنداً للناقل لها رواية عنه، وعلماؤنا الأوائل قد علموا الإنسانية فن الإسناد ولا يجوز لمسلم اليوم أن يتجاهله أو أن يغمط عالماً من العلماء حقه في ذلك.

(١٤) التأكيد على أن ما يتوصل إليه محقق علمي في فهم الدلالة لأية إشارة علمية في حديث نبوي شريف ليس منتهى الفهم له، وذلك لأن الرسول الخاتم ﷺ قد أوتي جوامع الكلم.

(١٥) التسليم بأن النص النبوي الشريف وإن جاء في مقام التشبيه أو المجاز أو ضرب المثل فإنه يبقى صحيحاً من الناحية العلمية في لفظه ومعناه صحة مطلقة وإن لم تكن الحقيقة العلمية مقصودة لذاتها لأنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كان موصولاً بالوحي ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض: ـ

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

(١٦) ضرورة التفريق بين قضيتي التفسير العلمي والإعجاز العلمي للنص النبوي الشريف. وذلك لأن التفسير هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الحديث، إن أصاب فيه المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. والمعول عليه في ذلك هو قصده ونيته، والخطأ في تفسير الحديث النبوي الشريف يعود على

المفسر ولا ينسحب على جلال النص النبوي الصحيح. وهنا لا بد من التأكيد على أنه لا يمكن وقوع تعارض بين النصوص الموحى بها في كتاب الله أو على لسان خاتم أنبيائه ورسله، وبين الحقيقة العلمية الثابتة، فإن بدا للقارئ شيء من التعارض فعليه بسؤال أهل العلم، فقد تكون هناك حكمة خفيت على قارئ النص لأول وهلة، أو أن يكون هناك خلل في الفهم تجب معالجته قبل إصدار أحكام متعجلة على حديث من أحاديث رسول الله ﷺ كما يحدث كثيراً في زمن الفتن الذي نعيشه.

وهنا أيضاً قد يكون الجمع بين النصوص والروايات المتعددة في القضية الواحدة، ووضع كل منها في موضعه الصحيح وسيلة من وسائل تكامل الرؤية وإيضاح الصورة وتصحيح التفسير وتجنب الشطط فيه.

وفي التفسير العلمي للنص النبوي الشريف نحرص على توظيف الحقائق العلمية الثابتة، ولكن بما أن العلم لم يصل إلى الحقيقة في كل أمر من أمور الوجود فليس هناك حرج من توظيف النظرية العلمية المقبولة والسائدة في تحقيق التفسير العلمي للحديث النبوي الشريف حتى تصل المعرفة الإنسانية في هذا الأمر إلى مستوى الحقيقة.

أما الإعجاز العلمي للحديث النبوي الشريف فيقصد به إثبات سبق رسول الله ﷺ بالإشارة إلى حقيقة علمية قبل وصول العلوم المكتسبة لها بقرون عديدة. وهذا السبق العلمي من قبل ألف وأربعمائة سنة، وفي بيئة بدائية وزمن لم يكن ممكناً لأي من البشر الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق الاكتساب المعرفي لممَّا يقطع بأنه لا يمكن أن يكون لها من مصدر غير وحي السماء.

وانطلاقاً من هذا التعريف فإن موقف التحدي بالإعجاز العلمي هو موقف تحد للناس جميعاً ـ مسلمين وغير مسلمين ـ أن نبياً أمياً ﷺ بعث من قبل ألف وأربعمائة سنة، في أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين قد نطق بهذا الحق

الذي لم تصل إليه معارف الإنسان المكتسبة إلا منذ بضع عقود قليلة من السنين مما يثبت نبوته ورسالته وصلته بوحي السماء.

والمتحدي لا بد وأن يكون واقفاً على أرضية صلبة، ومن هنا فلا بد من الحرص على توظيف القطعي الثابت من الحقائق العلمية في إثبات الإعجاز العلمي لأحاديث رسول الله ﷺ في كل القضايا التي تعرض لها باستثناء الأحاديث المتعلقة بقضايا غيبية من مثل قضايا الخلق والإفناء والبعث لكل من الكون والحياة والإنسان كما سبق وأن وضحنا، وذلك لأن هذه القضايا لا تخضع للإدراك المباشر من الإنسان على الرغم من إلحاح كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على تدبرها والتفكر فيها، ومعنى ذلك أنه على الرغم من أن هذه القضايا لم يشهدها أي منا، إلا أن الله ـ تعالى ـ قد أبقى لنا في صفحة السماء وفي صخور الأرض من الشواهد الحسية ما يمكن أن يعين الإنسان ـ بحسه المحدود وقدرات عقله المحدودة ـ على الوصول إلى تصور ما عن خلق السمٰوات والأرض وخلق كل من الأحياء والإنسان.

وهنا تتعدد الرؤى وتكثر النظريات، وتتعارض الفلسفات بتعارض خلفية واضعيها من الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، والاستقامة، والانحراف، والجدية والهزل، وغير ذلك من المواقف البشرية، وهنا يظهر للمسلم ـ وللمسلم فقط ـ نور من الله ـ تعالى ـ في آية قرآنية كريمة أو في حديث نبوي صحيح مرفوع إلى رسول الله ﷺ يمكن أن يعين على الارتقاء بإحدى النظريات المطروحة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أو في سنة خاتم أنبيائه ورسله.

(١٧) عدم التقليل من جهود العلماء السابقين الذين اجتهدوا في تفسير أحاديث رسول الله ﷺ في حدود المعلومات العلمية التي كانت متاحة لهم في أزمنتهم، وذلك لأن من طبيعة المعارف العلمية أن تزداد اتساعاً وعمقاً مع مرور الزمن ما لم تنتكس الحضارات الإنسانية وترتد على أعقابها، أو تدمر بأمر من الله ـ تعالى ـ عقاباً لها على جرائمها، ومنها الإفساد في الأرض.

(١٨) الأخذ في الاعتبار أنه من الممكن الانطلاق من الحديث النبوي الشريف للوصول إلى حقيقة علمية لم يصل إليها أحد من قبل، ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لسبقوا غيرهم من الأمم في الوصول إلى العديد من حقائق العلم لوفرة الإشارات العلمية في كتاب الله، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله.

وعلى الرغم من تخلف المسلمين المعاصرين في مجالي العلوم والتقنية، إلا أن الباب لا يزال مفتوحاً أمامهم للانطلاق من آية قرآنية كريمة أو من حديث نبوي شريف من أجل الوصول إلى ما لم يسبقهم إليه غيرهم من حقائق الوجود.

(١٩) يجب تحري الدقة المتناهية في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ وإخلاص النية لله في ذلك، والتجرد من كل هوى نفسي وغاية شخصية أو مكاسب مادية حتى يبارك في العمل ويكون خالصاً لوجه الله ـ تعالى ـ.

## الفصل الثالث

# نماذج من الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ

### أولاً: التأكيد على أن الأرضين السبع كلها في أرضنا

يروى عن رسول الله ﷺ الأقوال التالية في النهي عن الظلم:

- **«من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»**.
- **«من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين»**.
- **«من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**.
- **«من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين »**.
- **«من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين»**.

**(١) «من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين»**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٣، باب: ما جاء في سبع أرضين، كتاب بدء الخلق) قال:

● حَدَّثَنَا عَلِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ عَلِي بْنِ الْمُبَارَكِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

● حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا حَرْبٌ قَالَ: حدثني يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ ـ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

**(٢) من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٢٣٢١، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض) قال:

● حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أُنَاسٍ خُصُومَةٌ فَذَكَرَ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه حديث رقم ١٦١٢ في كتاب المساقاة قال:

● حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حَرْبٌ وَهُوَ ابْنُ شَدَّادٍ حَدَّثَنَا يَحْيَى وَهُوَ ابْنُ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ خُصُومَةٌ فِي أَرْضٍ وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا سَلَمَةَ اجْتَنِبِ الأَرْضَ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

**(٣) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٤، باب: ظلم من الأرض، كتاب المظالم):

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ **«مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

وأخرجه أيضاً أحمد في مسنده حديث رقم ٥٧٤٠:

● حَدَّثَنَا عَارِمٌ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

**(٤) «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ١٠٢٦، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض، كتاب بدء الخلق) قال:

● حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّهُ خَاصَمَتْهُ أَرْوَى فِي حَقٍّ زَعَمَتْ أَنَّهُ انْتَقَصَهُ لَهَا إِلَى مَرْوَانَ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أَنْتَقِصُ مِنْ حَقِّهَا شَيْئاً؟ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

(وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم ١٦١٠، كتاب المساقاة).

● حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّاءَ بْنِ أَبِي زَائِدَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ أَخَذَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ ظُلْماً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

**(٥) «من ظلم من الأرض شيئاً طوقه من سبع أرضين».**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٢٣٢٠، كتاب المظالم والغصب) قال:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِي قَالَ: حَدَّثَنِي طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**.

وأخرجه أحمد في مسنده (حديث رقم١٦٤٣):

● حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ حَدَّثَنِي الزُّبَيْدِيُّ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَمْرِو بْنِ سَهْلٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ ظَلَمَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**».

**(٦) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين»**

هذا الحديث الشريف ـ أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٤، باب: إثم من ظلم شيئاً من الأرض) قال:

● حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنْ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

● حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

**شرح الحديث:**

وهذه الأحاديث: تنهى عن الظلم بصفةٍ عامةٍ، وعن الظلم في اغتصاب الأرض بصفةٍ خاصةٍ، انطلاقاً من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٧].

والآيات القرآنيّة الكريمة، وكذلك الأحاديث النبويّة الشريفة في النهي عن الظلم كثيرةٌ، ولكنّ الروايات الخمس المُشَار إليها آنفاً تُرَكِّز على الأرضين السبع. وقد حَارَ النّاس في فَهْم دِلالة تلكَ الإشارة الكونيّة، وكَثُرَت تساؤلاتهم:

هل الأرضين السبع هي سبعُ كواكبَ مُنفَصِلةٍ مثل أرضنا، لكلٍّ أرضٍ منها سماؤُها؟ وإذا كان كذلك فأين هي؟ خاصَّةً وأنّ أعدادَ الكواكبِ في الجزءِ المُدْرَك من السماء الدنيا كثيرةٌ، وقد بدأت البحوث الفلكيّة في اكتشاف أعدادٍ منها على الرّغم من صعوبة ذلك.

هل هي من كواكب المجموعة الشمسيّة كما كان يُظَنُّ إلى عهدٍ قريبٍ قبلَ أن يصلَ عدد المُكتَشَف منها إلى أَحَدَ عَشَرَ كوكباً؟ أم هي سبعُ نُطُقٍ في أرضنا التي نحيا عليها يُغلِّف الخارجُ منها الداخلَ فيها، وتتطابق حول مركزٍ واحدٍ؟.

والأحاديث النبويّة الشريفة المُشَار إليها آنفاً تؤيِّد التصوُّر الأخير الذي أثبتته الدراسات الفيزيائيّة لتركيب الأرض الداخليّ على النحو التالي:

- **لُبّ الأرض الصلب**: وهو عبارةٌ عن نواةٍ صلبةٍ من الحديد (٩٠٪)، والنيكل (٩٪)، مع قليلٍ من العناصر الخفيفة (١٪) من مثل الكربون، والفوسفور، والكبريت، والسيليكون، والأوكسجين، وهو تركيبٌ قريبٌ من تركيب النيازك الحديديّة مع زيادةٍ واضحةٍ في نسبة الحديد، ويبلغ قطر هذه النواة حالياً حوالي (٢٤٠٢) كيلومتراً، وتُقَدَّر كثافتها بحوالي ١٠ ـ ١٣,٥ جرام للسنتيمتر المكعب؛ ذلك لأن متوسط كثافة صخور الأرض ككل هو ٥,٥ جرام للسنتيمتر المكعب، وتعتبر تلك النواة **(الأرض السابعة)**.
- **نطاق لُبِّ الأرض السائل (الخارجي)**: وهو نطاقٌ سائلٌ تقريباً، يحيط باللُبّ الصلب، وله نفس تركيبه الكيميائيّ تقريباً، ولكنّه في حالة انصهار، ويُقَدَّر سُمْكُه بحوالي (٢٢٧٥) كيلومتراً، ويفصله عن اللُبّ الصلب منطقةٌ انتقاليةٌ شبهُ منصهرةٍ يبلغ سُمْكُها (٤٥٠) كيلومتر، تُعْتَبَر الجزء الأسفل من هذا النطاق الذي

يمثل **الأرض السادسة**، ويُكَوِّن كل من اللُبّ الصلب والسائل حوالي ٣١٪ من كتلة الأرض.

- **النطاق الأسفل من وشاح الأرض (الوشاح السفلي)**: وهو نطاقٌ صلبٌ يُحِيط بلُبّ الأرض السائل، ويبلغ سُمْكُه حوالي (٢٢١٥) كيلومتراً (من عمق ٦٧٠كم إلى عمق ٢٨٨٥كم) ويفصله عن الوشاح الأَوْسط (الذي يعلوه) مستوى انقطاع الموجات الاهتزازيّة الناتجة عن الزلازل، ويُعْتَبَر هذا النطاق **(الأرض الخامسة)**.

- **النطاق الأوسط من وشاح الأرض (الوشاح الأوسط)**: وهو نطاقٌ صلبٌ يبلغ سُمْكُه حوالي (٢٧٠) كيلومتراً، ويَحُدُّه من أعلى وأسفل مستويان من مستويات انقطاع الموجات الاهتزازيّة يقع أحدهما على عمق (٦٧٠) كيلومتراً (ويفصله عن الوشاح الأسفل)، ويقع الآخر على عمق (٤٠٠) كيلومتراً تحتَ سطح الأرض، ويَفصِلُه عن الوشاح الأعلى، ويمثِّل هذا النطاق **(الأرض الرابعة)**.

- **النطاق الأعلى من وشاح الأرض (الوشاح العلوي)**: وهو نطاقٌ لدنٌ، شبهُ منصهرٍ، عالي الكثافة واللزوجة، تَبْلُغ نسبة الانصهار فيه حوالي (١٪)، ولذلك فإنه يُعْرَف باسم نطاق الضَّعف الأرضي، ويَمْتَدُّ بين عمق (٦٥، ١٢٠) كيلومتر، وعمق (٤٠٠) كيلومتر تحتَ سطح الأرض، ولذلك يتراوح سُمْكُه بين (٣٣٥)، (٣٨٠) كيلومتراً، ويعتبر هذا النطاق **(الأرض الثالثة)**.

- **النطاق السفلي من الغـلاف الصخري للأرض**: ويتراوح سُمْكُه بيْن (٥٧)، (٦٠) كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات بين أعماق تتراوح بين (٥، ٨كم) بينما يتراوح سمكه على اليابسة بينَ ٣٢٠، ٣٤٠ كيلومتراً (بعد أعماق تتراوح من ٦٠ إلى٨٠ كيلومتراً في المتوسط) ويَحُدُّه من أسفل الحدّ العلويّ لنطاق الضعف الأرضيّ، ومن أعلى خط انقطاع الموجات الاهتزازيّة المعروف باسم: «الموهو» ويمثِّلُ هذا النطاق **(الأرض الثانية)**.

- **النطاق العلوي من الغلاف الصخري للأرض (قشرة الأرض)**: ويتراوح سُمْكُه

بيْن (٥، ٨) كيلومترات تحتَ قِيْعانِ البحار والمحيطات، وبين ٦٠ إلى٨٠ كيلومتراً في المتوسّط تحتَ القارات، ويتكون غالباً من الصخور الجرانيتيّة المغطاة بسُمْك رقيقٍ من التتابعات الرسوبيّة والتربة، ويَغْلُب على تركيب قشرة الأرض العناصر الخفيفة في كُتل القارات، والصخور القاعديّة وفوقَ القاعديّة وبعض الرسوبيّات في قِيعَان البحار والمحيطات، وتُعْتَبَر قشرة الأرض هي: **(الأرض الأولى)**.

هذا التفسير يتطابق مع أحاديث المصطفى ﷺ، خاصةً حينما يَذْكُر التعبير المُعْجِز «**خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**» مما يشير إلى تطابق تلك الأرضين حولَ مركزٍ واحدٍ، ويُدَعِّمُه قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ في سورة إبراهيم، عقب الآيات المُحَذرَة من الظلم والتي أشرنا إليها في الأسطر السابقة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

وقوله ـ عز من قائل ـ في ختام سورة الطلاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله ﷻ في سورة الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ ـ ٤].

والوصف (طباقاً) هنا معناه متطابقة حولَ مركزٍ واحدٍ، يُغَلِّف الخارجُ منها الداخلَ فيها، وليست طباقاً بمعنى طبقات بعضُها فوقَ بعضٍ بهيئةٍ أفقيةٍ كما تَصَوَّرَها البعضُ من قبل، ورَحِمَ الله اليقاعي الذي قال: «(طباقاً) أي: ذاتُ أطباقٍ، بحيثُ يكون كلُّ جزءٍ منها مطابقاً للجزء من الأخرى، ولا يكون جزءٌ منها خارجاً عن ذلك، وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كُرَوِيَّةً، والسماء الدنيا مُحِيطَةٌ بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب، والسماء الثانية مُحِيطَةٌ بالسماء الدنيا، وهكذا إلى أن يكون العرش مُحِيطاً بالكلِّ، والكُرسِيّ الذي هو

أقربُها بالنسبة إليه كحلقةٍ في فلاةٍ، فما ظَنُّكَ بما تَحتَه، وكلٌّ سماءٍ من التي فوقَها بهذه النِّسبة، وقد قرَّر أهلُ الهيئةِ أنَّها كذلك، وليس في الشرع ما يُخَالِفُه، بل ظاهِرُه يُوَافِقُه».

ويؤكد هذا الاستنتاج مقابلة السماء ـ على سعتها ـ بالأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ في عشرات الآيات القرآنية، والإشارة إلى فاصل بينهما في عشرين آية قرآنية من مثل قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا. . .﴾ [مريم: ٦٥].

واستنتاجنا هذا: أن الأرضين السبع كلها في أرضنا التي نحيا عليها، يغلف الخارج منها الداخل فيها، وأنها محاطة بالسمٰوات السبع إحاطة كاملة أيضاً أولاها السماء الدنيا المحيطة بأرضنا، ومن حولها ست سمٰوات يغلف الخارج منها كل ما دخل فيها، تؤكده إشارة القرآن الكريم إلى تطابق أقطار السمٰوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ وذلك في قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وذلك لأن قطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مروراً بمركزه، فإذا انطبقت أقطار السمٰوات ـ على ضخامتها ـ مع أقطار الأرض ـ على ضآلتها النسبية ـ فلا بد أن تكون الأرض في مركز الكون، وأن تكون الأرضون السبع كلها في أرضنا وأن تكون محاطة بالسمٰوات السبع إحاطة كاملة، والله أعلم.

* * *

## ثانياً: التأكيد على أن تحت البحر ناراً

قال ﷺ: «**لا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إلا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَاراً وَتَحْتَ النَّارِ بَحْراً**».

هذا الحديث الشريف أخرجه أبو داود في سننه (حديث رقم: ٢٤٨٩، باب: ركوب البحر في الغزو، كتاب الجهاد) قال:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّا عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ بِشْرٍ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ بَشِيرِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إلا حَاجٌّ أَوْ مُعْتَمِرٌ أَوْ غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَاراً وَتَحْتَ النَّارِ بَحْراً**».

وكذلك أخرجه البيهقي في سننه (ج٤) وأخرجه غيرهما مرفوعاً بلفظ: «**إن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**» وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ج١)، موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بلفظ: «إن تحت البحر ناراً، ثم ماءً، ثم ناراً» وذكر أن رجال إسناده ثقات.

(وقيل في الرواية المرفوعة السابقة أن إسنادها ضعيف، ولكن الحاكم في المستدرك (ج٤/ ٨٧٦٢) أخرج له شاهداً من حديث يعلى بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن البحر هو جهنم**» وقال: صحيح الإسناد؛ ووافقه الإمام الذهبي في «تلخيص المستدرك» على ذلك، وعليه يكون الحديث بمجموع طرائقه حسناً على الأقل، ومن ضعفه فقد نظر إلى طريقه الضعيفة وحدها نظراً لصعوبة فهم دلالة الحديث.

فقد ذكر ابن كثير في «البداية» (الجزء الثاني، طبعة دار هجر) يقول في معنى كون البحر جهنم: «إن البحر يسجّر يوم القيامة ويكون من جملة جهنم». وما أروع ما جاء في كتاب «عون المعبود في شرح سنن أبي داود «للعظيم آبادي ـ الجزء السابع» في شرح معنى: «**إن تحت البحر ناراً**» قال: «قيل هو على

ظاهره، فإن الله على كل شيء قدير». وقال الخطابي في «شرح سنن أبي داود»: «هو تفخيم الأمر بالبحر وتهويل من شأنه».

وذكر ابن حجر شاهداً لصدر هذا الحديث يقويه ويرقى به إلى مرتبة الحسن، وذلك في كتابه «التلخيص» (الجزء الثاني) من حديث لابن عمر رضي الله عنهما، وبذلك يكون الحديث بمجموعه كله حسناً، على الرغم من عجيب ما فيه من معان علمية دقيقة لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين.

**شرح الحديث:**

الحديث الذي نحن بصدده يتفق بدقة بالغة مع القسم القرآني الوارد في مطلع سورة الطور، والذي يقسم فيه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وهو الغني عن القسم ـ بالبحر المسجور فيقول ـ عز من قائل ـ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ [الطور: ١ ـ ٨].

ولم يستطع العرب في وقت تنزل القرآن الكريم أن يستوعبوا دلالة القسم بالبحر المسجور لأن عندهم: (سجر التنور) يعني أوقد عليه حتى أحماه، والماء والحرارة من الأضداد، فالماء تطفئ الحرارة، والحرارة تبخر الماء، فكيف يمكن للأضداد أن تتعايش في تلاحم وثيق دون أن يلغي أحدها الآخر؟ وقد دفعهم ذلك إلى نسبة الأمر للآخرة استناداً إلى ما جاء في سورة «التكوير» من قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير: ٦].

ولكن الآيات في مطلع سورة «التكوير» كلها تشير إلى أمور مستقبلية في الآخرة، والقسم في مطلع سورة «الطور» كله بأمور واقعة في حياتنا!!!

واضطر ذلك مجموعة من المفسرين إلى البحث عن معنى لغوي للفعل (سجر) غير أوقد على الشيء حتى أحماه، ووجدوا من معاني (سجر) ملأ وكف،

وفرحوا بذلك فرحاً شديداً؛ لأنه فسر الأمر لهم بمعنى أن الله ـ تعالى ـ يمنّ على البشرية كلها بأنه قد ملأ منخفضات الأرض بالماء وحجزه وكفه عن مزيد من الطغيان على اليابسة.

ولكن حديث رسول الله ﷺ الذي نتناوله في هذه العجالة يؤكد على: أن «**تحت البحر ناراً، وأن تحت النار بحراً**».

والرسول (صلوات الله وسلامه عليه) لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فمن كان يضطره إلى الخوض في أمر غيبي كهذا لولا أن الله ـ تعالى ـ قد أخبره به؛ لأنه سبحانه يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سيكتشف هذه الحقيقة الكونية المبهرة في يوم من الأيام فأنزلها في كتابه الكريم، وعلمها لخاتم الأنبياء والمرسلين لتبقى شاهدة أبد الدهر على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم كان موصولاً بالوحي ومعلَّماً من قبل خالق السمٰوات والأرض، الذي وصف خاتم أنبيائه ورسله بقوله ـ عز من قائل ـ:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ٥].

وبعد الحرب العالمية الثانية نزل العلماء إلى أعماق البحار والمحيطات، بحثاً عن بعض الثروات المعدنية التي استنفدت احتياطاتها أو كادت من على اليابسة في ظل الحضارة المادية المسرفة التي يعيشها إنسان اليوم، ففوجئوا بسلسلة من الجبال البركانية تمتد في أواسط كافة محيطات الأرض لعدة عشرات الآلاف من الكيلومترات أطلقوا عليها اسم: (جبال أواسط المحيطات). وبدراسة تلك السلاسل الجبلية المحيطية اتضح أنها تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية التي اندفعت على هيئة ثورات بركانية عنيفة عبر شبكة هائلة من الصدوع العميقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض، وتحيط بكرتنا الأرضية إحاطة كاملة في كل الاتجاهات، وتتركز أساساً في قيعان كل من المحيطات وبعض البحار (مثل البحر الأحمر) وإن وُجدت كذلك على اليابسة.

وشبكة الصدوع تلك تصل في امتداداتها إلى أكثر من ٦٤,٠٠٠ كيلومتر، وفي أعماقها إلى ٦٥ كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات وإلى أكثر من (١٥٠) كيلومتراً تحت قشرة الأرض، مخترقة الغلاف الصخري للأرض بالكامل فتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتوجد الصخور فيه في حالة لدنة، شبه منصهرة، عالية الكثافة واللزوجة تدفعها تيارات الحمل الساخنة إلى قيعان كل محيطات الأرض وقيعان بعض البحار (من مثل البحر الأحمر) في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية، وذلك بملايين الأطنان فتدفع بجانبي المحيط يمنة ويسرة في ظاهرة يسميها العلماء ظاهرة: «اتساع قيعان البحار والمحيطات» (Sea-Floor Spreading). وباستمرار هذا التوسع، تملأ المناطق الناتجة عن عملية الاتساع تلك بالصهارة الصخرية؛ مما يؤدي إلى تسجير قيعان كل محيطات الأرض، وقيعان بعض بحارها (ذات القيعان المتصدعة التي تتعرض لعملية توسع).

ومن الظواهر المبهرة للعلماء اليوم أن الماء في المحيطات والبحار على كثرته لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الصهارة، ولا الصهارة على شدة حرارتها تستطيع أن تبخر مياه البحار والمحيطات بالكامل، ويبقى هذا التوازن بين الأضداد: الماء والنار فوق قيعان كل محيطات الأرض (بما في ذلك المحيطين المتجمدين الشمالي والجنوبي)، وقيعان عدد من البحار(مثل البحر الأحمر) شهادة حية على طلاقة القدرة الإلٰهية التي لا تحدها حدود وعلى صدق القرآن الكريم، وصدق الرسول الخاتم الذي تلقاه ﷺ.

ففي مشروع لاستثمار ثروات قاع البحر الأحمر (وهو بحر قاعه منفتح تثور البراكين فيه ثورة عنيفة فتثري رسوبيات ذلك القاع بالعديد من المعادن)، قام مشروع مشترك بين كل من المملكة العربية السعودية والسودان وإحدى الدول الأوربية لاستغلال بعض تلك الثروات المعدنية، وكانت باخرة أبحاث تلقي بكباش من المعدن لجمع عينات من طين ذلك القاع، ويرتفع الكباش في عمود من الماء، يزيد سمكه عن ثلاثة آلاف متر، فإذا وصل إلى سطح الباخرة لا

يستطيع أحد أن يقربه من شدة حرارته، وإذا فتح يخرج منه الطين وبخار الماء الحار في درجات حرارة تتعدى الثلاثمائة درجة مئوية. وأصبح ثابتاً لدى العلماء اليوم أن الثورات البركانية فوق قيعان كل محيطات الأرض وقيعان أعداد من بحارها تفوق نظائرها على اليابسة بمراحل عديدة.

ثم ثبت بأدلة عديدة أن كل ماء الأرض ـ على كثرته ـ قد أخرجه ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من داخل الأرض عن طريق الثورات البركانية عبر كل من فوهات البراكين، وصدوع الغلاف الصخري للأرض التي تمزقه إلى أعماق تصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وأن الصهارة الصخرية في نطاق الضعف الأرضي ودونه تحوي كمًّا من الماء يفوق كل ما على سطح الأرض من ماء بعشرات الأضعاف، وهنا تتضح روعة هذا الحديث النبوي الشريف الذي قدر فيه المصطفى ﷺ عدداً من حقائق الأرض المبهرة بقوله: «**إن تحت البحر ناراً، وتحت النار بحراً**».

وهي حقائق لم يتوصل الإنسان إلى إدراك شيء منها إلا منذ سنوات معدودة، وورودها بهذه الدقة العلمية الفائقة في حديث رسول الله ﷺ لممَّا يشهد له بالنبوة والرسالة، وبأنه ﷺ كان أبداً موصولاً بالوحي، ومُعَلَّماً من قِبَل خالق السمٰوات والأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول في حقه:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٣ ـ ١٠].

فلم يكن أحد على وجه الأرض يعلم هذه الحقائق قبل عقود قليلة، وورودها بهذه الدقة العلمية في حديث رسول الله ﷺ هو من الأمور المعجزة حقّاً، والشاهدة بصدق نيته وكمال رسالته ﷺ.

* * *

## ثالثاً: الإشارة إلى حقيقة إرساء الأرض بالجبال

يروى عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت. . . .**».

هذا الحديث الشريف رواه الترمذي في سننه (حديث رقم: ٣٣٦٩، كتاب تفسير القرآن)، ورواه أحمد في مسنده (حديث رقم: ٢٢٧٥)، وكل منهما قال:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ قَالُوا: يَا رَبِّ هَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْحَدِيدُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ النَّارُ فَقَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَاءُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ الرِّيحُ قَالُوا: يَا رَبِّ فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنْ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ ابْنُ آدَمَ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ**» قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

**شرح الحديث:**

وهذا الحديث الشريف يتفق روحاً ومعنى مع قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٢، ٣٣].

وقد تكرر هذا المعنى في تسعة مواضع أخرى من كتاب الله العزيز (الرعد: ٣، الحجر: ١٩، النحل: ١٥، الأنبياء: ٣١، النمل: ٦١، لقمان: ١٠، فصلت: ١٠، قٓ: ٧، المرسلات: ٢٧)، مما يدل على أهميته في تهيئة الأرض للعمران.

**ولفظة (الأرض)** ترد في القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله ﷺ بمدلولات ثلاثة حسب مفهوم السياق، فهي ترد أحياناً للدلالة على الكوكب الأرضي ككل.

وأحياناً ترد بمدلول كتل اليابسة التي نحيا عليها (الغلاف الصخري للأرض)، وأحياناً أخرى يقصد بها التربة التي تغطي صخور اليابسة.

وقد اختلف العلماء في فهم دور الجبال في إرساء الأرض اختلافاً كبيراً؛ وذلك لأن مجموع كتل الجبال على سطح الأرض ـ على الرغم من ضخامتها ـ لا تساوي شيئاً بالنسبة لكتلة الأرض ككل والمقدرة بحوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن.

كذلك فإن ارتفاعات الجبال ـ على تعاظمها ـ لا تساوي شيئاً بالنسبة إلى طول نصف قطر الأرض؛ وذلك لأن الفرق بين أعلى قمة جبلية على سطح الأرض ـ وهي قمة إفرست (في سلسلة جبال الهيمالايا) والتي يبلغ ارتفاعها (٨٨٤٨ متراً) فوق مستوى سطح البحر ـ وبين أعمق بقعة في أغوار المحيطات ـ وهي غور ماريانا بالقرب من جزر الفلبين، والتي تبلغ في العمق ١٠٨٦٧ متراً تحت مستوى سطح البحر ـ لا يكاد يصل إلى عشرين كيلومتراً (١٩,٧١٥ كيلومتراً)، بينما يبلغ نصف القطر الاستوائي للأرض ٦,٣٧٨,١٦٠ كيلومتراً، وهنا تتضح ضآلة تضاريس الأرض بالنسبة إلى نصف قطرها، ونسبتها لا تكاد تتعدى ٠,٣٪ (١٦٠، ٦٣٧٨/ ٧١٥، ١٩).

وهنا يبرز التساؤل المنطقي: كيف يمكن للجبال أن تثبت الأرض وكتلتها وأبعادها بهذه الضآلة إذا ما قورنت بكتلة وأبعاد الأرض؟، والجواب لم يكن ممكناً قبل أواسط الستينات من القرن العشرين حين اتضح لنا أن الغلاف الصخري للأرض ممزق بشبكة هائلة من الصدوع التي تمتد لعشرات الآلاف من الكيلومترات، وهي محيطة بالأرض إحاطة كاملة بعمق يتراوح بين ٦٥كم، ١٥٠كم، فتؤدي إلى تمزيق هذا الغلاف إلى عدد من الألواح الصخرية المعزولة عن بعضها البعض بمستويات تلك الصدوع، وتطفو ألواح الغلاف الصخري للأرض فوق طبقة لدنة شبه منصهرة عالية الكثافة واللزوجة تعرف باسم: نطاق الضعف الأرضي.

وفي هذا النطاق تنشط التيارات الجدارية على هيئة دوامات عاتية من تيارات الحمل التي تدفع بألواح الغلاف الصخري للأرض متباعدة عن بعضها البعض، أو مصطدمة ببعضها البعض بسرعات لا تسمح بعمرانها على الإطلاق.

وهذه الحركات لألواح الغلاف الصخري للأرض لا يُهَدِّئ من عُنْفِها إلا تَكَوُّن السلاسل الجبلية نتيجة لتصادم ألواح الغلاف الصخري للأرض. وهذه السلاسل الجبلية تتكون على مراحل متتالية حتى تصل إلى مرحلتها النهائية باستهلاك قاع المحيط الفاصل بين قارتين متباعدتين استهلاكاً كاملاً، وذلك بدفع إحدى القارتين له تحت القارة الأخرى حتى تصطدم القارتان وينتج عن ذلك تضاعف وتكسر الصخور المتجمعة بينهما على هيئة سلاسل جبلية عظيمة تمتد بأوتادها لتثبت صخور إحدى القارتين بصخور الأخرى، كما يثبّت الوتد أركان الخيمة بالأرض، وكما قد حدث بتحرك الهند في اتجاه القارة الآسيوية حتى اصطدمتا ونتج عن ذلك تكون جبال الهيمالايا كأحدث سلسلة جبلية على سطح الأرض وأعلاها ارتفاعاً.هذا بالنسبة لتثبيت كتل القارات على سطح الأرض لجعلها صالحة للعمران..أما بالنسبة للأرض ككوكب، فمن المعروف أنه نتيجة لدوران أرضنا حول محورها فقد تحول شكلها من كرة تامة الاستدارة إلى شبه كرة منبعجة قليلاً عند خط الاستواء، ومفلطحة قليلاً عند القطبين، وهذا النتوء الاستوائي للأرض جعل محور دورانها يغير اتجاهه في حركة بطيئة تعرف باسم: (الحركة البدارية) عندما خلق الله الأرض جعلت تميد، فأرساها بالجبال، والحديث الشريف يتفق نصاً ومعنى مع آيات قرآنية كريمة (سبقت الإشارة إليها)، فسبحان الذي أنزل القرآن من قبل أربعة عشر قرناً بهذه الحقيقة العلمية المبهرة، وألهمها خاتم أنبيائه ورسله ﷺ فصاغها هذه الصياغة المعجزة (وقد أوتي جوامع الكلم)، ولم يتوصل الإنسان إلى شيء من هذا الفهم لوظيفة الجبال إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولا يمكن لعاقل أن يتصور أن هذه الحقيقة العلمية، والعديد غيرها من الحقائق التي جاءت على لسان هذا النبي الأمي (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم)، والذي بعث من قبل ألف وأربعمائة سنة في أمة كانت

غالبيتها الساحقة من الأميين ـ كان لها من مصدر غير الله الخالق، فلم يكن لأحد من الخلق أي إدراك لتلك الحقيقة قبل العقود المتأخرة من القرن العشرين.

* * *

## رابعاً: التأكيد على أنه «ما من عام بأقل مطراً من عام»

أخرج الإمام البيهقي (يرحمه الله) في السنن الكبرى برقم ٦٢٧٥ (ج٣، ص: ٣٦٣ من طبعة الهند) هذا الحديث الشريف الذي رواه ابن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ ولفظه: «**ما من عام بأقل مطراً من عام**».

وهذا الحديث الشريف أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (ج٢، ص: ٤٠٣ من طبعة الهند) مرويًّا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «**ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يَصْرِفُهُ ـ أو ـ يُصَرِّفُه**» وعلى الرغم من أن النص الأول موقوف على ابن مسعود، والنص الثاني موقوف على ابن عباس (رضي الله عنا وعنهم أجمعين)، مما دفع ببعض دارسي الحديث إلى تضعيف الرفع لعدم فهم دلالته العلمية.

**شرح الحديث:**

هذا الحديث الشريف الذي ضعَّفه عدد من علماء السنة النبوية المشرفة يمثل سبقاً علمياً للمعارف الإنسانية بأكثر من ألف وأربعمائة سنة، كما يمثل نصًّا رائعاً من نصوص الإعجاز العلمي في أحاديث رسول الله ﷺ، ومن هنا تأتي قوته، فقد ثبت علميًّا أن كمية الماء على سطح الأرض هي كمية هائلة، إذ تقدر بحوالي ١٣٦٠ مليون كيلومتر مكعب، أغلبها (٩٧,٢٠٪) على هيئة ماء مالح في البحار والمحيطات، بينما تتجمع الكمية الباقية (٢,٨٠٪) على هيئة الماء العذب بأشكاله الثلاثة (الصلبة، والسائلة، والغازية)، منها (٢,١٥٪) من مجموع ماء الأرض على هيئة تراكمات الجليد فوق المنطقتين القطبيتين من الأرض، وعلى قمم جبالها، والماء الباقي ـ وتقدر كميته بحوالي (٠,٦٥٪) من مجموع مياه الأرض ـ يختزن أغلبه في الطبقات المسامية من صخور القشرة الأرضية على هيئة ماء مخزون

تحت سطح الأرض، تليه في الكثرة النسبية مياه البحيرات العذبة، ثم الماء المختزن على هيئة رطوبة في تربة الأرض، ويليه بخار الماء في الغلاف الغازي للأرض (رطوبة الغلاف الغازي)، ثم المياه الجارية في الأنهار وتفرعاتها، كما سبق وأن أسلفنا.

والماء المالح يغطي حوالي ٧١٪ من مساحة سطح الأرض المُقدَّرة بحوالي ٥١٠ مليون كيلومتر مربع، أي: إن مساحة المسطحات المائية فوق الأرض تقدر بحوالي (٣٦١ مليون كيلومتر مربع)، بينما تقدر مساحة اليابسة بحوالي (١٤٩ مليون كيلومتر مربع) فقط.

وعلى ذلك فإن معدل البَخْر من أسطح البحار والمحيطات يقدر بحوالي (٣٢٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب) من الماء في كل عام، بينما يُقدَّر معدل البخر من اليابسة بحوالي ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب، وبجمع هذين الرقمين يتضح أن دورة الماء بين الأرض وغلافها الغازي تشمل (٣٨٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب) في السنة، وأغلب هذه الكمية يتبخر من المناطق الاستوائية، حيث يصل متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٥ درجة مئوية.

وعندما يتبخر الماء من أسطح كل من البحار والمحيطات واليابسة الأرضية، فإنه يرتفع بفعل قلة كثافته، وبدفع التيارات الهوائية له إلى النطاق الأسفل من الغلاف الغازي للأرض (نطاق التغيرات المناخية)، وهو يتميز بالتبرد مع الارتفاع حتى تصل درجة حرارته إلى ناقص ٨٠ درجة مئوية فوق خط الاستواء، وفي هذا النطاق البارد يتكثف بخار الماء الصاعد من الأرض ويعود إليها بإذن الله ـ تعالى ـ، مطراً أو ثلجاً، أو برداً، أو طلًّا (على هيئة الشَّبُّورة أو الندى).

والماء في عودته إلى الأرض يصرفه الله ـ تعالى ـ بحكمة بالغة، حيث ينزل على اليابسة قدراً أعلى مما يتبخر من أسطحها ـ (٩٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب مقابل ٦٠,٠٠٠ كيلومتر مكعب مجموع المتبخر منها)، بينما ينزل على البحار والمحيطات قدراً أقل عما يتبخر من أسطحها (٢٨٤,٠٠٠ كيلومتر مكعب في مقابل ٣٢٠,٠٠٠

كيلومتر مكعب يتبخر منها)، والفارق بين هذين كميتي المطر والبخر على اليابسة، ويقدر بـ (٣٦,٠٠٠ كيلومتر مكعب) من الماء يفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات في كل عام، بعد أن يكون قد أدى دوره على سطح اليابسة من تفتيت للصخور، وتكوين للتربة، وشق للفجاج والسبل، وتسوية لسطح الأرض، وتركيزٍ للعديد من الخامات الرسوبية، وريٍّ للإنسان والحيوانات والنباتات، وخزن لبعض الماء في صخور الأرض، وترطيبٍ لكلٍ من الغلاف الغازي والتربة، وازدهار للحياة. ودورة الماء حول الأرض دورة معجزة تشهد لله الخالق بطلاقة القدرة، وعظيم الصنعة، وإحكام الخلق، فكميتها في مجموعها ثابتة، ومحسوبة بما يكفي متطلبات الحياة على الأرض، والدورة ذاتها بين البخر والمطر تعمل على تنقية مياه الأرض التي يحيا ويموت فيها بلايين الأفراد من صور الحياة المختلفة في كل لحظة، وهي تعمل على حفظ التوازن الحراري على سطح الأرض، وعلى التقليل من شدة حرارة الشمس في الصيف، فتعمل على تقليل الفرق بين درجتي الحرارة صيفاً وشتاءً؛ وذلك لصون الحياة الأرضية بمختلف أشكالها.

ولما كان مجموع ما يتبخر من ماء الأرض إلى غلافها الغازي ثابتاً في كل عام، وكان مجموع ما يحمل هذا الغلاف الغازي من بخار الماء ثابتاً كذلك على مدار السنة، فإن مجموع ما ينزل من مطر إلى الأرض يبقى ثابتاً في كل سنة، وإن تباينت كميات سقوطه من مكان إلى آخر حسب مشيئة الله. ويبلغ متوسط سقوط المطر على سطح الأرض اليوم ٨٥,٧ سنتيمتراً مكعباً في السنة، وتتراوح كمياته بين الصفر في المناطق الصحراوية الجافة والقاحلة و١١,٤٥ متراً مكعباً في السنة في جزر هاواي.

وهذه الملاحظات الدقيقة التي لم يستطع الإنسان الوصول إليها إلا في أواخر القرن العشرين سبقتها بأربعة عشر قرناً أو يزيد أحاديث رسول الله ﷺ التي قال فيها: «**ما من عام بأقل مطراً من عام**». وقال ﷺ: «**ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يَصْرِفُهُ** (أو يُصَرِّفه)».

* * *

## خامساً: التأكيد على أن اليابسة مدت من تحت الكعبة المشرفة

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كانت الكعبة خُشْعةً على الماء فدحيت منها الأرض**» (أخرجه كل من ابن جرير وأبي الشيخ في «كتاب العظمة» عن ابن عباس، وأخرجه كل من أبي الوليد الأزرقي في كتاب «تاريخ مكة» عن سعيد بن المسيب، وعبد بن حميد في «مسنده» عن ابن عباس، ومجاهد، وذكره السيوطي في الدرّ المنثور ١/ ٣١٠).

«والخُشْعةُ: أكمة لاطئة بالأرض»، والجمع «خُشْعٌ» (النهاية في غريب الحديث والأثر، الجزء الثاني ص: ٣٤، ٣٥).

**شرح الحديث:**

هذا الحديث الشريف الذي استغربه العلماء في القديم والحديث يحوي حقيقة علمية لم يدركها الإنسان إلا في منتصف الستينيات من القرن العشرين؛ فبعد مجاهدة طويلة استغرقت جهود آلاف من العلماء، وقروناً طويلة من الدراسة ثبت للإنسان أن أرضنا الابتدائية غمرت بالماء غمراً كاملاً بعد خلقها حتى لم يبق ظاهراً منها شيء من اليابسة.ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يفجر قاع هذا المحيط الغامر بثورة بركانية عنيفة ظلت تلقي بالحمم التي تراكمت فوق بعضها البعض مكونة سلسلة جبلية في وسط هذا المحيط الغامر، وظلت هذه السلسلة الجبلية في الارتفاع حتى برزت أعلى قمة فيها فوق سطح الماء مكونة أول جزء من اليابسة، على هيئة جزيرة بركانية تشبه العديد من الجزر البركانية المنتشرة في محيطات اليوم، من مثل جزر اليابان والفلبين وأندونيسيا وهاواي، ولا تزال هذه الجزر البركانية تتكون على هيئة قمم السلاسل الجبلية المحيطية (حواف أواسط المحيطات) في أيامنا هذه.

وباستمرار النشاط البركاني نمت هذه الجزيرة البركانية الأولية بالتدريج بواسطة عملية الدحو (أي المد والبسط والإلقاء) والإضافة والنمو، بواسطة الثورات البركانية المتلاحقة حتى تكونت اليابسة على هيئة قارة واحدة عرفت باسم قارة بانجيا (Pangaea) أو القارة الأم. ولعل هذا من مقاصد الآية الكريمة

التي يقول فيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠].

ثم شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يمزق هذه القارة الأم بواسطة شبكة من الصدوع والخسوف الأرضية فتقطعت إلى القارات السبع المعروفة لنا اليوم التي ظلت تتباعد بعضها عن بعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية، وتسمى هذه العملية باسم: «دورة المحيط واليابسة» التي فيها يتحول جزء من قاع المحيط إلى يابسة بواسطة الثورات البركانية المتكررة، كما تنشق اليابسة بواسطة الصدوع والخسوف الأرضية إلى كتلتين متوازيتين يفصلهما بحر طولي من مثل البحر الأحمر يظل يتسع باستمرار حتى يتحول إلى محيط.

وقول رسول الله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذا الحديث المعجز: «**كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض**» يعتبر سبقاً علمياً معجزاً يشهد له ﷺ بأنه كان موصولاً بالوحي ومعلّماً من قبل خالق السمٰوات والأرض.

ويزيد الحديث فوق العلم الكسبي حقيقة علمية أخرى مؤداها أن اليابسة تحت الكعبة المشرفة تعتبر أقدم يابسة على وجه الأرض، كما تعتبر أقدم صخور الأرض على الإطلاق، وهو ما لم يتمكن العلم المكتسب من إثباته بعد، وعلى المسلمين أن يحققوا هذه القضية بتحديد العمر المطلق للصخور القائمة تحت الكعبة المشرفة بواسطة العناصر المشعة الموجودة فيها ـ إن وجدت ـ حتى يمكن تقديم هذه الحقيقة العلمية للناس كافة من المسلمين وغير المسلمين: مما يعتبر وثيقة دامغة في عصر العلم والتقنية الذي نعيشه، وحجة بالغة على الناس كافة وشهادة مؤكدة بنبوة هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم ﷺ، وبكرامة هذه البقعة الطاهرة التي اختارها الله ـ تعالى ـ بعلمه المحيط ليقام فيها أول بيت وضع للناس في الأرض، وليجعله الله تعالى قبلة للمؤمنين، ومحجًّا ومعتمراً لهم، وليضاعف من بركاته فيجعل الحسنة فيه بمائة ألف ضعف، وليُحَرِّمه ويحرم أرضه يوم خلق السمٰوات والأرض.

* * *

## سادساً: الإشارة إلى أن الأرض في مركز الكون، وأن الحرم المكي في مركز الأرض الأولى ومن دونه ست أرضين

روى مجاهد عن رسول الله ﷺ قوله: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**» (أخبار مكة عن مجاهد، شعب الإيمان للبيهقي).

**شرح الحديث:**

لفظة «**مناء**» معناها: قصده وفي حذاه، و«المنى» ـ مقصور ـ الذي يوزن به، والتثنية: «منوان» والجمع: «أمناء»، يقال داري «منا» فلان أي: في مقابلتها.

- ومعنى هذا الحديث الشريف أن الكعبة المشرفة هي مركز الكون؛ لأن القرآن الكريم يقابل دوماً بين الأرض والسمٰوات، على ضآلة حجم الأرض النسبية إذا قورنت بضخامة السماء الدنيا وحدها فضلاً عن السمٰوات السبع. وهذه المقابلة لا يمكن أن تكون إلا إذا كان للأرض موقع خاص في مركز الكون.

- ويؤكد هذا الاستنتاج ما ذكره القرآن الكريم في عشرين آية من آياته مؤكداً وجود بينية تفصل السمٰوات عن الأرض وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبإ: ٣٧]. وجاءت الإشارة إلى هذه البينية الفاصلة في تسعة عشر آية قرآنية أخرى: (المائدة: ١٧، ١٨؛ الحجر: ٨٥؛ مريم: ٦٥؛ طه: ٦؛ الأنبياء: ١٦؛ الفرقان: ٥٩؛ الشعراء: ٢٤؛ الروم: ٨؛ السجدة: ٤؛ الصافات: ٥؛ صٓ: ١٠، ٢٧، ٦٦؛ الزخرف: ٨٥؛ الدخان: ٣٨، ٧؛ الأحقاف: ٣؛ قٓ: ٣٨)، وجاءت هذه البينية مرة فاصلة للسماء عن الأرض (السماء والأرض وما بينهما) ومرة أخرى فاصلة بين السمٰوات والأرض (السمٰوات والأرض وما بينهما)، ولا يمكن لهذه البينية أن تقوم إلا إذا كانت الأرض في مركز الكون.

- دليل ثالث من القرآن الكريم نقرؤه في «سورة الرحمٰن» حيث يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝٣٣ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ٣٣، ٣٤].

وقطر أي شكل هندسي هو الخط الواصل بين طرفيه مروراً بمركزه، ولا يمكن أن تكون أقطار السمٰوات متطابقة مع أقطار الأرض إلا إذا كانت الأرض في مركز هذه السمٰوات. مما سبق يتضح جانب من جوانب الإعجاز العلمي في حديث رسول الله ﷺ الذي نحن بصدده والذي يقول فيه: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**».

والأرضون السبع كلها في أرضنا التي نحيا عليها، يغلف الخارج منها الداخل، والسمٰوات السبع كلها محيطة بنا في تطابق واضح حول الأرض، ويغلف الخارج منها الداخل.

والكعبة المشرفة في وسط الأرض الأولى «أي اليابسة» ومن دونها ست أرضين، وهي بذلك مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع.

وهذه حقائق لا يمكن لعلم الإنسان أن يصل إليها؛ لأن أقصى ما يمكن أن يصل إليه علم الإنسان هو شريحة صغيرة جداً من السماء الدنيا المحيطة بنا والتي زينها الله ـ تعالى ـ بالمصابيح من النجوم. وحتى هذه الشريحة في تمدد مستمر بحيث إن الإنسان كلما طور أجهزته في محاولة للوصول إلى أطرافها وجد أنها قد تجاوزته؛ وذلك لأن السماء في تمدد مستمر، وسرعة تمدد الكون تزيد على إمكانيات وتقنيات الإنسان مهما تطورت، فلا يصل إلى ذلك أبداً..! ومن هنا كان تحدي القرآن الكريم لكل من الإنس والجن أنهم لن يستطيعوا الخروج من أقطار السمٰوات والأرض إلا بسلطان من الله ـ تعالى ـ. ولولا أن القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ قد أعلمتنا أن هناك سبع سمٰوات متطابقة، وأن هناك سبع أرضين مثلها متطابقة في مركز هذه السمٰوات السبع، وأن الكعبة المشرفة مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع، ما كان أمام الإنسان من وسيلة لإدراك ذلك أبداً، على الرغم من أن دراسات التركيب الداخلي للأرض قد أثبتت وجود سبعة

نطق أرضية متمايزة يغلف الخارج منها الداخل، فلا بد أن تكون السمٰوات السبع متطابقة كذلك يغلف الخارج منها الداخل، خاتمة أن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت بالعديد من الأدلة الرياضية أن كوننا كونٌ منحنٍ، وهذه الملاحظة وحدها كافية لإثبات تطابق كل من السمٰوات السبع والأرضين السبع حول مركز واحد هو مركز أرضنا، والذي تتوسط الكعبة المشرفة منها الأرض الأولى، فتكون مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع.

من هنا تتضح لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في قول المصطفى ﷺ: «**إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع**»، وقوله أيضاً ﷺ في حديث آخر: «**البيت المعمور منا مكة**»، ووصفه ﷺ البيت المعمور ـ كما جاء في تفسير القرطبي ـ بأنه: «**بيت في السماء السابعة على حيال الكعبة تماماً حتى لو خرَّ لخرَّ فوقها**»، وهذا كلام لا يمكن أن يصدر إلا عن نبي موصول بالوحي، ومُعلَّم من قبل خالق السمٰوات والأرض.

* * *

## سابعاً: التأكيد على ثبات السنن الكونية

قال رسول الله ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته...**».

هذا الحديث النبوي الشريف رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم: ٩٩٤، باب: الصلاة في كسوف الشمس، كتاب الكسوف) عن أبي مسعود حيث قال:

● حَدَّثَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حُمَيْدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنْ قَيْسٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَقُومُوا فَصَلُّوا**».

● حَدَّثَنَا أَصْبَغُ قَالَ أَخْبَرَنِي ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَمْرٌو عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

الْقَاسِمِ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا**» صحيح البخاري (حديث رقم: ٩٨٤).

● حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ، ثُمَّ قَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي الْأُولَى ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ انْجَلَتِ الشَّمْسُ فَخَطَبَ النَّاسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**» صحيح البخاري (حديث رقم ٩٧٧، باب الصدقة في الكسوف).

ورواه أيضاً كلٌّ من: مسلم في صحيحه رقم: ٩٠١ كتاب: الكسوف. والنسائي في سننه حديث رقم: ١٤٥٩ باب: كسوف الشمس والقمر، كتاب: الكسوف. وأبو داود في سننه حديث رقم: ١٧٧ باب: صلاة الكسوف، كتاب: الصلاة. وابن ماجه في سننه حديث رقم: ١٢٦٣ كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها. وأحمد في مسنده حديث رقم: ٢٧١١.

**شرح الحديث:**

وكسوف الشمس (أو انخسافها) يتم نتيجة لوقوع القمر بين كل من الأرض والشمس فيحجب أشعتها عنا، وقد يكون هذا الكسوف كليًا (يحجب قرص الشمس بالكامل منا)، ويحدث ذلك في حزام محدود على نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، فيتحول النهار ليلاً خلال دقائق معدودة، وإلى الشمال والجنوب من هذا الشريط يكون الكسوف جزئياً، أي يحجب جزءاً من الشمس

فقط، ويتناقص الجزء المكسوف من الشمس بالبعد عن حزام الكسوف الكلي في اتجاه القطبين.

وقد جاء في الحديث الشريف الذي نحن بصدده: «**أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته**» بمعنى أنهما ظاهرتان كونيتان دائبتا الحدوث بغض النظر عن موت الأفراد وحياتهم، كما كان يدعي عدد من الناس في جزيرة العرب وفي غيرها من بلدان العالم الذين كانوا ينسبون تلك الظواهر الكونية لميلاد عظيم أو وفاته، وجاء حديث المصطفى ﷺ لينفي تلك الخرافات نفياً قاطعاً، وليؤكد دورية حدوث هذه الظواهر الكونية.

ويحدث كسوف الشمس عندما يحجبها القمر بظله عن أهل الأرض، وقد ثبت علميًّا أن القمر يتبعه مخروط من الظل بفضل حجبه أشعة الشمس كلياً أو جزئياً عن الأرض. وفي دورة القمر حول الأرض يمر معه مخروط ظله، وفي وقت الاقتران الذي يحدث مرة في كل شهر قمري، يكون القمر متوسطاً تماماً بين الشمس والأرض فيحجب ضوء الشمس عن أهل الأرض كليًّا أو جزئياً، وفي معظم شهور السنة ينحرف القمر في مروره بيننا وبين الشمس فلا ينحجب ضوءها عنا، وبالتالي لا تنكسف الشمس، ويحدث كسوف الشمس من مرتين إلى خمس مرات في السنة، ويمكن للكسوف الكلي أن يدوم لمدة تصل إلى سبع دقائق ونصف الدقيقة. أما خسوف القمر فيحدث بدخوله في ظل الأرض الذي يتكون مع سبح الأرض في مدارها حول الشمس، وهي ظاهرة ترى من جميع الأرض. ولكن في معظم شهور السنة يمر القمر فوق أو تحت مخروط ظل الأرض، ويتحاشاه فلا ينخسف، وخسوف القمر قد يكون كليًّا أو جزئياً، ويحدث الخسوف والقمر في بدر التمام، ويمكن للخسوف الكلي للقمر أن يستمر إلى مائة دقيقة، ويخسف القمر ثلاث مرات في الشهر كحد أقصى.

ولذلك فإن حوادث الكسوف الكلي للشمس هي حوادث نادرة، وفي أثناء كسوف الشمس يتوسط القمر بيننا وبينها وقد يحدث أن يبقى من أطراف الشمس ما يشبه الحلقة المضيئة تحيط بقرص القمر المظلم، ويسمى هذا الكسوف باسم:

«الكسوف الكلي للشمس» وعند حدوث الكسوف الكلي للشمس تظلم السماء، وتظهر النجوم في منتصف النهار، وينتقل الناس في دقائق معدودات من وضح النهار إلى ما يشبه الليل، مما يدعو إلى شيء من الذعر والانقباض ليس عند الإنسان فحسب بل عند جميع المخلوقات فتأوي الطيور إلى أوكارها، والحيوانات إلى جحورها، أو تخلد إلى شيء من السكون والحذر.

وفي لحظات كسوف الشمس تقل كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا، فتنخفض درجة حرارة الأرض، وعلى العكس من ذلك فإنه في لحظات خسوف القمر تزداد كمية الطاقة الشمسية الواصلة إلينا فترتفع درجة الحرارة نسبياً لدقائق معدودة، ولما كانت هذه الأمور محسوبة بدقة بالغة، فإن الأرض تكون معرضة خلال هاتين الظاهرتين الكونيتين لمخاطر لا يعلمها إلا الله، ومن هنا كانت وصية رسول الله ﷺ بالإكثار من ذكر الله بتحميده وتكبيره وتمجيده، باللجوء إلى الصلاة، والمبادرة بإخراج الصدقات لعلّ الله ـ تعالى ـ أن يكشف تلك المخاطر عن الأرض ومن عليها، فلا تزال هاتان الظاهرتان تكتنفان من المخاطر والأسرار ما لا يعلمه إلا الله!

ولذلك جاء في نصوص أخرى لنفس الحديث الذي نحن بصدده قول المصطفى ﷺ: «**فافزعوا إلى الصلاة**». ومعنى قوله: هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوف الله بها عباده. فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره. ويعجب الإنسان من هذا العلم النبوي الدقيق الذي نطق به ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، في زمن كان الناس غارقين إلى آذانهم في محيط من الخرافات والأساطير، ولم يكن لأحد من الناس علم بتلك الحقائق الكونية التي بدأت في التكشف لعلم الإنسان منذ عشرات قليلة من السنين، وهذا الحديث الشريف وحده يكفي أن يكون شهادة حق لنبوة هذا النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ، الذي كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض.

* * *

## ثامناً: التأكيد على وجود براكين نشطة في أرض الحجاز

قال رسول الله ﷺ: **لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»** أخرجه البخاري في صحيحه (حديث رقم: ٦٧٠٢، كتاب: الفتن وأشراط الساعة) قال:

● حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**».

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (حديث رقم: ٢٩٠٢، باب: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) قال:

حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ جَدِّي حَدَّثَنِي عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ أَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**».

**شرح الحديث:**

هذا الحديث الشريف إشارة علمية دقيقة إلى حقيقة من حقائق أرض الحجاز لم تدرك إلا في منتصف القرن العشرين حين بدئ في رسم الخريطة الجيولوجية لأرض شبه الجزيرة العربية، وكان من نتائج ذلك إثبات انتشار الطفوح البركانية على طول الساحل الغربي لجزيرة العرب من عدن جنوباً إلى المرتفعات السورية شمالاً، عبر كل من الحجاز والأردن وفلسطين، مغطية مساحة من تلك الطفوح تقدر بحوالي مائة وثمانين ألفاً (١٨٠,٠٠٠ كم$^{٢}$) من الكيلومترات المربعة، ومكونة واحداً من أهم أقاليم النشاط البركاني الحديث في العالم، ويقع نصف هذه المساحة تقريباً في أرض الحجاز (حوالي تسعين ألفاً من الكيلومترات المربعة) موزعة في ثلاثة عشر حقلاً بركانياً تعرف باسم الحرات، وأغلب هذه

الحرات تمتد بطول الساحل الشرقي للبحر الأحمر ممتدة في داخل أرض الحجاز بعمق يتراوح بين ١٥٠ كيلومتراً، و٢٠٠ كيلومتر، ويعتقد بأن هذه الطفوح البركانية قد تدفقت عبر عدد من الصدوع الموازية لاتجاه البحر الأحمر، ومن فوهات مئات من البراكين المنتشرة في غربي الحجاز، كما يعتقد بأن تلك الصدوع والبراكين لا تزال نشطة منذ نشأتها وإلى يومنا الحاضر، وأنها قد تسببت في العديد من الهزات الأرضية، كما تم مشاهدة تصاعد أعمدة من الغازات والأبخرة الحارة من عدد من تلك الفوهات البركانية التي لا تزال نشطة حتى اليوم.

والحرات الثلاث عشرة المنتشرة في أرض الحجاز هي من الجنوب إلى الشمال: حرة السراة، البرك، البقوم، النواصف، هادان، الكشب، رهط، حلة أبو نار، خيبر، إشارة، العويرض، الشامة والحماد، بالإضافة إلى عدد آخر من الحرات الصغيرة في مساحاتها.

وتقع المدينة المنورة (على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم) بين حرة رهط في الجنوب، وحرة خيبر في الشمال، وتمتد حرة رهط من جنوب المدينة المنورة شمالاً، إلى وادي فاطمة بالقرب من مكة المكرمة جنوباً عبر مسافة تقدر بحوالي ٣١٠ كيلومترات في الطول، وستين كيلومتراً في متوسط العرض لتغطي مساحة تقدر بحوالي ١٩٨٣٠ كيلومتراً مربعاً، وبسمك متوسط يقدر بحوالي مائة متر وإن كان يصل إلى أربعمائة متر في بعض الأماكن.

ويوجد في حرة رهط وحدها أكثر من سبعمائة فوهة بركانية، ويقع الجزء الشمالي من هذه الحرة إلى الجنوب من المدينة المنورة مباشرة ويعتبر من أكثر أجزاء تلك الحرة نشاطاً؛ لأنه قد شهد أكثر من ثلاث عشرة ثورة بركانية وتدفقاً للحمم خلال الخمسة آلاف سنة الماضية (بمتوسط ثورة بركانية واحدة كل أربعمائة سنة تقريباً) منها ثورة سنة ٢١هجرية (٦٤٤ ميلادية)، وثورة سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦ ميلادية) واللتان سُبِقتَا بعدد من الهزات الأرضية العنيفة وأصوات الانفجارات الشديدة.

وقد كونت الثورة البركانية الأخيرة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) ستة مخاريط بركانية جديدة، ودفعت بطفوحها لمسافة زادت على ثلاثة وعشرين كيلومتراً من الشمال إلى الجنوب، وامتدت حتى الطرف الجنوبي لموقع مطار المدينة المنورة الحالي، ثم تحولت إلى الشمال لطفاً بأهل المدينة، وكرامة لساكنها بعد أن أصاب الناس كثير من الذعر والهلع بسببها.

ويوجد في حرة خيبر أكثر من أربعمائة فوهة بركانية تضم عدداً من أحدث تلك الفوهات عمراً وأكثرها نشاطاً، فقد تم تسجيل أكثر من ثلاثمائة هزة أرضية خفيفة، حول إحدى تلك الفوهات البركانية في سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مما يوحي بتحرك الصهارة الصخرية تحت ذلك المخروط البركاني ويهدد بإمكانية انفجاره بثورة بركانية عارمة في أية لحظة من الآن.

وتشير الدراسات العلمية التي أجريت على منطقة الحجاز إلى أن الثورات البركانية التي كونت حرة رهط قد بدأت منذ عشرة ملايين من السنين على الأقل، وأنها تميزت بتتابع عدد من الثورات البركانية التي تخللتها فترات من الهدوء النسبي، ونحن نحيا اليوم في ظل إحدى هذه الفترات الهادئة نسبيًّاً.

ومعنى هذا الكلام أن المنطقة مقبلة حتماً على فترة من الثورات البركانية تندفع فيها الحمم من تلك الفوهات والصدوع كما اندفعت من قبل بملايين الأطنان فتملأ المنطقة ناراً ونوراً تصديقاً لنبوءة المصطفى ﷺ قال فيها: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى**». وبصرى مدينة في جنوب بلاد الشام (سوريا).

كذلك فإن حرة خيبر الواقعة شمال المدينة المنورة تعتبر أكبر هضبة بركانية في أرض الحجاز، حيث تغطي قرابة عشرين ألف كيلومتر مربع، بسمك يتراوح بين الخمسمائة وألف متر، وتمثل هذه الحرة عدة طفوح بركانية متتالية، يتركز أحدثها في وسط الحرة حيث تنتشر غالبية الفوهات البركانية الحديثة في حزام يمتد بطول ثمانين كيلومتراً موازياً لاتجاه البحر الأحمر، وبعرض ١٥ كيلومتراً في المتوسط.

وقد تم تسجيل زلزالين كبيرين وقعا في حرة خيبر، أحدهما في سنة ٤٦٠هـ (١٠٥٧م)، والآخر في سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م)، وقد سبقت الزلزال الأخير أصوات انفجارات عالية، تلتها ثورة بركانية كبيرة، وصاحبتها هزات أرضية استمرت بمعدل عشر هزات يومياً لمدة خمسة إلى ستة أيام قدرت شدة أكبرها بحوالي خمس درجات ونصف الدرجة على مقياس ريختر، وقد كونت هذه الثورة البركانية الأخيرة عدداً من المخاريط البركانية، ودفعت بملايين الأطنان من الحمم في اتجاه الجنوب، ولا تزال تلك المخاريط تتعرض لأعداد كبيرة من الرجفات الاهتزازية الخفيفة التي توحي بأن الصهارات الصخرية تحت هذه المخاريط البركانية لا تزال نشطة، مما يؤكد حتمية وقوع ثورات بركانية عارمة تخرج من أرض الحجاز في المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، وذلك تصديقاً لنبوءة النبي الخاتم، والرسول الخاتم ﷺ وشهادة له بالنبوة وبالرسالة.

* * *

## تاسعاً: التأكيد على أن من العلامات الكبرى للساعة «طلوع الشمس من مغربها»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ**» (رواه البخاري حديث رقم: ٤٢٦٩).

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال في العلامات الكبرى للساعة:

«**إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيباً**» (رواه مسلم حديث رقم: ٥٢٣٤).

وكان أعداء الإسلام من الدهريين عرباً وعجماً ومستشرقين يستبعدون طلوع الشمس من مغربها قائلين إن الشمس منذ أن أدركها الإنسان وهي تطلع عليه من

المشرق وتغيب في المغرب، وكانوا لا يتخيلون قوة على وجه الأرض أو في صفحة الكون يمكنها إحداث مثل ذلك التغيير الهائل في شروق الشمس وغروبها.

ولكن منذ سنوات قليلة بدأ علماء الأرض في استقراء مناخات الأرض في الأزمنة الغابرة كما هي مدونة في جذوع النباتات، وفي هياكل الحيوانات، وفي رسوبيات كتل الجليد التي زحفت على اليابسة من قطبي الأرض، ومن قمم الجبال، وفي مختلف انواع الرسوبيات البحرية والقارية، وفي بقية صخور الأرض وما تحتويه من بقايا الحياة خاصة حبوب اللقاح الخاصة بالنباتات والتي تحفظ بأعداد هائلة في كافة الرسوبيات والصخور الرسوبية، وتكثر بشكل واضح في رسوبيات البحيرات ودالات الأنهار وشواطئ البحار، وكثيراً ما يقطع تلك الرسوبيات أسطح جفاف انحسرت عنها المياه لتراجع البحار أو ندرة الأمطار، وتحتفظ تلك الأسطح بمعادن تعكس صورة كاملة عن تركيب كل من الغلافين الغازي والمائي المحيطين بالأرض، ودرجة حرارة كل منهما، ودرجة حموضته. وكل من الحلقات السنوية في سيقان النباتات، وخطوط النمو في هياكل الحيوانات تمثل سجلاً رائعاً للتغيرات المناخية التي تدون فوراً وبدقة بالغة في كل منهما.

وفي دراسة حديثة للتغيرات المناخية كما هي مدونة على الحلقات السنوية في جذوع النباتات اتضح أن كل حلقة من تلك الحلقات السنوية مكونة من أعداد كثيرة من الحلقات تمثل الفصول المناخية الأربع (الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء)، وشهور السنة الاثني عشر، وهي شهور قمرية، وعدد الأسابيع في كل شهر قمري، والأيام السبعة من كل أسبوع، والليل والنهار في كل يوم.

وفي غمار هذا البحث لاحظ الدارسون زيادة عدد أيام السنة مع زيادة تقادمها، وأدركوا أن التفسير الوحيد لتلك الزيادة في عدد أيام السنة مع تقادم الزمن هو تزايد سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، هذه السرعة التي تزيد من عدد كل من الأيام والأسابيع في السنة، وتقصر من طول اليوم (بليله ونهاره) مع بقاء عدد الفصول والشهور في السنة ثابتاً.

وبرسم أعداد كبيرة لمنحنيات تظهر عدد أيام السنة في العصور الجيولوجية المختلفة مع الزمن اتضح أن عدد أيام السنة عند بدء خلق الأرض كان أكثر من ألفي يوم، وأن طول الليل والنهار معاً كان أقل من أربع ساعات، ويعجب الإنسان من الإشارة القرآنية المبهرة إلى تلك الحقيقة الكونية الثابتة من قبل ألف وأربعمائة من السنين، والإنسان لم يصل إلى إدراك شيء عنها إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد اتضح هذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس من دراسة خطوط النمو في هياكل العديد من الحيوانات مثل: الشعاب المرجانية القديمة، وبقاياها في صخور العصور الجيولوجية المتقدمة، وقد فسر هذا التناقص المستمر في سرعة دوران الأرض حول محورها بالاحتكاك الناتج عن كل من عملية المد والجزر، وهبوب الرياح في الاتجاه المعاكس لاتجاه الدوران، وكلاهما يعمل عمل الكابح الذي يبطئ من سرعة دوران الأرض حول محورها جزءاً من الثانية في كل من الزمن.

وبرسم منحنيات مستقبلية لعملية تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها اتضح أنه لا بد لتلك العملية من أن تجبر الأرض ـ في مستقبل أمرها ـ على تغيير اتجاه دورانها الحالي (من الغرب إلى الشرق فتبدو الشمس طالعة من الشرق، وغائبة في الغرب) إلى أن تدور بعكس اتجاهها الحالي فيصبح دورانها من الشرق إلى الغرب فتطلع الشمس من مغربها. وهذا الحدث الكوني الكبير من العلامات الكبرى للساعة ومن نبوءات المصطفى ﷺ التي كان كثير من أعداء الإسلام يستبعدون حدوثها، فإذا بالعلوم الكونية تثبت إمكانية بل حتمية حدوثها!

وهنا يلزم التنبيه إلى أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا، ولكن من رحمة الله بنا أن يُبقِي لنا في سنن الدنيا وشواهدها المادية ما يؤكد إمكانية حدوث الآخرة بكل مقدماتها وعلاماتها والظواهر المصاحبة لها،

فلا يجوز لعاقل أن يتصور إمكانية حساب وقت طلوع الشمس من مغربها بواسطة معرفة معدلات تباطؤ سرعة دوران الأرض حول محورها، لأن وقوع الآخرة أمر إلٰهي لا يحتاج إلى سنن أو ظواهر أو تباطؤ في معدلات حركة الأرض، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخبرنا عن حتمية طلوع الشمس من مغربها كإحدى العلامات الكبرى للساعة، وذلك من قبل ألف وأربعمائة سنة، ثم تأتي العلوم الكونية باستقراء ذلك حقيقة مدونة في أحافير الحيوانات والنباتات، وهياكل الأحياء منها، وذلك منذ عشرات قليلة من السنين، ولا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لتلك المعلومة الكونية المستقبلية من قبل أربعة عشر قرناً غير وحي الله الخالق الذي أنعم الله ـ تعالى ـ به على خاتم أنبيائه ورسله، وخيرته من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

* * *

## عاشراً: قائمة ببعض الأحاديث النبوية الشريفة المحتوية على عدد من الإشارات العلمية مرتبة حسب موضوعاتها

### الله الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية:

١ ـ كان الله ولم يكن شيء غيره.

### من أحاديث الكونيات:

١ ـ الأراضون السبع.

٢ ـ البحر المسجور.

٣ ـ إرساء الأرض بالجبال.

٤ ـ المطر فضل من الله ورحمة.

٥ ـ «ما من عام بأقل مطراً من عام».

٦ ـ «ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله...».

٧ ـ «ماء زمزم لما شرب له».

٨ ـ «كانت الكعبة خشعة على الماء، فدحيت منها الأرض».

٩ ـ «إن الحرم حرم مناء من السمٰوات السبع والأرضين السبع».

١٠ ـ «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته...».

١١ ـ «انشقاق القمر كرامة لرسول الله ﷺ».

١٢ ـ «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السمٰوات والأرض».

١٣ ـ «النجوم أَمَنَةٌ للسماء».

١٤ ـ «إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: الحديد والنار والماء والملح».

١٥ ـ «هي على رسلها لا تبرح ولا تزول...».

١٦ ـ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته...».

**من أحاديث خلق الإنسان:**

١ ـ «إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض...».

٢ ـ «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً...».

٣ ـ آدم عليه السلام آخر الخلق.

٤ ـ أخذ الميثاق على بني آدم وهم في عالم الذر.

٥ ـ «ما من كل الماء يكون الولد».

٦ ـ «من كل يخلق الإنسان: من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة».

٧ ـ النطفة المخلقة وغير المخلقة.

٨ ـ «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك...».

٩ ـ موعد نفخ الروح في الجنين.

١٠ ـ تحديد صفات الجنين وجنسه بأمر من الله ـ تعالى ـ.

١١ ـ تحديد جنس الوليد بإذن من الله ـ تعالى ـ.

١٢ ـ تحديد شبه الوليد.

١٣ ـ نسبة كل مولود إلى أبينا آدم عليه السلام.

١٤ ـ «إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل...».

١٥ ـ «لعل نزعه عرق».

١٦ ـ «إن العرق دساس».

١٧ ـ الله خالق كل نفس.

١٨ ـ خلق الإنسان من عجب الذنب.

**من أحاديث المفضل من الطعام:**

١ ـ «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر».

٢ ـ «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين».

٣ ـ «كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه مبارك».

٤ ـ «نعم الإدام الخل».

٥ ـ «لو تعلم أمتي ما في الحلبة لاشتروا ولو بوزنها ذهباً».

٦ ـ «العدس أكله يرقق القلب، ويدمع العينين، ويذهب الكبر».

٧ ـ «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة: قلت التين...».

٨ ـ «ما من رمانة إلا وفيها حبة من رمان الجنة».

**من أحاديث المحرمات من الطعام:**

١ ـ «تحريم أكل كل ذي ناب ومخلب».

٢ ـ «النهي عن أكل الجلالة وعن شرب ألبانها».

٣ ـ «التحذير من مرض جنون البقر».

**من أحاديث الوقاية والأشفية:**

١ ـ «إن الله أنزل الداء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام».

٢ ـ «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام».

٣ ـ «التلبينة مجمة لفؤاد المريض، تذهب ببعض الحزن».

٤ ـ «عليكم بالسَّنا والسّنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام».

٥ ـ «إن كان في شيء من أدويتكم شفاء ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعَة بنار وما أحب أن أكتوي».

٦ ـ «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه، فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء».

**من أحاديث السلوكيات:**

١ ـ «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

٢ ـ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

٣ ـ «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

٤ ـ «الطهور شطر الإيمان».

٥ ـ «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب».

٦ ـ «صوموا تصحوا».

٧ ـ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة».

٨ ـ «إن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء والحدس بعدها».

٩ ـ «العيافة، والطيرة، والطَّرق من الجبت».

١٠ ـ «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا».

**من أحاديث الموت والبعث:**

١ ـ «كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عَجْب الذنب، منه خلق، وفيه يركب».

٢ ـ «البعث من عجب الذنب».

**من أحاديث الساعة:**

١ ـ «لن تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً».

٢ ـ «طلوع الشمس من مغربها».

٣ ـ «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

٤ ـ «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً».

٥ - «من علامات الساعة: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاءَ الشاء يتطاولون في البنيان».

٦ - «يطوي الله السمٰوات يوم القيامة».

**ملاحظة:** يُكلف كل دارس لهذا المساق اختيار أحد الأحاديث السابقة وإعداد بحث عنه.

# خاتمة

القرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظة بين أيدي الناس اليوم بنفس لغة وحيها ـ اللغة العربية ـ ولذلك فهو معجز في كل أمر من أموره؛ لأنه لا بد وأن يكون مغايراً لكلام البشر، فهو معجز في بيانه ونظمه؛ لأنه ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط من العربية فريد، وصياغة متميزة، لم يدركها فصحاء العرب وبلغاؤهم وهم في قمة من قمم الفصاحة والبلاغة وحسن البيان، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله.

وبما أن القرآن الكريم هو بيان من الله تعالى فلا بد وأن يكون كل ما فيه حقاً مطلقاً: حديثه عن العقيدة؛ وهي غيب مطلق، وعن العبادة؛ وهي أوامر إلٰهية محضة، وعن كل من الأخلاق والمعاملات؛ وهي ضوابط للسلوك.والتاريخ يؤكد لنا أن الإنسان كان عاجزاً دوماً عن وضع ضوابط في أي من هذه القضايا لنفسه بنفسه.

وكذلك إشارات القرآن الحكيم إلى الكون ومكوناته وبعض أشيائه وظواهره؛ لأنه كلام الخالق، ومن أدرى بالخلق من خالقه؟!، واستعراضه لسير أعداد من الأنبياء السابقين، والأمم البائدة التي لم يدون لنا التاريخ شيئاً عنها، والاكتشافات الأثرية المتتابعة تثبت صدق القرآن الكريم في جميع ما أورد عن هذه الأمم التي تم الكشف عن بعض آثارها من مثل كلٍّ من قوم عاد، وقوم ثمود، وفرعون، موسى عليه السلام وغيرهم.

والقرآن الكريم هو أيضاً معجز في دستوره التربوي الفريد، وفي خطابه إلى النفس الإنسانية وارتقائه بها في معارج الله العليا، إلى ما لا يمكن لأي خطاب

آخر أن يصل، وفي إنبائه بعدد من الغيوب التي تحققت من قبل ولا تزال تتحقق، وفي تحديه للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله دون أن يتمكن عاقل من التقدم ليقول: نعم لقد استطعت أن أكتب سورة من مثل سور القرآن الكريم.

وعلى ذلك تتعدد جوانب الإعجاز القرآني ـ بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله ـ بتعدد الزوايا التي ينظر منها إنسان محايد إلى كتاب الله، ومن هذه الجوانب:

١ ـ الإعجاز اللغوي، الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، والدلالي.

٢ ـ الإعجاز العقدي (الاعتقادي).

٣ ـ الإعجاز التعبدي (العبادي).

٤ ـ الإعجاز الأخلاقي؛ بمعنى مواءمته للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٥ ـ الإعجاز التشريعي كما يتضح في فقه المعاملات.

٦ ـ الإعجاز التاريخي الذي تؤكده الاكتشافات الأثرية للأمم البائدة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

٧ ـ الإعجاز التربوي.

٨ ـ الإعجاز النفسي.

٩ ـ الإعجاز الاقتصادي.

١٠ ـ الإعجاز الإداري.

١١ ـ الإعجاز الإنبائي أو الإعلامي بأمور غيبية غيبة مؤقتة أو مطلقة.

١٢ ـ الإعجاز العلمي.

١٣ ـ إعجاز التحدي للإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بشيء من مثله في أسلوبه، أو مضمونه أو محتواه، ولم يتمكن أحد من ذلك.

١٤ ـ إعجاز حفظه بنفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أربعة عشر قرناً أو يزيد، وإلى أن يشاء الله، دون أن يضاف إليه حرف واحد أو أن ينتقص منه حرف واحد، في الوقت الذي تعرضت فيه كل صور الوحي السابقة للضياع، وما بقي من ذكريات عن بعضها على هيئة ترجمات غير معلوم من قاموا بها، ولا الأصول التي ترجمت عنها، ولا متى كتبت ولا أين كتبت، ولا بأي لغة كتبت؟ ثم تعرضت تلك الترجمات ـ ولا تزال تتعرض ـ للتحريف تلو التحريف، والتحرير بعد التحرير، وإلى التبديل والتغيير، وإلى الحذف والإضافة، ولا يزال ذلك مستمراً إلى يومنا هذا، مما أخرج تلك الرسالات السماوية السابقة عن إطارها الرباني، وجعلها عاجزة عن هداية أتباعها والمنتسبين إليها اسماً، وهذا هو السبب الحقيقي من وراء المظالم العديدة التي تجتاح مختلف بقاع الأرض اليوم، وتغرقها في بحار من الدماء والأشلاء، والخراب والدمار باسم الدين، والدين الحقيقي منها براء، وليس أدل على ذلك من الجرائم البشعة التي ترتكب باسم اليهودية على أرض فلسطين منذ أكثر من ستين سنة وحتى اليوم، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب بشراسة منقطعة النظير على أرض كل من البلقان، والعراق، وأفغانستان، والشيشان، وجنوب السودان، وجنوب الفلبين وأراكان باسم المسيحية، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب على أراضي الهند، وتايلاند باسم كل من الهندوكية والبوذية، والجرائم التي ارتكبت ولا تزال ترتكب في كثير من أراضي المسلمين في القديم والحديث، ولا تفتأ ذكريات الحروب الصليبية، وجراح خروج المسلمين من الأندلس تدمي قلب كل إنسان عنده بقية من إنسانية حتى اليوم، وإلى نهاية التاريخ.

وللمفاضلة بين كتب تركت لأصحابها فضيعوها، وكتاب تعهد الله بحفظه فحفظ، امتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ القرآن الكريم في العديد من آياته كما امتدحه خاتم أنبيائه ورسله في العديد من أحاديثه.

والقرآن الكريم هو في الأصل كتاب هداية في أمر الدين بركائزه الأربع

الأساسية: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات**. ولكن الله ـ تعالى ـ يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى زمن كزمننا الراهن، يفتح الله ﷻ فيه على الإنسان من معرفة بالكون وسننه ما لم يفتح من قبل، فيغتر الإنسان بالعلم ومعطياته وتطبيقاته في مختلف المجالات مما أوصل الإنسان إلى عدد من التقنيات المتقدمة خاصة في مجالات الشر، من مثل التجسس وصناعة الأسلحة غير التقليدية مما يعرف باسم أسلحة الدمار الشامل، والتطوير المذهل في القدرات التدميرية للأسلحة التقليدية، ومحاولة توظيف ذلك في الهيمنة على الشعوب الصغيرة واستنزاف ثرواتها وإذلال أبنائها. كما تفعل الولايات المتحدة وحلفاؤها في هذه الأيام.

وقد دفعت القوة المادية العمياء المصاحبة لهذه التقنيات المتطورة أبناء هذه الأمم إلى نسيان الموت، والحساب، والجزاء والآخرة، والجنة، والنار؛ خاصة وأن هذه المفاهيم وغيرها من ركائز العقيدة قد اهترأت اهتراءً شديداً في معتقدات غير المسلمين؛ مما دفع كثيراً من علمائهم إلى إنكارها والسخرية منها. وليقيم ربنا ﷻ الحجة على أهل عصرنا أبقى لنا في محكم كتابه أكثر من ألف آية كونية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى تقترب دلالتها من الصراحة كما أنطق خاتم أنبيائه ورسله بالعديد من حقائق الوجود، وهذه الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة تحوي من الإشارات الكونية ما لم يكن معروفاً لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعد زمن الوحي، وذلك لأهداف عديدة، منها ما يمكن إيجازه فيما يلي:

١ ـ الشهادة للخالق بطلاقة القدرة في إبداعه لخلقه، ومن ثم الشهادة له ﷻ بالألوهية، والربوبية، والوحدانية؛ لأن كل شيء في هذا الوجود قد خلق بقدر، وفي زوجية واضحة تشهد للخالق ﷻ بالوحدانية المطلقة فوق جميع خلقه.

٢ ـ الشهادة لله ـ تعالى ـ أنه كما أبدع هذا الكون من العدم، وعلى غير مثال سابق، فهو قادر على إفنائه إلى العدم، وعلى إعادة خلقه من جديد؛ خاصة

وأننا نرى الخلق من العدم والإفناء إلى العدم يتكرر أمام أنظارنا في صفحة السماء، حيث تتباعد المجرات عن بعضها البعض بمعدلات تقترب من سرعة الضوء، وتتخلق المادة والطاقة لملء المسافات الناتجة عن هذا التوسع من حيث لا نعلم. كذلك فإننا نرى مختلف صور المادة والطاقة تبتلع بواسطة النجوم الخانسة الكانسة ـ الثقوب السود ـ إلى حيث لا نعلم، ونرى التقاء اللبنات الأولية للمادة بأضدادها فتفنى إلى ما لا نعلم!

وعلى الرغم من ذلك بقيت قضية البعث وإنكار إمكانية وقوعه هي الحجة الرئيسة للكفار والملحدين وللحائرين المتشككين؛ لأنهم من جهلهم يقيسون على الله تعالى بمقاييس البشر، والبشر لا يقدرون على الخلق، ولا على البعث بعد الموت، بينما إرادة الله تعالى لا تحدها حدود، ولا يقف أمامها عائق.

٣ ـ هذه الإشارات الكونية في كل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مصاغة صياغة مجملة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني يتناسب مع ما توافر لهم من علم بالكون ومكوناته وظواهره، وتظل هذه المعاني تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية باستمرار في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى القرآن الكريم مهيمناً على المعرفة الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، تصديقاً لنبوءة المصطفى ﷺ في وصفه القرآن الكريم بأنه: «**لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد**»(١) وكذلك تبقى أحاديث هذا النبي الخاتم.

ولا يمكن لعاقل أن يتخيل مصدراً لهذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في القرآن والسنة غير الله الخالق.

والإشارات الكونية في القرآن الكريم جاءت في أكثر من ألف آية صريحة،

---

(١) الترمذي (٢٩٠٦)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦) من كلام عبد الله بن مسعود، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٢٦٧).

بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها من الصراحة، وتشكل هذه الآيات الكونية حوالي سدس مجموع آيات القرآن الكريم، وكذلك تجاوزت الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره المئات في العدد.

وهذه الآيات والأحاديث الكونية لا يمكن فهمها فهماً كاملاً في إطارها اللغوي فقط ـ على أهمية ذلك وضرورته ـ ولا يمكن الوصول إلى سبقها بالحقيقة الكونية ـ وهو ما نسميه بالإعجاز العلمي ـ دون توظيف الحقائق العلمية التي توافرت معرفتها لأهل زمننا؛ لأن في هذه الآيات الكونية من المحتوى العلمي ما لا يقف على دلالته إلا الراسخون في العلم ـ كل في حقل تخصصه ـ. ومن هنا كانت تلك الآيات القرآنية العديدة التي تشير إلى مستقبلية الاستكشاف في دلالات بعض الآيات القرآنية، وذلك من مثل قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].

* ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].
* ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨].
* ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

وفي المقابل فإننا نجد الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات قد صيغت صياغة محكمة، محددة المعنى، واضحة الدلالة، لا تحتمل غير وجه واحد، يفهمه البدوي في قلب الصحراء كما يفهمه أكثر الناس ثقافة وعلماً، وهذا أيضاً جانب من جوانب الإعجاز القرآني التي لا تحصى ولا تعد؛ ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ حضاً على تدبر آيات القرآن الكريم، فيقول ـ عز من قائل ـ:

* ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ويقول:

* ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [صَ: ٢٩].

ويقول ـ تبارك وتعالى ـ:

* ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»(١).

وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه، وفهم رسالته المتضمنة في آياته، والتماس غرائبه؛ أي معرفة ما غمض من معانيه على قارئه. ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى في الآيات الكونية التي تتسع دلالاتها باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة، وذلك لندرة تلك المعرفة بالكون ومكوناته وظواهره في زمن تنزل الوحي ولطبيعتها التراكمية مع الزمن؛ بمعنى اتساع دائرة المعرفة فيها بزيادة استقراء الإنسان للكون وتعرفه على السنن المنتظمة الحاكمة له، والتي وضعها الله ﷻ فيه، ولولا انتظام تلك السنن واطرادها ما تمكن الإنسان من معرفة شيء عنها. وهذا الانتظام والاطراد في سنن الكون وظواهره هو من وسائل تسخير الكون للإنسان، وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك التسخير في مواطن كثيرة.

**ومبررات الاهتمام بالإشارات الكونية في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يمكن إيجازها فيما يلي:**

١ ـ إن كلًّا من القرآن والسنة نزل لنا لنفهمه، والآيات الكونية لا تفهم فهماً كاملاً في إطار اللغة وحدها، والمعرفة كل لا يتجزأ.

٢ ـ إن الإسلام والمسلمين يتعرضان اليوم لهجوم ظالم في جميع وسائل الإعلام العالمية والمحلية؛ بسبب إنكار غير المسلمين لنبوة المصطفى ﷺ، وإنكارهم الوحي بالقرآن الكريم والإشارات الكونية خير دليل لأهل عصرنا

---

(١) الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٧٧).

ـ عصر العلوم والتقنيات المتقدمة ـ على حجية ذلك كله، وباللغة التي يفهمونها.

٣ ـ إننا قصرنا في التبليغ عن الله ﷻ وعن رسوله ﷺ تقصيراً كبيراً، ولذلك وصلنا إلى ما وصلنا إليه من تكتل أهل الباطل علينا، وتآمرهم على ديننا ومقدساتنا وأعراضنا وأموالنا وأراضينا، وخير وسيلة لتبليغ هؤلاء القوم اليوم فضل الإسلام على غيره من الأديان، وفضل القرآن الكريم على غيره من الكتب: هو ما ورد من حقائق علمية راسخة في كل من كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ؛ لأن العلم قد أصبح الوسيلة المقنعة لأهل عصرنا.

٤ ـ إن العالم قد أصبح قرية كبيرة تلتقي فيها كل الثقافات وثقافة عصرنا الراهن ترتكز على العلوم البحتة والتطبيقية وما تنتجه من تقنيات مختلفة ولذلك فإن إثبات سبق كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإشارة إلى العديد من حقائق الكون هو من أنجح الوسائل لإقناع أهل عصرنا بصدق القرآن الكريم وبصدق نبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

٥ ـ إن المؤامرة الدولية على الإسلام والمسلمين قد أسقطت من أيدينا كل سلاح نستطيع به الدفاع عن أنفسنا وأراضينا، وعن ديننا ومقدساتنا وأعراضنا وكرامتنا، ولكن على الرغم من ذلك فقد بقي بأيدينا سلاح الدعوة إلى الله على بصيرة بلغة العصر، ومنه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، والذي لو أحسنَّا توظيفه في الدعوة إلى دين الله لفتح الله تعالى علينا الدنيا من أطرافها. والتجارب المحدودة في هذا المجال تثبت جدوى ذلك وأهميته.

وعلى الرغم من ذلك عارض نفر من أبناء المسلمين قضية الإعجاز العلمي لكلٍّ من: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ولا يزالون، والسبب الرئيس لذلك هو: ازدواجية التعليم، والفصل الكامل بين تعليم ديني إنساني نظري لم يعد له اهتمام بالمعطيات الكلية للعلوم. وتعليم مدني علمي تقني لا يعطي للدارس

الحد الأدنى من الثقافة الدينية التي تعينه على فهم أصول دينه، وعلى حسن القيام بعباداته، وحسن التبليغ عن الله تعالى ورسوله ﷺ بالكلمة الطيبة والحجة البالغة، ونتيجة لهذه المفاصلة تخوف كل من الشرعيين والعلميين من الخوض في هذه التجربة التي بدأها علماء المسلمين في القرن الهجري الثالث، واستمرت في مد وجزر حتى عصرنا الراهن.

**وكان من مبررات المعارضين ما يلي:**

١ ـ قَصْرُ إعجاز القرآن الكريم على جانب البيان والنظم والأسلوب والبلاغة والفصاحة بدعوى أن هذه المجالات هي التي كان التحدي بها لبلغاء العرب وفصحائهم.

٢ ـ اعتبارهم التفسير العلمي للقرآن الكريم نوعاً من التفسير بالرأي ـ وهو مذموم عندهم ـ ولكن المقصود بالرأي المذموم هو الهوى، وليس الرأي المؤسس على الحقائق العلمية الثابتة التي يقبلها كل عقل سوي، وتؤيدها الحجة المنطقية المقبولة والدليل المادي الملموس.

٣ ـ اعتبارهم أن الإسرائيليات كانت قد نفذت إلى التفسير أول ما نفذت عن طريق محاولات السابقين التعرض لشرح دلالة الآيات الكونية استناداً إلى ما جاء في سفر التكوين من العهد القديم، وقد أثبت العلم خطأها كما جاء في كتاب الدكتور الفرنسي (موريس بوكاي) (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم).

٤ ـ إن القرآن الكريم هو كلام الله ـ في صفائه الرباني ـ ولذلك فهو حق كله، وثابت ثبوت الرواسي، والعلوم المكتسبة متغيرة ولا يجوز مقابلة الثابت بالمتغير؛ أي لا يجوز مقابلة كلام الله بكلام الناس. وللرد على ذلك نقول: إن القرآن الكريم ـ الذي هو في الأصل كتاب هداية ـ نزل لنا لنفهمه ولنتدبر آياته بإمكاناتنا البشرية المحدودة، وإنا لا نوظف في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلا الحقائق التي حسمها العلم والتي لا رجعة فيها.

٥ ـ إن العلوم الكونية انطلقت في زماننا من منطلقات مادية بحتة لا تؤمن بما فوق المدرك من صور المادة والطاقة، ولذلك تصاغ أحياناً صياغات منافية لأصول الدين نتيجة للصراع المرير الذي قام في بدايات عصر النهضة الأوروبية بين العلميين ورجال الكنيسة في العالم الغربي، وانتهى بانحسار دور الكنيسة. وللرد على ذلك نقول: إن هذا الموقف كان في البدايات الأولى لتطبيق المنهج العلمي في الغرب، أما اليوم فإن المعطيات الكلية للعلوم أصبحت تؤكد على العديد من حقائق الدين؛ ولذلك طالبنا ولا زلنا نطالب بضرورة التأصيل الإسلامي للمعرفة بمعنى إرجاعها إلى أصولها الإسلامية.

٦ ـ إن بعض الذين تعرضوا لتفسير الآيات الكونية في القرآن والسنة ـ بغير خلفية علمية سليمة ـ إما تكلفوا في تحميل الآيات ما لا تحتمله، أو توسعوا أكثر من اللازم في إعطاء الآية القرآنية الكريمة من المعاني ما لا تقصده؛ والقرآن العظيم أجل من ذلك وأكرم. وللرد على ذلك نقول إن إثبات الإعجاز للقرآن الكريم وللسنة النبوية المطهرة لا يتم إلا بواسطة المتخصصين ـ كل في حقل تخصصه ـ وعلى الناقلين عنهم أن ينسبوا كل قضية إلى محققها وإلا لأصبح الأمر فوضى لا ضابط له ولا رابط، وهناك فرق كبير بين دور المحقق ودور الناقل.

٧ ـ الادعاء بأن نجاح الإنسان في الوصول إلى قدر من المعارف العلمية التي تحدث عنها القرآن الكريم يعتبر مخرجاً للإشارات الكونية في كتاب الله من إطار التحدي الذي يشترط فيه أن يكون أمراً خارقاً للعادة، سالماً من المعارضة، وقد نسي هؤلاء أن الإعجاز يتجسد في السبق الزمني لكل من القرآن والسنة بعشرة قرون كاملة على الأقل لكل المعارف الإنسانية المكتسبة.

وهذه الحجج كلها مردود عليها في هذا الكتاب حجة بحجة، غير أن خير

رد عليها هو الدعوة إلى الالتزام بضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ والتي أوردتها في هذا الكتاب وأوجزها فيما يلي:

١ ـ حسن فهم النص من القرآن أو السنة وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، وحسب قواعدها، وأساليب التعبير فيها؛ لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولذلك فالنص مقدم على الظاهر، والظاهر مقدم على التأويل.

٢ ـ فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمأثور من أحاديث المصطفى ﷺ وتفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، والإلمام بجهود المفسرين السابقين.

٣ ـ جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد والقراءات الصحيحة لها، ورد بعضها إلى بعض مع مراعاة السياق القرآني وعدم اجتزاء النص عما قبله وعما بعده، ومراعاة أن العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتوظيف كل من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالموضوع الواحد في فهم النص القرآني والنبوي؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما تفسره أقوال رسول الله ﷺ.

٤ ـ عدم التكلف، أو ليِّ أعناق الآيات والأحاديث من أجل موافقتها للحقيقة العلمية؛ لأن كلًّا من القرآن والسنة أعز علينا وأكرم من ذلك؛ انطلاقاً من كون القرآن الكريم كلام الله الخالق وكون النبي الخاتم ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السمٰوات والأرض. وانطلاقاً كذلك من حقيقة أن الخالق هو أدرى بخلقه من كل المخلوقين.

٥ ـ البعد عن القضايا الغيبية غيبة مطلقة وعدم الخوض فيها بأكثر مما أثبته القرآن الكريم وفسرته السنة النبوية المطهرة، مثل قضايا الروح وحياة البرزخ، وموعد قيام الساعة والملائكة والجن والجنة والنار والميزان والصراط، والذات الإلٰهية ـ وغير ذلك من غيبيات مطلقة لا سبيل للإنسان في الوصول إلى معرفة شيء عنها إلا عن طريق وحي السماء.

٦ ـ مراعاة التخصص الدقيق لكل محقق لموضوع من موضوعات الإعجاز العلمي في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ ـ كل في حقل تخصصه ـ؛ لأن هذا ليس مجالاً للخوض من كل خائض، وهنا يجب التفريق بين تحقيق المحقق ونقل الناقل.

٧ ـ يجب تحري الدقة والأمانة في التعامل مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والتجرد عن كل هوى شخصي حتى يتحقق إخلاص النية في ذلك.

٨ ـ الالتزام بتوظيف الحقائق العلمية في تفسير الآيات الكونية الواردة في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ باستثناء حالة واحدة؛ وهي حالة الآيات والأحاديث التي تفصل قضايا الخلق والإفناء والبعث بأبعادها الثلاثة ـ خلق كل من الكون والحياة والإنسان وإفنائهم جميعاً ثم بعثهم من جديد ـ لأن هذه من القضايا التي لا تخضع لإدراك الإنسان ومشاهدته بطريقة مباشرة، وبذلك لا يمكن للعلوم المكتسبة أن تتجاوز فيها مرحلة التنظير ـ أي وضع نظرية من النظريات التي تتعدد بتعدد خلفية واضعيها ـ وفي هذه الحالة يمكن للمسلمين الارتقاء بإحدى هذه النظريات السائدة إلى مقام الحقيقة لمجرد وجود إشارة صريحة لها في كتاب الله ﷻ أو في سنة رسوله ﷺ.

٩ ـ يجب التفريق بين قضيتي التفسير العلمي والإعجاز العلمي لكل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ وذلك لأن التفسير العلمي هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية الكونية في هذين المصدرين من مصادر وحي السماء، ونحرص في التفسير العلمي على توظيف الحقائق العلمية كلما توافرت؛ ولكن لما كان العلم المكتسب لم يصل بعد إلى الحقيقة في كل من الأمور فلا أرى حرجاً من توظيف النظرية العلمية السائدة في تفسير الآية الكونية التي لا تتوافر حقائق لتفسيرها، ولا حرج في ذلك حتى لو ثبت خطأ النظرية الموظفة في التفسير بعد ذلك؛ لأن الخطأ هنا لا ينسحب على جلال القرآن الكريم ولكن ينسحب على جهد المفسر. أما الإعجاز العلمي فهو موقف من

مواقف التحدي، والمتحدي لا بد أن يكون واقفاً على أرضية صلبة؛ ولذلك لا يجوز أن يوظف في الإعجاز العلمي إلا الحقائق العلمية كما أوضحنا في النقطة السابقة.

١٠ - عدم التقليل من جهود السابقين الذين خدموا كلًّا من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في حدود المعارف العلمية التي كانت متاحة لهم كل في زمانه.

وبالمثل فإن السنة النبوية تشمل كل ما أُثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة. ولما كان رسول الله ﷺ معصوماً بعصمة الله في التبليغ عن ربه، فإن كل إشارة إلى الكون أو مكوناته أو ظواهره في الأحاديث الصحيحة المنسوبة إليه لا بد وأن تكون حقاً كاملاً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك قال ﷺ: «**ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه. . .**»، وقال لعبد الله بن عمرو: «**اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما خرج من فمي إلا الحق**»، وعلى الرغم من ذلك فقد حمل أعداء الإسلام على السنة المطهرة في محاولة للتشكيك في حجيتها، وصدق جامعيها ورواتها، ومن هنا فإن استعراض الإشارات العلمية في أقوال الرسول الخاتم ﷺ بالضوابط الشرعية والعلمية التي أوردتها في هذا الكتاب لمما يمكن أن يؤكد لكل ذي بصيرة صدق رسول الله في كل ما قال، وصدق نبوته ورسالته، وذلك لاحتواء السنة النبوية الشريفة على كم من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من الخلق إدراكها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة من بعد زمن الوحي، لأن الإنسان لم يتوصل إلى إدراك شيء من ذلك إلا في القرنين الماضيين فقط.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# ثبت المصادر والمراجع

## أولاً: عن قضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم

### ( أ ) المراجع العربية:


١ ـ إبراهيم، محمد إسماعيل: «القرآن وإعجازه العلمي» دار الفكر العربي ـ دمشق.

٢ ـ أحمد، حنفي (١٩٥٤م): «معجزة القرآن في وصف الكائنات»، مطبعة لجنة البيان العربي ـ القاهرة، الطبعة الأولى.

٣ ـ الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري (ت١٢٧٠هـ): «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» ـ إدارة الطباعة المنيرية ـ القاهرة (بدون تاريخ)، دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، دار إحياء التراث العربي/ الحلبي/ مصر (ط٤) ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤ ـ ابن أبي الإصبع، العدواني المصري: «بديع القرآن» ـ القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٥ ـ ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم الظاهري: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني، المطابع الأميرية ـ القاهرة (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٦ ـ ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد: «المقدمة» ـ القاهرة (١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م)؛ دار الفكر ـ بيروت (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)؛ دار الشعب ـ القاهرة بتحقيق د. علي عبد الواحد وافي (بدون تاريخ).

٧ ـ .........: «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر» ـ بيروت (١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م) ـ (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

٨ ـ ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ): «فضائل القرآن» ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩ ـ ابن عاشور، محمد الطاهر: تفسير «التحرير والتنوير»، الدار التونسية للنشر تونس (١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٠ ـ ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ): «أحكام القرآن»، مطبعة دار السعادة ـ القاهرة ـ (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م).

١١ ـ ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت٥٤٦هـ): «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (نشر رئاسة المحاكم الشرعية بقطر ـ الدوحة) (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)؛ دار الكتب العلمية (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) توزيع دار الباز بمكة المكرمة.

١٢ ـ ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ): «تفسير القرآن العظيم» (٤ أجزاء)؛ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة (ط٢)، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

١٣ ـ .........: «فضائل القرآن» ـ مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

١٤ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ): «لسان العرب»، مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م).

١٥ ـ أبو حيان الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن يوسف: «تفسير البحر المحيط» ـ مطبعة دار السعادة ـ القاهرة (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م)، دار الفكر ـ بيروت (ط٢) (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

١٦ ـ أبو السعود، محمد بن محمد العماري: تفسير أبي السعود المعنون «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (جزءان)، المطبعة الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م).

١٧ ـ الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ): «إعجاز القرآن» تحقيق أحمد صقر، المطبعة السلفية، القاهرة (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)؛ ومصطفى الحلبي (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)؛ وعالم الكتب ـ بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٨ ـ البغوي، أبو محمد الحسين: تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل» ـ تحقيق خالد عبد الرحمٰن العك، ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

١٩ ـ البقاعي، برهان الدين بن عمر: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة (ط٢)، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٢٠ ـ بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمٰن: «الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق: دراسة قرآنية، لغوية، وبيانية»، دار المعارف (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٢١ ـ .........: «التفسير البياني للقرآن الكريم» (في جزأين) ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

٢٢ ـ البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (جزءان)، المطبعة العثمانية ـ القاهرة (١٣٠٥هـ/ ١٩١٠م).

٢٣ ـ البيومي، محمد رجب: «البيان القرآني» ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢٤ ـ التجيبي، أبو يحيى محمد بن صمادح: «مختصر تفسير الإمام الطبري» ـ دار الفجر الإسلامي ـ دمشق (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٥ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): «الحيوان» تحقيق عبد السلام محمد هارون؛ مكتبة الخانجي ـ القاهرة؛ دار الرفاعي بالرياض (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٢٦ ـ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمٰن (ت٤٧١هـ): «دلائل الإعجاز»، قراءة وتعليق محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي ـ القاهرة (ط٢)، مطبعة المنار ـ القاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)، أعيدت طباعته بالاتفاق مع مكتبتي الخانجي والأسرة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٢٧ ـ .........: «الرسالة الشافية في إعجاز القرآن» نشرت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ونشرت هذه الرسائل في سلسلة بعنوان «من ذخائر العرب».

٢٨ ـ الجسر، نديم: «قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن»، توزيع الدار العربية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م). منشورات المكتب الإسلامي ـ بيروت (الطبعة الأولى) (١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

٢٩ ـ الجميلي، السيد: «الإعجاز الطبي في القرآن الكريم»، دار النصر (دمشق ـ بيروت).

٣٠ ـ جوهري، طنطاوي (ت١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م): «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» (المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات) ـ (في ٢٦ جزءاً، ١٣ مجلداً) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م) (الطبعة الثانية) (شوال ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م).

٣١ ـ حوى، سعيد: «الأساس في التفسير» ـ دار السلام ـ القاهرة؛ حلب؛ بيروت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٣٢ ـ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي: تفسير الخازن المعنون «لباب التأويل في معاني التنزيل» وبهامشه تفسير البغوي (في ٧ أجزاء)، المطبعة الأميرية ـ القاهرة (١٢٣١/ ١٢٣٢هـ) الموافق (١٨١٥/ ١٨١٦م). أعاد طباعته كل من دار المعرفة، ودار الفكر ـ بيروت.

٣٣ ـ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٨هـ): «بيان إعجاز القرآن» مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ونشرت هذه الرسائل في سلسلة بعنوان «من ذخائر العرب».

٣٤ ـ الدباغ، مصطفى (١٩٨٥): «وجوه الإعجاز القرآني»، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الثانية.

٣٥ ـ دراز، محمد عبد الله: «النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن»، القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

٣٦ ـ الذهبي، محمد حسين: «التفسير والمفسرون»، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة (الطبعة الثانية) (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

٣٧ ـ الرازي، أبو بكر فخر الدين محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ): تفسير الرازي أو التفسير الكبير المسمى «مفاتيح الغيب» (في ٨ مجلدات)، المطبعة البهية ـ القاهرة (١٣٠٧هـ/ ١٣٢١هـ) الموافق (١٨٨٩م/ ١٩٠٣م)، أعادت طباعته كل من دار الكتب العلمية ـ طهران (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ودار الفكر ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٣٨ ـ الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦هـ): بترتيب السيد محمود

خاطر (الطبعة العاشرة) الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٣٩ ـ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل (ت٥٠٣هـ): «معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم» ـ تحقيق نديم مرعشلي ـ دار الكتاب العربي (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٤٠ ـ رضا، محمد رشيد: «تفسير القرآن الحكيم» الشهير بـ «تفسير المنار» ـ دار المنار ـ القاهرة (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، دار المعرفة ـ بيروت (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٤١ ـ الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ): «النكت في إعجاز القرآن» ـ طبع ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز بتحقيق محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٤١١هـ/ ١٩٩١م) صدرت تحت عنوان «من ذخائر العرب».

٤٢ ـ الزرقاني، محمد بن عبد العظيم (ت١٣٦٧هـ): «مناهل العرفان في علوم القرآن» (في جزأين) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ دار إحياء الكتب العربية (١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م).

٤٣ ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ): «البرهان في علوم القرآن» ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (في أربعة أجزاء)، دار إحياء الكتب العربية الحلبي ـ القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)؛ أعادت طباعته دار المعرفة ـ بيروت (١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م).

٤٤ ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ): «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» (في أربعة أجزاء) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)، (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م).

٤٥ ـ السعدي، عبد الرحمٰن بن ناصر: «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان» من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

٤٦ ـ سعيد، عبد الستار فتح الله: «المدخل إلى التفسير الموضوعى» ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة (الطبعة الثانية) (١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٤٧ ـ السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمٰن بن كمال الدين ـ أبو بكر ـ

الأسيوطي أو السيوطي (ت٩١١هـ): «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (في ستة أجزاء) مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر (١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م)، دار الفكر ـ بيروت (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٤٨ ـ ..........: «الإتقان في علوم القرآن» وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة التجارية (الطبعة الأولى) (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، مصطفى الحلبي (الطبعة الرابعة) (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مكتبة دار التراث ـ القاهرة (الطبعة الخامسة) (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٤٩ ـ شحاتة، عبد الله: «آيات الله في الكون: تفسير الآيات الكونية بالقرآن الكريم» ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

٥٠ ـ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، مطبعة المدني بالرياض (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٥١ ـ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ): «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٠م)، (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

٥٢ ـ الصابوني، محمد بن علي: «مختصر تفسير ابن كثير» (في ثلاثة مجلدات)، دار القرآن الكريم ـ بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٥٣ ـ ..........: «صفوة التفاسير» (في ثلاثة مجلدات)، دار القرآن الكريم ـ بيروت (١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٥٤ ـ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تفسير الطبري المعنون «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ـ المطابع الأميرية ـ بولاق ـ القاهرة (في ١٥ مجلداً)، ودار المعارف ـ القاهرة (١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)، ثم طبعات تالية من نفس الدار (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، (١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ثم طبعة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، وطبعة دار الفكر ـ بيروت (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وطبعة دار الحديث ـ القاهرة (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٥٥ ـ عبد الباقي محمد فؤاد: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» ـ دار ومطابع الشعب ـ القاهرة (١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).

٥٦ ـ عبد الرحيم، عبد الجيل (١٤١٠هـ/ ١٩٤٥م): «الإعجاز العلمي بين الظن والتحقيق» [من بحوث المؤتمر الأول للإعجاز العملي المعقود بمدينة السلام ببغداد في الفترة من (٢١ ـ ٢٦/ ٩/ ١٤١٠هـ) الموافق (١٦ ـ ٢١/ ٤/ ١٩٩٠م) تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالجمهورية العراقية] ص: ٢١٩ ـ ٢٧٢.

٥٧ ـ العك، خالد عبد الرحمٰن: «أصول التفسير لكتاب الله المنير»، مكتبة الفارابي ـ دمشق (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

٥٨ ـ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ): «إحياء علوم الدين» ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة (١٣٣١هـ/ ١٩١٢م)؛ دار المعرفة ـ بيروت؛ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م).

٥٩ ـ .........: «جواهر القرآن» ـ مكتبة الجندي ـ القاهرة (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)؛ الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٦٠ ـ فكري، على (١٩٤٨م): «القرآن ينبوع العلوم والمعارف»، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (في جزأين) الطبعة الأولي.

٦١ ـ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): «معاني القرآن»، تحقيق النجاتي، مطبعة دار الكتب العربية، ببيروت، ١٩٧٩م.

٦٢ ـ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ): «معاني القرآن»، تحقيق النجاتي ـ مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

٦٣ ـ القاسمي، محمد جمال الدين: «محاسن التأويل» ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، تعليق وتصحيح محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٤ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى (ت٦٧١هـ): تفسير القرطبي المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (في ٢٠ مجلدا) ـ دار الكتب المصرية (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، (١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)؛ دار القلم ـ بيروت (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)؛ دار الكتب العلمية ـ بيروت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)؛ دار الفكر ـ بيروت (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

٦٥ ـ القطان، مناع خليل: «مباحث في علوم القرآن»، مؤسسة الرسالة (الطبعة السابعة) (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

٦٦ ـ قطب، سيد: «في ظلال القرآن» (في ستة مجلدات) ـ دار الشروق ـ بيروت (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٦٧ ـ .........: «التصوير الفني في القرآن» ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة (١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).

٦٨ ـ الكرداني، أحمد عبد السلام (١٩٧٥م): «نماذج من الإعجاز العلمي في القرآن» مطبوعات الشعب ـ القاهرة.

٦٩ ـ كنعان، محمد أحمد: «قرة العينين على تفسير الجلالين» ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت؛ دمشق (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٧٠ ـ لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ ج.م.ع.: «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» (الطبعة الثالثة) (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ ج.م.ع. القاهرة.

٧١ ـ مخلوف، حسنين محمد: «صفوة البيان لمعاني القرآن» ـ من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت (الطبعة الثالثة) (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

٧٢ ـ .........: «مباحث في إعجاز القرآن» ـ دار المنارة ـ جدة (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٧٣ ـ المراغي، أحمد مصطفى: «تفسير المراغي» ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٧٤ ـ مسلم، مصطفى: «مباحث في التفسير الموضوعي» ـ دار القلم ـ دمشق؛ بيروت (الطبعة الأولى) (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

٧٥ ـ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: تفسير النسفي المعروف باسم «الإكليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل» (في مجلدين) ـ مطابع الحلبي ـ القاهرة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

٧٦ ـ نجم، رائف (١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ): «الإعجاز العلمي في القرآن برهان النبوة»، المكتبة الإسلامية ـ عمان، الطبعة الثانية.

**(ب) المراجع الأجنبية والمترجمة:**

٧٧ ـ بوكاي، موريس: «القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل والعلم: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» ـ دار المعارف ـ القاهرة (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
(Maurice Bucaille (1976): «La Bible, le Coran et la Science» Editions Seghers, 6, Place Saint-Sulpice 75006, Paris.)

٧٨ ـ ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٥م.
Maurice Bucaille: what is the Origin of Man? the answer of science and the Holy Scriptures. A.S. Noordeen,Kuala Lumpur,Malaysia

٧٩ ـ مونسما، جون كلوفر (مشرف على التحرير): «الله يتجلى في عصر العلم» ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، مراجعة الدكتور محمد جمال الدين الفندي، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
(The Evidence of God in an Expanding Universe: edited by: John Clover Monsoma; 1958; Published by G.P. Putnam's Sons, New York.)

**ثانياً: عن قضية الإعجاز العلمي في السنة النبوية المطهرة:**

١ ـ **اختصار علوم الحديث**: للإمام أبي الفداء عماد الدين محمد بن إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) وبحاشيته الباعث الحثيث بشرح اختصار علوم الحديث لأحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣ ـ **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**: للإمام الحافظ أبى العلا محمد عبد الرحمٰن ابن عبد الرحيم المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ). المكتبة الفاروقية ملتان ـ باكستان.

٤ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للسيوطي (ت: ٩١١هـ) حققه عبد الوهاب عبد اللطيف. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٥ ـ **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**: للحافظ أحمد بن علي بن مجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) عني بتصحيحه: عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة ـ بيروت.

٦ ـ **تهذيب التهذيب**: للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٥٨٢هـ)، دار الفكر ـ بيروت.

٧ ـ **تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**: للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحدس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٨ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**: لأبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دار الفكر ـ بيروت.

٩ ـ **سنن ابن ماجه**: بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا. دار المعرفة ـ بيروت.

١٠ ـ **سنن ابن ماجه**: للإمام محمد بن يزيد الربعي أبى عبد الله بن ماجه القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، مع الحاشية للشيخ عبد الغني الدهلوي المسماة بإنجاح الحاجة، وبحاشية المسماة بمصباح الزجاجة للحافظ جلال الدين السيوطي. قديمي كتب خانة كراتشي باكستان.

١١ ـ **سنن ابن ماجه**: مطبوعة دار سحنون ـ تونس.

١٢ ـ **سنن أبي داود**: مع المراسيل: للإمام أبي داود بتعليق الشيخ فخر الحسن كنكوهي. شركة السعيد كراتشي باكستان.

١٣ ـ **سنن أبي داود**: للشيخ الحافظ الحجة الرحلة سليمان بن الأشعث بن شداد أبي داود السجستانى (ت: ٢٧٥هـ). دار سحنون ـ تونس.

١٤ ـ **سنن الترمذي**: للإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، والدكتور إبراهيم عطوة. دار سحنون ـ تونس.

١٥ ـ **سنن النسائي، المجتبى**: للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣هـ) مع التعليقات السلفية للأستاذ محمد عطاء الله حنيف الفوجياني الأمرتسري. المكتبة السلفية لاهور ـ باكستان.

١٦ ـ **سنن النسائي**: بشرح الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي. قديمي كتب خانة كراتشي ـ باكستان.

١٧ ـ **سنن النسائي**: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، بتحقيق مكتب تحقيق التراث الإسلامي. دار المعرفة ـ بيروت.

١٨ ـ **شرح السنة**: تأليف الإمام المحدث محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ) حققه شعيب الأرناؤوط ورفيقه. المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٩ ـ **صحيح البخاري**: الطبعة السلطانية مأخوذة من النسخة اليونينية.

٢٠ ـ **صحيح البخاري**: النسخة المطبوعة دار سحنون ـ تونس.

٢١ ـ **صحيح البخاري**: بإعداد وترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ـ دمشق، وبيروت.

٢٢ ـ **صحيح البخاري**: للإمام الجليل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ) بحواشي الشيخ أحمد علي السهارنفوري النسخة الهندية. مطبوعة دلهي ١٣٥٧م، والطبعة الثانية كراتشي في ١٣٨١هـ.

٢٣ ـ **صحيح مسلم**: النسخة الإستنبولية بحاشية الشيخ الذهني أفندي، مطبوعة دار الفكر بيروت.

٢٤ ـ **صحيح مسلم**: للإمام المحدث أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) مع شرحه الكامل للإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النواوي (ت ٦٧٦هـ) النسخة الهندية. الطبعة الأولى بدلهي سنة ١٣٤٩هـ والطبعة الثانية بكراتشي سنة ١٣٧٥هـ.

٢٥ ـ **الطبقات الكبرى**: لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري كاتب الواقدي (ت: ٢٣٠هـ) تصوير ـ بيروت سنة ١٩٥٦م.

٢٦ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**: للإمام الحافظ ابن العربي المالكي (ت: ٥٤٣هـ) إعداد هشام سمير البخاري. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٧ ـ **عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي**: لابن العربي المالكي. دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨ ـ **عون المعبود بشرح سنن أبي داود**: للمحدث أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ). نشر السنة ملتان ـ باكستان، سنة ١٣٩٩.

٢٩ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**: للإمام الحافظ المتقن شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، طبعة بولاق، والطبعة الثانية بدار المعرفة ـ بيروت.

٣٠ ـ **فتح المنان بمقدمة لسان الميزان**: للإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) إعداد محمد عبد الرحمٰن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣١ ـ **الزوائد ومنبع الفوائد**: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) بتحقيق عبد الله محمد الدرويش. دار الفكر ـ بيروت.

٣٢ ـ **المستدرك على الصحيحين**: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي (ت: ٧٤٨هـ) بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٣ ـ **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل، ترتيب أحمد محمد شاكر. الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨هـ ـ دار المعارف.

٣٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف**: طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن.

٣٥ ـ **موسوعة أطراف الحديث النبوي**: إعداد أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٦ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي. دار الفكر، بيروت.

مدخل إلى

# دراسة الإعجاز العلمي

## في القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهرة

القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة هما مصدرا التشريع الإسلامي، فالقرآن هو كلام الله الموحى به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بلسان عربي مبين، والمنقول عنه بالتواتر، المحفوظ في المصاحف. والقرآن الكريم هو الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين المحفوظة بين أيدي الناس اليوم بنفس لغة وحيها ـ اللغة العربية ـ ولذلك فهو معجز في كل أمر من أموره. وبما أنه بيان من الله تعالى فلا بدّ أن يكون كل ما فيه حقاً مطلقاً، ومن هذا الحق: إشارات القرآن الحكيم إلى الكون ومكوناته وبعض أشيائه وظواهره، لأنه كلام الخالق، ومن أدرى بالخلق من خالقه؟

أما السنة النبوية المطهرة فتشمل كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أوفعل أو تقرير أو صفة. وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تضمّ قدراً من الحقائق العلمية التي لم يكن ممكناً لأحد من البشر أن يلمّ بها أو شيء منها في زمن الوحي، ولا لقرون طويلة بعده، وذلك لعدم توافر أدوات الكشف ومنهجياته. وهذه الإشارات العلمية في أحاديث رسول الله ﷺ مما يشهد له بالنبوة وبالرسالة في زمن العلم الذي نعيشه، ومن هنا كان الاهتمام بقضيتي الإعجاز العلمي في كلٍّ من القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة فهماً لهما، وإثباتاً لفضلهما، ودعوة للناس جميعاً إلى الإيمان بهما لكونهما طوق النجاة في الدنيا والآخرة، وذلك باللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا وهي لغة العلم.





ISBN 9953-85-197-2
9 789953 851976 90000

دار المعرفة
للطباعة والنشر
www.marefah.com